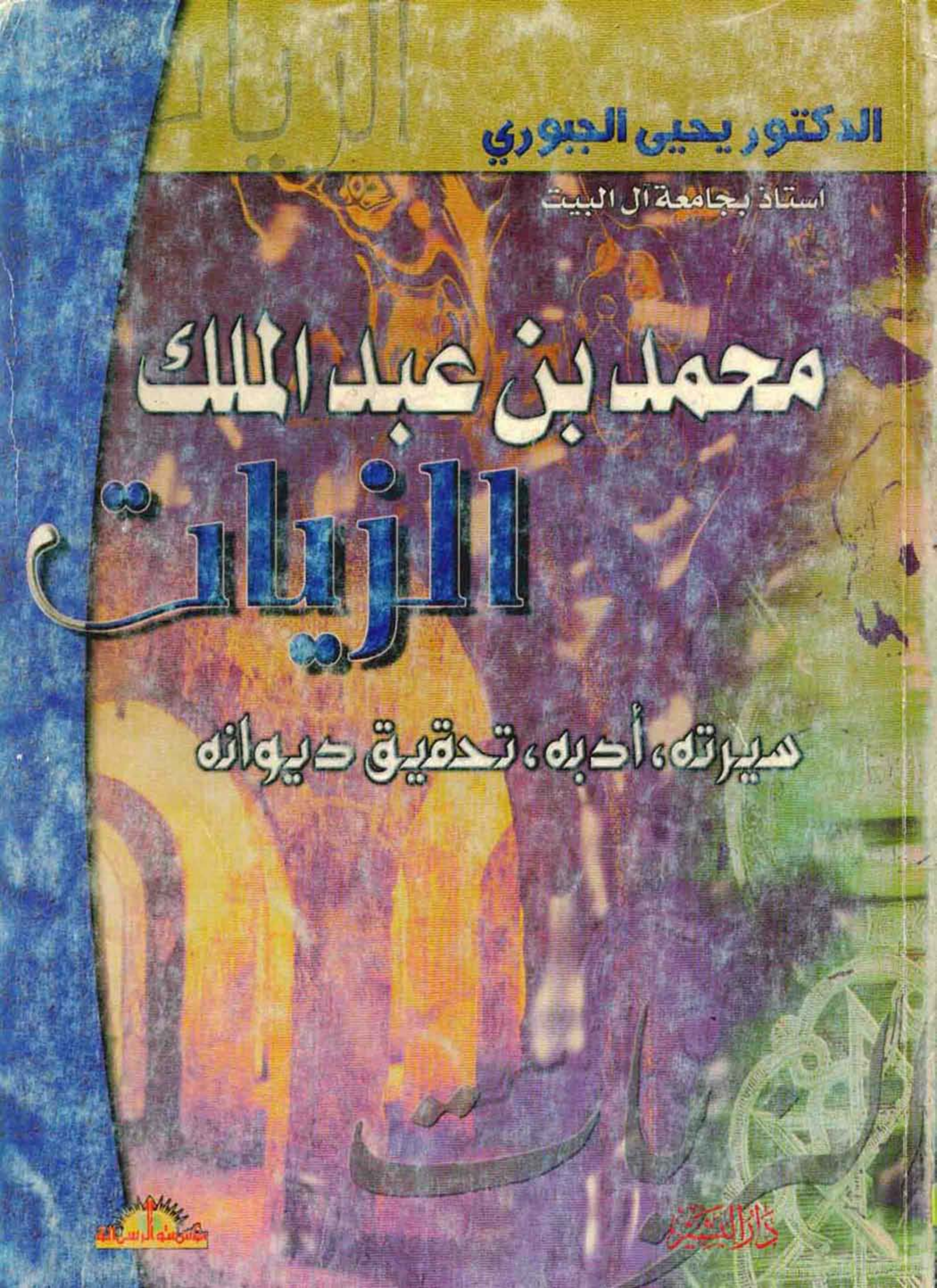

الدكتور يحيى الجبوري
أستاذ بجامعة آل البيت
محمد بن عبد الملك
الزيات
سيرته، أدبه، تحقيق ديوانه
دار البشير

محمد بن عبد الملك
الزيات

اسم الكتاب : محمد بن عبدالملك الزيات - سيرته ، أدبه ، تحقيق ديوانه
اسم المؤلف : الدكتور يحيى الجبوري
عدد الصفحات : (٣٦٠) صفحة
الطبعة الأولى : عمّان ٢٠٠٢
رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر : (١٠٢٥ / ٤ / ٢٠٠٢)
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (١٠٩٣ / ٤ / ٢٠٠٢)

دار البشير
عمارة جوهرة القدس - العبدلي
هاتف : ٤٦٥٩٨٩١ - ٠٠٩٦٢٦
فاكس : ٤٦٥٩٨٩٣ - ٠٠٩٦٢٦
ص. ب ٩٢٧٤٨٧
عمّان ١١١٩٠ الأردن
e-mail:info@daralbashir.com

محمد بن عبد الملك
الزيات

سيرته ، أدبه ، تحقيق ديوانه

الدكتور يحيى الجبوري
أستاذ بجامعة آل البيت

مؤسسة الرسالة
دار البشير

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كانت أول صلتي بابن الزيات قبل أكثر من نصف قرن، حين كنت طالباً في الثانوية العامة، وكان لنا مدرس أديب قارئ متذوق على خلق عال، وكنت أحظى منه بعناية متميزة. فقد كان يرعى النابهين ويزودهم بكتب ثقافية وأدبية ويتابع قراءاتهم، ذلك هو الأستاذ محمد حسن العضاض، وقد علمت أنه توفي شاباً رحمه الله وأحسن إليه، وكان قد صدر ديوانه ابن الزيات حديثاً وذلك في حدود سنة خمسين وتسعمائة وألف، وقد حدثنا الأستاذ عن ابن الزيات ودرَّسنا قصيدته الرائعة في رثاء زوجته، وهي قصيدة من أروع ما قيل في رثاء الزوجات، وفيها صورة رائعة مؤثرة للطفل الذي فقد أمُّهُ، فهو لاهٍ في النهار، ولكنه إذا جنَّه الليل تشوق إلى صدر أمه وحنانها ومناغاتها، فيبكي فقدها وشوقه إليها، والقصيدة نونية تبدأ بقوله:

ألا من رأى الطفلَ المفارقَ أُمِّهِ　　بُعيدَ الكرى عيناه تَبْتَدِران

رأى كلَّ أمٍّ وابنَها غيرَ أُمِّه　　يبيتان تحتَ الليلِ ينْتَجِيانِ

وباتَ وحيداً في الفراشِ تُجِنُّهُ　　بلابِلُ قلبٍ دائمِ الخفقانِ

وقد كان لهذه القصيدة أثر عميق في نفسي فحفظتها، وما زلت بعد تطاول السنين أحفظها وأرددها. ومنذ ذلك الحين رسخت صورة ابن الزيات في ذهني مرتبطة بتنُّوره الذي صنعه لخصومه، ثم عُذِّب فيه، وكان فيه حتفه.

وحين حققت كتاب المحن لأبي العرب التميمي سنة ١٩٨٣م وما فيه من بلايا وأحداث نزلت بالخلفاء والعلماء من حبس وعذاب وقتل، فأردت أن أكمل ما وقف عنده أبوالعرب وما فاته، فأكتب عن محن الشعراء والكتاب، فرحت أجمع وأستقصي أخبار هؤلاء الأدباء الذين تعرضوا للحبس والمصادرة والتشريد، والقتل، فتجمعت لدى مادة كبيرة سترى النور يوماً بعون الله وتوفيقه، وكان ابن الزيات من جملة أولئك الأدباء والشعراء، وكنت بين حين وآخر أحتاج إلى الرجوع إلى ديوان ابن الزيات، فكان الديوان نادراً غير متيسر إلاّ لدى القلة من علمائنا الكبار الذين

ازدهروا في منتصف القرن الماضي، فقد مضى على صدور الديوان بتحقيق الأستاذ الدكتور جميل سعيد رحمه الله وطيب الله ثراه، نصف قرن أو يزيد، وقد خلت منه المكتبات، بالإضافة إلى أني وجدت في الديوان المطبوع نقصاً، فقد تجمعت لدى أشعار لم يحوها الديوان، وهكذا ولهذه الأسباب مجتمعة فقد وجدتني مندفعاً إلى دراسة ابن الزيات في سيرته وأدبه ومحنته وتحقيق ديوانه، فسعيت إلى الحصول على الأصل المخطوط الموجود في دار الكتب المصرية، وبعد جهد جهيد، ومراسلات لم تلقَ أذناً صاغية من مسؤولي معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، وبجهد من الأستاذ المهندس ياسين طه العيساوي وبوساطة بعض الأساتذة المصريين تم الحصول على صورة من مخطوطة الديوان، فالشكر كل الشكر لكل من بذل جهداً علمياً ويسره للباحثين، وفي رأيي أن أي تحقيق للكتب أو إعادة نشرها دون الرجوع إلى أصل مخطوط عمل لا قيمة له، وقد كثرت في هذه الأيام إصدارات الكتب والدواوين التي تعتمد على المطبوعات دون إضافة أو الرجوع إلى الأصول المعتمدة، وهذا النشريات هي في حقيقتها سرقة لجهد الآخرين وسطو على أعمالهم.

لقد حظي ابن الزيات باهتمام الباحثين، فقد صدرت عنه بعض الدراسات، كان أولها دراسة المرحوم محمد كرد علي في كتابه أمراء البيان الذي صدر عام ١٩٧٣، ثم دراسة الأستاذ محمود الهجرسي التي صدرت في سلسلة أعلام العرب بعنوان محمد بن عبدالملك الزيات صاحب التنور، ثم صدرت دراسة جامعية لفايز علم الدين القيس بعنوان محمد بن عبدالملك الزيات سنة ١٩٨٣م. وكل هذه الدراسات جهود نافعة ولها فضل السبق، وتختلف دراستنا هذه عمّا سبقها في منهجها وغايتها، وما زالت حياة ابن الزيات وشعره وأدبه بحاجة إلى المزيد من الجهود والدراسات الأدبية والعلمية، وما زالت كذلك شخصيات الشعراء الكتاب من أمثال ابن الزيات بحاجة إلى الدرس العلمي والأدبي.

لقد عاش ابن الزيات في زمن يشبه زماننا هذا من اضطراب الحياة السياسية والاجتماعية وسيطرة الأيدي الأجنبية الطامعة على الخلافة المتمثلة بالقواد الأتراك،

وكانت فريسة لأطماع الجند وضعف الخلفاء ونزواتهم ومكائد أمهات الأولاد من الجواري والإماء، وأراد ابن الزيات أن يعيد إلى الدولة سلطتها وهيبتها، فوفق حيناً من الدهر، ثم تكالبت عليه مكائد الخصوم ومصالح الطامعين فكان مصيره السجن والمصادرة والعذاب الذي أودى بحياته.

وبعد فأرجو أن يكون في عملي هذا درس وعبرة، ولبنة صالحة تضاف إلى صرح الأدب العربي الذي نتلمَّس فيه حضارتنا وأصالتنا وروعة أدبنا الزاهي الثري، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والحمد لله أولاً وآخراً،

يحيى بن وهيب الجبوري

٢المحرم ١٤٢٣هـ

١٦ آذار ٢٠٠٢

الفصل الأول

سيرته

نشأته:

أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، المعروف بابن الزيات، جاءه هذا اللقب من جده الذي كان تاجراً يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد، وجده هذا هو أبان ابن حمزة من أهل قرية الدسكرة مقابل جُبُّل من عمل بغداد، وأسرة ابن الزيات عربية الأصل، وكان أبوه عبد الملك تاجراً من وجوه تجار الكرخ في بغداد، وكان ثرياً موسراً، وكان يتولى تزويد بلاط المأمون بما يلزمه من الفساطيط والجمازات وما تحتاجه مطابخ القصر من أشياء، ومعنى هذا أنه كان من كبار تجار بغداد المرموقين، وقد نشأ ابنه محمد في هذا العز الموروث القائم على تجارة الزيت في بغداد بجانب الكرخ.

لم نجد في المصادر تحديداً لسنة ولادته، ولكننا نستطيع أن نرجح السنة ١٧٣هـ/ ٧٨٩ م تاريخاً لولادته، استدلالاً بما قيل من أنه تولى الوزارة للمعتصم سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٧ م، وكانت سنه آنذاك سبعاً وأربعين سنة، وبقي وزيراً للمعتصم ثم الواثق بعده، ثم عدة أيام في زمن المتوكل الذي نكبه ونكل به سنة ٢٣٣هـ/ ٨٤٧ م، على ما سيجيء.

تزوج ابن الزيات بأكثر من امرأة، إحداهن توفيت واسمها (سكرانة) أم عمر التي بكاها وذكر يتم ابنه الطفل، وقد رزق بأولادٍ وَرَدَ ذكر بعضهم في كتب الأدب والتاريخ، وكان بعضهم يروي شعر أبيه وأخباره وهو هارون، وكذلك عبيد الله، ومن أولاده سليمان وعبد الله، وقد قبض المتوكل على سليمان وعبد الله حين قبض على أبيهما وسجنا، ثم سلمت إليهما جثة أبيهما الذي قتل تحت التعذيب وبالتنور، أما ابنه عمر فقد ماتت أمه وهو صغير ابن ثماني سنوات.

كان ابن الزيات منذ صغره ميالاً إلى العلم والأدب، ولا نعلم عن ثقافته وهو صغير تحقيقاً وتفصيلاً، إلا أن الدلائل تشير إلى شغفه بالأدب وتفضيله على التجارة، فقد كان

أبوه يريده تاجراً كأسرته، وكان هو يطلب الكتابةَ وملازمةَ الدواوين ومجالسة الكتاب، وكان من كتاب عصره آنذاك الجاحظ، وعمرو بن مسعدة، وأحمد بن يوسف، وسهل بن هارون، وغيرهم، وعلى الرغم من إلحاح أبيه على أن يتعاطى التجارة، إلا أنه كان شديد الحرص على طلب العلم والكتابة، ومما قاله أبوه عبد الملك يخاطبه: «والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك وليضرنَّك، لأنك تدع عاجل المنفعة وما أنت فيه مكفي، ولك ولأبيك مال وجاه، وتطلب الآجل الذي لا تدري ما تكون فيه»، فقال: «والله لتعلمنَّ أينا ينتفع بما هو فيه، أأنا أم أنت؟» ثم شخص إلى الفضل بن سهل، بـ(فم الصلح)، فامتدحه بقصيدة فأعطاه عشرة آلاف درهم، فعاد بها إلى أبيه، فقال له أبوه: «لا ألومك بعدها على ما أنت فيه»، وفي القصيدة أبيات يقول فيها واصفاً حاله: (١)

إني شَعَرْتُ فلم أمدحْ سواكَ ولم   أُعْمِلْ إلى غيركَ الإدلاجَ والبُكَرا
ما كان ذلك إلاّ أنني رجلٌ   لا أقْرَبُ الوِرْدَ حتى أعرفَ الصَّدَرا
لم أمتَدِحْكَ رجاءَ المالِ أطلبُهُ   لكنْ لِتُلْبِسَني التحجيلَ والغُررا

وكان ابن الزيات قد تثقف ثقافة عربية واسعة، فبرع في اللغة والنحو والشعر وعلوم الشريعة وغيرها، وأخذ عن كبار الكتَّاب واللغويين والنحويين، فبرع ونبغ في علوم عصره، ويكفي أن يكون أبو عثمان المازني يجل ابن الزيات ويثق بعلمه، ومن دلائل ذلك ما رواه ميمون بن هارون الكاتب: «أن أبا عثمان المازني لما قدم بغداد أيام المعتصم، كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو، فإذا اختلفوا فيما يقع فيه شك، يقول لهم المازني: ابعثوا إلى هذا الفتى الكاتب ـ يعني محمد بن عبد الملك ـ اسألوه، واعرفوا جوابه، فيفعلون، فيصدر الجواب من قبله بالصواب الذي يرتضيه المازني، ويقفهم عليه»(٢).

وزارته:

لقد أعد ابن الزيات نفسه ليكون كاتباً من كتَّاب الدولة، وكان ذكياً فطناً طموحاً، وكان أول صلته بقصر الخلافة في أيام المعتصم، ويبدو أنه تسلم وظيفة القهرمان

(١) الديوان ق٦١ (ق = قصيدة أو قطعة أو أبيات في هذا الديوان).
(٢) البغدادي: تاريخ بغداد ٣/١٤٤.

والإشراف على المطبخ، وكان يؤهل نفسه لمنصب الكتابة، ولذلك كان يلبس زي الكتَّاب من لبس السواد وحمل السيف، يقول الطبري: «كان محمد بن عبد الملك الزيات يتولى للمعتصم ما كان يتولاه أبوه للمأمون من عمل المشمش والفساطيط وآلة الجمازات(١)، ويكتب على ذلك: مما جرى على يدي محمد بن عبد الملك، وكان يلبس إذا حضر الدار دراعة سوداء، وسيفاً بحمائل، فقال له الفضل بن مروان: إنما أنت تاجر، فما لك وللسواد وللسيف؟، فترك محمد ذلك»(٢).

ولكن ابن الزيات كان يعد نفسه ليكون كاتباً من كتَّاب السلطان، وكل الدلائل تشير إلى أنه كان مؤهلاً لهذا المنصب، فعلمه وذكاؤه وشخصيته وحزمه، كل ذلك كان يعده ليس للكتابة وحسب بل للوزارة أيضاً، ولكن الكتابة أولاً، ثم الوزارة، ولم تأته إلا بعد أن أتيحت له الفرصة، وجاءت الفرصة سريعة، وكانت مصادفة، وقد أعانه على اقتناص هذه الفرصة المتاحة جهل الوزير السابق وضعف تحصيله، وقد تحدثت المصادر عن هذه الفرصة على خير وجه، من ذلك ما ذكره ابن خلكان وغيره، قال: «كان أحمد بن عمَّار البصري وزير المعتصم، فورد على المعتصم كتاب من بعض العمال، فقرأه الوزير عليه، كان في الكتاب ذكر الكلأ، فقال المعتصم: ما الكلأ؟ فقال الوزير: لا أعلم، وكان قليل المعرفة بالأدب، فقال المعتصم: خليفة أمي، ووزير عامي!! وكان المعتصم ضعيف الكتابة، ثم قال: ابصروا من بالباب من الكتَّاب، فوجدوا محمداً ابن الزيات المذكور، فأدخلوه عليه، فقال له: ما الكلأ؟ فقال: الكلأ العشب على الإطلاق، فإن كان رطباً فهو الخلا، فإذا يبس فهو الحشيش، وشرع في تقسيم أنواع النبات، فعلم المعتصم فضله، فاستوزره وحكمه وبسط يده»(٣)، ومن هذا

---

(١) الجُمَّازة: بضم الميم، جبَّة من صوف ضيقة الكُمَّين، وفي الحديث أن النبي ﷺ توضأ فضاق عن يديه كُمَّا جُمَّازة كانت عليه، والجَمَّازة بفتح الجيم: مركب سريع يتخذه الناس في المدن (شبه العجلة التي تجرها الخيل) مولد (المعجم الوسيط: جمز) ولعله أراد المعنى الثاني بدليل الفساطيط ووصف الجمازات بالآلة: وآلة الجمارات.

(٢) تاريخ الطبري ٥/٣١٢ ـ ٣١٣ ط مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٠، وانظر معجم الشعراء ص٣٦٥.

(٣) وفيات الأعيان ٤/١٨٦ ط عبد الحميد، مصر ١٩٤٨، والوافي بالوفيات ٤/٣٢، والفخري ص٢٣٢ وشذرات الذهب ٣/١٥٤، والخزانة ١/٤٤٦، ولطائف الأخبار ص٣٣.

النص نستدل على أن ابن الزيات كان كاتباً وليس قهرماناً يجهز أمور الدار والمطبخ فحسب، بدلالة قول المعتصم: (ابصروا من بالباب من الكتاب)، ويعزز هذا قول ابن العماد الحنبلي عن ابن الأهدل قوله: «إن ابن الزيات كان في أول أمره كاتبا، فاتفق أن المعتصم سأل وزيره أحمد بن عمَّار البصري عن الكلأ ما هو...» كما في الرواية السابقة[١]، وكذلك ذكر البديعي بأن ابن الزيات كان في أول أمره من جملة الكتاب[٢].

وأكثر المصادر على هذا الرأي، ولكن الطبري ينفرد برواية تجعل ابن الزيات يتسنم الوزارة بعد غضب المعتصم على الفضل بن مروان لاستئثاره بالحكم وتضييقه على الخليفة في النفقات، ونذكر باختصار ما قاله الطبري: «إن الفضل بن مروان كان مع كاتب للمعتصم يقال له يحيى الجرمقاني، وكان الفضل بن مروان يخط بين يديه، فلما مات الجرمقاني صار الفضل في موضعه، ولم يزل كذلك حتى بلغ المعتصم الحال التي عليها، والفضل كاتبه، ثم قدم الفضل قبل موت المأمون بغداد ينفذ أمور المعتصم ويكتب على لسانه بما أحب، حتى قدم المعتصم خليفة، فصار الفضل صاحب الخلافة، وصارت الدواوين كلها تحت يديه، وكنز الأموال، وأقبل أبو إسحاق (المعتصم) حين دخل بغداد يأمره بإعطاء المغني والملهي، فلا ينفذ الفضل ذلك، فثقل على أبي إسحاق، وقد شكا المغني وهو إبراهيم المعروف بالهفتي إلى المعتصم أن الفضل بن مروان لا ينفذ ما يأمر بإعطائه من المال، وحرضه بقوله: «إنما لك من الخلافة الاسم، والله ما يجاوز أمرك أذنيك، وإنما الخليفة الفضل بن مروان الذي يأمر فينفذ أمره من ساعته... فاحتجنها على الفضل المعتصم حتى أوقع به، فقيل إن أول ما أحدثه في أمره حين تغير له أن صيَّر أحمد بن عمَّار الخراساني زماما عليه في نفقات الخاصة، ونصر بن منصور بن بسام زماما عليه في الخراج وجميع الأعمال، وكان محمد بن عبد الملك الزيات يتولى ما كان أبوه يتولاه للمأمون من عمل المشمش والفساطيط وآلة الجمازات»، وفي سنة ٢١٩ هـ خرج المعتصم يريد القاطول، ويريد

---

(١) شذرات الذهب ٣ / ١٥٤.
(٢) هبة الأيام ص ٦٤.

للبناء بسامراء، فلما صار بالقاطول غضب على الفضل بن مروان وأهل بيته، وأمر بحبسه وأخذ منه عشرة آلاف ألف دينار ثم نفاه، وصيَّر مكانه محمد بن عبد الملك الزيات(١)، فصار محمد ابن الزيات وزيراً كاتباً، وجرى على يديه عامة ما بنى المعتصم بسامراء من الجانبين الشرقي والغربي، ولم يزل وزيراً في عهد ابنه الواثق والمتوكل، حتى نكبه المتوكل.

ويمكن التوفيق بين رواية الطبري والآخرين، أن المعتصم لما غضب على الفضل بن مروان صَيَّر أحمد بن عمَّار مكانه ولفترة قصيرة، فلما جاء الكتاب الذي فيه قصة الكلأ جعل ابن الزيات كاتباً يعرض على المعتصم الكتب، وينظر ابن عمَّار في الدواوين، ثم استوزر ابن الزيات بعد قليل وصرف ابن عمَّار صرفاً جميلاً، ويبدو أن الفضل بن مروان كان يتوسم في ابن الزيات الذكاء والفطنة، وكان يخشى أن تتاح له الفرصة فينافسه، ولذلك كان يضطهده ويزدريه، قيل: «كان الفضل بن مروان نصراني الأصل قليل المعرفة بالعلم، حسن المعرفة بخدمة الخلفاء، وقد حاول أن يسقط محمد ابن عبد الملك الزيات، لأنه كان يتفرس فيه الذكاء النادر والعلم، ولا يحب أن يشاهده في دار الخلافة، ولا أن يخالط أهلها ويعرف اسمه ورسمه»(٢).

وقد استقبل ابن الزيات الوزارة في عهد المعتصم بقوة وثقة واعتداد، واشترط على المعتصم شروطاً قبلها المعتصم، من ذلك أنه لا يلبس القباء بل يلبس الدراعة، ويتقلد عليها سيفاً طويل الحمائل، وأن يُفْردَ له حرس خاص يقوم على حراسته وخدمته، وقد أجاب المعتصم وأعطى ابن الزيات ما أراد(٣)، وكان ابن الزيات يعتز بالمنزلة التي وصل إليها، وما أسداه المعتصم إليه من المكانة التي تفرد بها ولم تكن لوزير قبله، فكان يقول: «قد صنع إليَّ الخليفة صنيعة تفرد بها، نقلني من ذل التجارة إلى عز الوزارة»(٤)، وكانت هذه المكانة قد جرَّت عليه حسد حساده، بالإضافة إلى ما عرف

---

(١) الطبري حوادث سنة ٢١٩، وابن الأثير: الكامل في التاريخ ٦/ ٢٣.
(٢) كرد علي: أمراء البيان ص٢٨٢.
(٣) الأغاني ٢٣/ ٥٧.
(٤) كرد علي ص ٢٨٣.

عنه من حزم وشدة واعتداد، والناس في كل زمان ومكان (يرهبون القريب من السلطان، ويغتابونه في السر، ويستثقلون ظله أو يعادونه لعدة أسباب)[١]، وكذلك جُبِل ابن الزيات على الاستقامة والعدل والحرص على أموال الدولة، والضرب على أيدي المتلاعبين، ولو كانوا من خُلَصائه وأصفيائه، ولذلك كان شديداً في أخذ الحق العام وعدم التهاون فيه، والحرص على مال الدولة وعدم الإسراف فيه، فقد كان يسوس أمور الدولة بعقلية التاجر الواعي الحريص، ولم تقتصر محاسبته المتلاعبين بالأموال العامة على الولاة وعمال الخراج وحسب، بل شملت أسرة الخليفة ابنه وأخاه، وقد جرَّت عليه سياسته هذه غضب المتوكل الذي نكبه ونكل به شر تنكيل.

استطاع ابن الزيات بما أوتي من حنكة وحسن تدبير وحزم أن يكسب ثقة المعتصم، فأطلق يده ليدبر أمور الرعية، وكان المعتصم قليل الحظ من العلم، أقرب إلى الأمية منه إلى التعليم، حتى ليقال: إنه كان لا يجيد الخط، ولم يكن في ذكاء أخيه المأمون وعلمه، ولا في قوة أبيه الرشيد وحزمه، وليس له براعة إلا في الأمور العسكرية، وكانت الدولة ضعيفة، وكثر فيها أخلاط الناس من شعوب شتى، وخاصة الفرس والأتراك، وكانت البلاد تضطرب بالعقائد وتضطرم بالثورات التي تؤججها النحل الهدامة، وكانت سياسة ابن الزيات الشديدة الحازمة تعويضاً عما تعانيه الدولة من ضعف، وحين تضعف الدولة يطمع الناس من الولاة والقواد والعمال وأصحاب السلطان فيها، وفي أموال الرعية، فما كان لابن الزيات إلا أن يبسط سلطانه بشدة عادلة وسلطان قوي، فحاسب الولاة على الأموال، واستصفى الأموال من المختلسين ونكل بهم، حتى إنه كان يعذبهم بالتنور الذي ابتكره ليستخرج منهم الأموال المختلسة والضياع المنهوبة، وكان يرى أن النظام لا يستقر ولا تستعيد الدولة هيبتها وسلطانها إلا بالشدة والحزم والعقاب لمن يستحق العقاب، وإن بالغ في حزمه وشدته وقسوته مع المطالبين بالأموال، فكان يعذبهم بالتنور ليستخرج منهم ما اختلسوه من الأموال، وليردع غيرهم من الطامعين الذين يعيثون في الأرض فساداً، وقد بالغ بعض المؤرخين حين جعلوا القسوة طبيعة في نفس ابن الزيات، فقد رووا على لسانه بأن قال: الرحمة

---

(١) كرد علي : أمراء البيان ص ٢٨٤.

(خَوَرٌ في الطبيعة، وضعف في المُنَّة)، وقوله: (ما رحمت شيئاً قط)[١]، فكان خصومه ـ وهم كُثْر ـ يطعنون عليه في دينه بهذا القول، وكثر الحاسدون له والناقمون عليه، والساخطون على سياسته، ولكن هناك من الكتاب من يلتمس لابن الزيات العذر ويبرر هذه القسوة، ومنهم الأستاذ محمد كرد علي الذي يقول: «وفي سنة ٢٢٩هـ نصب ابن الزيات لأصحاب المظالم العداوة، فكشفوا وحبسوا، وأقيموا للناس، ولقوا كل جهد، ومن جملتهم صديقه إبراهيم بن العباس الصولي، نسي صداقته في مطالبته بما تأخر في ذمته من حق بيت المال، فاستهدف لهجائه، وهكذا كان ابن الزيات مع سائر الناس لا يجيز لعامل أن يسرق، ولا للرعية أن تتلكأ في أداء ما عليها حتى ينتظم سير الأعمال»[٢]، فابن الزيات رجل دولة حازم، لا يريد أن يعبث عابث بالمال العام، ولا أن تتبدد أموال الدولة بأيدي المختلسين، وقد هُجي ابن الزيات بسبب هذه السياسة وهذه الشدة، ولكن هل كانت الأموال التي يستصفيها يفيد منها أو تذهب إلى خزانته، أم إلى خزانة الدولة ولتدبير مصالحها، سنجد الجواب في آخر المطاف حينما نكل به المتوكل بتحريض من خصمه أحمد بن أبي دواد وطمعاً بماله، فلم يجد المتوكل لديه من الأموال ـ وهو الموسر ابن الموسرين ـ ما يستوجب ذلك العقاب، فندم المتوكل وخسر رجلاً ليس عنه عوض.

ولرب سائل يسأل: هل كانت سياسته هذه في استخلاص الأموال والحرص عليها ومحاسبة المختلسين والمبذرين سواء كانوا من خصومه أو أصدقائه، سياسة لأغراضه الخاصة، أم كانت سياسة عامة لا يحيد عنها حتى لو مست أمور الخلافة وتبذير السلطان على ملذاته وعلى أسرته، ونترك الجواب في هذا للأحداث التي رافقت سياسته في وزارته، والأحداث تقول: إن المعتصم أمر بأن يعطى ابنه الواثق (هارون الواثق بن المعتصم) عشرة آلاف ألف درهم[٣] يستعين بها على أمره، ويصلح بها ما يحتاج إلى صلاحه، فدافعه ابن

(١) الأصفهاني: الأغاني ٢٣/ ٥٧.
(٢) أمراء البيان ص٢٩٠.
(٣) وقيل: أمر له بما قيمته ألف ألف دينار، فمحاها ابن الزيات وكتب ما قيمته ألف ألف درهم، وكان محمد قد أجاد محوه فجعل الدينار درهما، وعلم المعتصم أن رأي ابن الزيات في الاقتصاد أصلح.

الزيات في ذلك مدافعة متصلة، أحوجت الواثق إلى شكايته إلى المعتصم، فأنكر المعتصم تأخر المال عن ولده، فقال ابن الزيات: يا أمير المؤمنين، العدل أولى بك، وأشبه بقولك وفعلك، ولك عدة أولاد أنت في أمرهم بين خلتين، إما أن تسوي بينهم في العطية، فتجحف بيت المال، وإما أن تخص بعضهم فتحيف على الباقين... فقال المعتصم: قد رهنت لساني، فما تصنع؟ قال: تأمر لباقي ولدك بإقطاعات وصلات، وتطلق لهارون (الواثق) صدراً من المال، فأدافعه بباقيه، ويتسع الأمر قليلاً، وتدبره بعد ذلك بما تراه، فقال له: وفقك الله، فما زلت أعرف الصواب في مشورتك، وتأدّى الخبر إلى هارون فحلف بعتق عبيده وما يملكه، وبحبس عدة خيل، ووقف عدة ضياع، وصدقة مال جليل، لئن ظفر بمحمد بن عبد الملك الزيات ليقتلنَّه، وكتب اليمين بخطه، وجعلها في درج وأودعها دايته(١). ولكن الواثق حين أفضت إليه الخلافة لم يقتله، بل وجد أن الدولة محتاجة إليه، وإلى صلاحه وحزمه، كما سيأتي.

ولم تكن شدة ابن الزيات على الواثق بن المعتصم حرصاً على المال ومنعاً للتبذير وحسب، بل كانت شدته وقسوته على تربيته وصلاحه واستقامته أيضاً، وبيان ذلك أن معلماً للواثق شكا إلى المعتصم بأن الواثق لا يتعلم، فإذا طالبه بذلك شتمه، ووثب عليه، فأمر المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات بأن يضرب الواثق أربع مقارع، فخرج محمد واستدعى الواثق، وضربه ثلاث عشرة مقرعة، حتى مرض، فلما عرف أبوه الخبر أنكر ذلك، وحلف للواثق أنه ما أمر محمداً إلا بأن يضربه أربع مقارع، فأخفاها الواثق في نفسه، فكان يبغضه، وعلم محمد بذلك فكان يقصده في ضياعه وأملاكه لما ترعرع، وقيل: إن الواثق أقسم على قتل ابن الزيات حين تفضي الخلافة إليه، وإنه قال لخادمه: «قد تمَّ عليَّ من هذا الكلب كل مكروه، فإن أفضت الخلافة إليَّ، فقتلني الله إن لم أقتله، ثم قال له: أنت خادمي وثقتي، فإن أفضى هذا الأمر إليَّ فاقتله ساعة أخاطب بالخلافة، ولا تشاورني، وجئني برأسه»(٢).

وما دمنا في صدد الحديث عن حرص ابن الزيات على المال العام وحزمه وشدته

---

(١) أعتاب الكتاب ص١٣٤ ـ ١٣٥، والفخري ص٢٣٢، ونشوار المحاضرة ٨/ ١٤ ـ ١٥.
(٢) الوافي بالوفيات ٤/ ٣٣، أعتاب الكتاب ص١٣٥، الفخري ص٢٣٢.

وحسن تدبيره، وقد مضى الكلام عن سياسته في عهد المعتصم، فلنواصل الحديث عن سياسته في عهد الواثق، ولنقدم لذلك بالكيفية التي صار بها وزيراً، وقد مر بنا أن قصة الكلأ وما رافقها من مصادفة، وما كان من استعداد ابن الزيات العقلي والثقافي، كل ذلك مكنه من وزارة المعتصم، فإن الكفاءة وحسن الأداء وحاجة الدولة إليه مكنته من الوزارة ثانية.

توفي المعتصم ونودي بالواثق خليفة بعده، وكان الواثق عاقلاً حصيفاً حليماً، وحضر الكتَّاب في أول يوم، وكان ابن الزيات مع من حضر، فطلب الواثق من الكتاب ـ غير ابن الزيات ـ بأن يكتب كلٌّ منهم نسخة بخبر وفاة المعتصم وتقلده الخلافة، فكتبوا بأسرهم، وعرضوا ذلك عليه، فلم يرضه، فقال لمحمد: اكتب أنت، فكتب في الحال بلا نسخة، كتاباً حسناً، وعرضه عليه، فاستحسنه، وأمر بتحرير الكتب عليه، ولم يبرح حضرته حتى أقره على الوزارة، وخرج من بين يديه والناس كلهم خلفه. قال الخادم: فعجبت من ذلك، وقلت: تراه أنسى ما كان أمرني به؟ لمَ لا أستأذنه في ذلك وأذكره به؟ فتقدمت إليه لما خلا وأذكرته الحديث، واستأذنته، فقال: «ويحك، السلطان إلى محمد بن عبد الملك أحوج من محمد إلى السلطان، دعه»(١).

وفي رواية ابن خلكان تفصيل وبيان، قال: فجيء بابن الزيات وهو واجم مضطرب، فلما وقف بين يديه قال له: اكتب.... فأخرج من كُمِّه نصفاً، ومن خُفِّه دواة، وابتدأ يكتب بين يديه حتى فرغ من الكتاب. ثم أخرج خريطة فيها حصى، فأترب الكتاب وأصلحه، وتقدم فناوله إياه، فوجده قد أتى على جميع ما في نفسه، فأعجب به جداً، وقال: اختمه، فأخرج من الخريطة طيناً فوضعه عليه، وتناوله فختمه، وأنفذه من ساعته. فقال الواثق لخادم له: امضِ إلى دايتي وقل لها توجه إليَّ بالدرج الفلاني، فمضى الخادم فجاء به، فأخرج الرقعة ودفعها إليه، فقال ابن الزيات: يا أمير المؤمنين، أنا عبد من عبيدك، إن وفيت بيمينك فأنت محكم. وإن غفرت وصفحت كان أشبه بك، قال: لا والله، ما يمنعني من الوفاء بيميني إلا التعاسة على أن يخلو الملك من مثلك، وأمر بعتق من حلف بعتقه، ووقف الضياع، وحبس الخيل، وأنفذ صدقة المال، وقال الواثق: «عن

---

(١) أمراء البيان ص٢٨٩.

المال والفدية من اليمين عوض، وليس عن المُلْك وابن الزيات عوض »[١].

وعلت منزلة ابن الزيات في زمن الواثق، وأطلق يده في الحكم، وكان معجباً به محباً له، ومصداق ذلك ما رواه محمد بن الفضل بن الأسود الكاتب، قال: حدثني ابن قريش ابن أنس عن أبيه قال: « دخلت على الواثق فقال لي: يا أبا قريش، اخرج رقعة من تحت المصلى، فمددت يدي فأخرجت الرقعة وقرأتها، وقلت: يا أمير المؤمنين، رقعة حسنة، أولها تشوق، وأوسطها استعتاب، وآخرها استبطاء، وإذا آخر الرقعة:

إنْ يكنْ حبلُكَ من حبلي وهَى   فإلى شوقي يكونُ المنتهى
لم يذكِّرْنيكَ خطْبٌ حادِثٌ   إنما يذكر مَنْ كان سها

وكانت الرقعة من محمد بن عبد الملك، فقال الواثق: ويلومني الناس على حب محمد بن عبد الملك »[٢]، وقد رفع الواثق من شأن ابن الزيات وأكرمه ووقره، من ذلك أنه أمر أن لا يرى أحدٌ من الناس محمد بن عبد الملك الوزير، إلا قام له، واستمر ابن الزيات في عهد الواثق يواصل سياسته الحازمة العادلة الحريصة على أموال الدولة والضرب على أيدي المتلاعبين والمختلسين والمسرفين، حتى لو كانوا من أهل السلطان وحاشيته والمقربين إلى الخليفة، ومما يلاحظ أن هناك فئة كانت في بغداد في عهد الواثق تعبث بأموال الدولة وتجمع من أموال الخراج ما شاء لها أن تجمع، من مثل إيتاخ، وكاتبه سليمان بن وهب، وعلي أشناس، وكاتبه أحمد بن الخطيب، فكبر الأمر على ابن الزيات، وحاول أن يضع حدا لعبث القواد الأتراك وجندهم، وأن ينبه الخليفة إلى عبث هؤلاء وفسادهم وظلمهم، وإرهاب الرعية وابتزازهم، فكتب ابن الزيات قصيدة على أنها لبعض أهل العسكر، وأوصلها إلى الواثق، وفيها حث على الضرب على أيديهم ومنعهم من إهدار الأموال وخراب الديار، وفي هذه القصيدة يقول:[٣]

---

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٩٩ ، الوافي بالوفيات ٤ / ٣٣ .
(٢) الديوان ١٧٠ .
(٣) الأغاني ٢٠ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، أعتاب الكتاب ص١٣٨ ، والديوان ق ١٢٠ .

يا ابن الخلائف والأملاكِ إنْ نُسبوا   حُزْتَ الخلافَةَ عن آبائكَ الأُوَلِ
أَجُرْتَ أم رقدتْ عيناكَ عن عَجبٍ   فيهِ البريةُ من خوفٍ ومن وَجَلِ
ولَّيْتَ أربَعَةً أمْرَ العِبادِ معاً   وكلُّهمْ حاطِبٌ في حبْلِ مُحْتَبِلِ

ويسمي واحداً واحداً وما جنت يداه ويحرضه على التنكيل بهم وفي آخر القصيدة بقوله:

عثْ فيهمُ مثلَ ما عاثَتْ يداهُ معاً   على البرامكِ بالتهديمِ للقُلَلِ

وكان ابن الزيات يقف مواقف رشيدة حازمة في وجه الإسراف وهدر الأموال وإنفاقها في غير الوجه الصحيح، حتى لو جاء هذا الإسراف من قبل الخليفة نفسه، وفي قصة الجارية (قلم الصالحية) خير دليل على هذا الزعم، والقصة كما رواها أبو الفرج الأصفهاني تقول: «كانت قلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب، إحدى المغنيات المحسنات المتقدمات، فغُني بين يدي الواثق لحن لها في شعر محمد بن كناسة، قال:

فيَّ انقباضٌ وحشمةٌ فإذا   صادفتُ أهلَ الوفاءِ والكرمِ
أرسلتُ نفسي على سجيَّتِها   وقلتُ ما قلتُ غيرَ محتشمِ

فسأل لمن الصنعة فيه؟ فقيل: لقلم الصالحية جارية صالح بن عبد الوهاب، فبعث إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأحضره، فقال: ويلك، مَنْ صالح بن عبد الوهاب هذا؟ فأخبره، قال: أين هو؟ قال: ابعث فأشخصه وأشخصْ معه جاريته، فقدما على الواثق، فدخلت عليه قلم، فأمرها بالجلوس والغناء، فغنت، فاستحسن غناءها وأمر بابتياعها، فقال صالح: أبيعها بمائة ألف دينار وولاية مصر، فغضب الواثق من ذلك، ورد عليه، ثم غنى بعد ذلك زُرْزُورٌ الكبير في مجلس الواثق صوتاً، والشعر فيه لأحمد بن عبد الوهاب أخي صالح، والغناء لقلم، وهو:

أبتْ دارُ الأحِبَّةِ أنْ تبينا   أجِدَّكَ ما رأيتَ لها معينا (١)
تقطعُ نفسُهُ من حُبِّ ليلى   نفوساً ما أُثِبْنَ ولا جُزينا

(١) أجِدَّكَ أي: أجداً منك، أي: أحقا ما تقول.

فسأل: لمن الغناء؟ فقيل له: لقلم جارية صالح، فبعث إلى ابن الزيات فأشخص صالحاً ومعه قلم، فلما أشخصهما دخلت على الواثق، فأمرها أن تغنيه هذا الصوت، فغنته، فقال لها: الصنعة فيه لك؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: بارك الله عليك، وبعث إلى صالح فأُحْضِرَ، فقال: أما إذا وقعت الرغبة فيها من أمير المؤمنين فما يجوز أن أملك شيئاً له فيه رغبة، قد أهديتها إلى أمير المؤمنين، فإنَّ من حقها عليَّ إذا تناهيت في قضائه أن أصيِّرها ملكه، فبارك الله له فيها، فقال له الواثق: قد قبلتها، وأمر ابن الزيات أن يدفع إليه خمسة آلاف دينار، وسمّاها احتياطاً، فلم يعطه ابن الزيات المال، ومطله به، فوجَّهَ صالح إلى قلم مَنْ أعلمها ذلك، فغنت الواثق ـ وقد اصطبح ـ صوتاً، فقال لها: بارك الله فيكِ وفيمن ربَّاك، فقالت: ياسيدي، وما نفع من رباني منِّي إلا التعب والغُرم عليَّ والخروج مني صفراً؟ قال: أو لم آمرْ له بخمسة آلاف دينار؟ قالت: بلى، ولكن ابن الزيات لم يعطه شيئاً، فدعا بخادم من خاصَّة الخدم، ووقع إلى ابن الزيات بحمل الخمسة آلاف الدينار إليه، وخمسة آلاف دينار أخرى معها، قال صالح: فصرت مع الخادم إليه بالكتاب، فقربني وقال: أما الخمسة آلاف الأولى فخذها فقد حضرت، والخمسة آلاف الأخرى أدفعها إليك بعد جمعة، فقمت، ثم تناساني كأنه لم يعرفني، وكتبت أقتضيه، فبعث إليَّ: اكتب لي قبضاً(١) بها وخذها بعد جمعة، فكرهت أن أكتب قبضا بها فلا يحصل لي شيء، فاستترت في منزل صديق لي، فلما بلغه استتاري خاف أن أشكوه إلى الواثق فبعث إليَّ بالمال، وأخذ كتابي بالقبض، ثم لقيني الخادم بعد ذلك فقال لي: أمرني أمير المؤمنين أن أصير إليك فأسألك: هل قبضت المال؟ قلت: نعم قد قبضته، قال صالح: وابتعت بالمال ضيعة، وتعلقتُ بها وجعلتها معاشي، وقعدت عن عمل السلطان، فما تعرضت منه لشيء بعدها»(٢).

ويتضح من هذا أن ابن الزيات كان يماطل في دفع المال الذي يراه إسرافاً، وكان الخليفة يعرف أن سياسة ابن الزيات في ردع الطامعين سياسة حكيمة، فلا يعترض،

---

(١) أي وصلاً بالاستلام.

(٢) الأغاني ١٣ / ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

وقد أراد أن يستوثق من دفع المال دون أن يلوم وزيره أو يعاقبه، وتتضح شخصية ابن الزيات ـ من خلال هذا النص ـ قوية مهيبة، مخشية الجانب، وهو في سياسته هذه يريد أن يحد من إسراف الخليفة والتمادي في نزواته فيماطل في دفع المال الذي ينفق في وجوه اللهو والشهوات، ليدخره لبيت المال.

وكان ابن الزيات في وزارته للواثق شديداً على أخيه جعفر المتوكل، يعامله بقسوة وجفاء، لما رأى فيه من رعونة وسفه وانصراف إلى اللهو، فكان يصده ويردعه قصد تقويمه وإصلاحه، روى الطبري في سبب غضب المتوكل ـ حين صار خليفة ـ على ابن الزيات والتنكيل به: «أن الواثق كان استوزر محمد بن عبد الملك الزيات، وفوَّض إليه الأمور، وكان الواثق قد غضب على أخيه جعفر المتوكل لبعض الأمور، فوكل عليه عمر بن فرج الرُّخَجي ومحمد بن العلاء الخادم، فكانا يحفظانه ويكتبان بأخباره في كل وقت، فصار جعفر (المتوكل) إلى محمد بن عبد الملك يسأله أن يكلم له أخاه الواثق ليرضى عنه، فلما دخل عليه مكث واقفاً بين يديه ملياً لا يكلمه، ثم أشار إليه أن يقعد، فقعد، فلما فرغ من نظره في الكتب التفت إليه كالمتهدد له، فقال: ما جاء بك؟ قال: جئتُ لتسألَ أمير المؤمنين الرضا عني، فقال لمن حوله: انظروا إلى هذا، يغضب أخاه، ويسألني أن أسترضيه له، اذهب، فإنك إذا صلحت رضي عنك، فقام جعفر كئيباً حزيناً لما لقيه به من قبح اللقاء والتقصير به، فخرج من عنده، فأتى عمر ابن فرج ليسأله أن يختم له صكَّه ليقبض أرزاقه، فلقيه عمر بن فرج بالخيبة وأخذ الصك فرمى به إلى صحن المسجد»(١)، ثم ترفق به أبو الوزير أحمد بن خالد، وكان حاضراً، فقال له: ابعث إليَّ بوكيلك، فبعث جعفر بوكيله فدفع إليه عشرين ألفاً.

وكان هذا الجفاء من ابن الزيات للمتوكل يقابله استرضاء وحنان من خصمه أحمد بن أبي دواد، فحين خرج المتوكل قصد ابن أبي دواد فدخل عليه، فقام له أحمد واستقبله على باب البيت، وقبَّله والتزمه، وقال له: جئتُ لتسترضي لي أمير المؤمنين، فقال: أفعل ونعمة عين وكرامة، وكلَّم أحمد بن أبي دواد الواثق، فوعده ولم يرض عنه. أما ابن الزيات فحين خرج المتوكل من عنده كتب إلى الواثق يقول: «يا أمير المؤمنين،

(١) الطبري ١٠ / ٥.

أتاني جعفر بن المعتصم يسألني أن أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه في زي المخنثين، له شعر قفاه، فكتب إليه الواثق، ابعث إليه فأحضره، ومُرْ مَنْ يجزُّ شعر قفاه، ثم مُرْ من يأخذ من شعره ويضرب به وجهه، واصرفه إلى منزله»[١]، ويذهب الرسول إلى المتوكل، فلبس المتوكل سواداً جديداً، وجاء آملاً أن يجد أن الواثق قد رضي عنه، فلما حضر دعا ابن الزيات حجاماً، وقال له: خذ شعره واجمعه، فأخذه على السواد الجديد، ولم يأته بمنديل، فأخذ شعره وشعر قفاه وضرب وجهه. قال المتوكل: «فما دخلني من الجزع على شيء مثل ما دخلني حين أخذ على السواد الجديد، وقد جئته فيه طامعاً في الرضا، فأخذ شعري عليه»[٢]. ولما توفي الواثق أشار ابن الزيات بخلافة ابن الواثق، وتكلم في ذلك، وجعفر المتوكل في حجرة أخرى يسمع، فلما ولي المتوكل، كان هلاك ابن الزيات.

مازلنا في سيرة ابن الزيات وهو في الوزارة، وقد كان يتصرف تصرف الواثق المتمكن الشديد الحازم، مع شيء غير قليل من قسوة كانت كائنة في طبعه وتكوينه، وقد رسَّخ أسساً ورسوماً لمراسيم الخلافة، فقد تولى ابن الزيات الوزارة لمدة أربع عشرة سنة لخليفتين دون انقطاع، وهما المعتصم والواثق، وتولى لفترة قصيرة للمتوكل (أمدها أربعون يوماً)، ولاشك أن من يحكم مدة طويلة، ويكون حازماً شديداً يتعرض لحسد الناس وكرههم ومكايدهم، وتشاع عنه أقاويل، بعضها له أصل صحيح فتضخَّم، وبعضها محض افتراء، من ذلك قسوته وكيده لخصومه، وكيد الخصوم له أيضاً، وكل امرىء معرض للخطأ والزلل وهوى النفس، وكذلك كان أمر ابن الزيات، ومن الناس من كان يلتمس لشدته العذر، ويجد فيها صلاح الدولة، ومنهم من يؤاخذه عليها ويعدها في عداد مساوئه، ولذلك فقد تعرض ابن الزيات لمدح المحبين والمعجبين من الشعراء والكتاب، وذم المبغضين وهجائهم الهجاء الشديد.

وقد كان مما يذكر من محامد ابن الزيات أنه قرَّب العلماء وأجلَّهم وأكرمهم، وحثَّهم على ترجمة العلوم، فترجموا له كتباً في الطب، وكان له نقلة ونسَّاخ

---

(١) الطبري ١٠ / ٦.

(٢) الطبري ١٠ /٧.

ينسخون له، وترجم له العلماء والأطباء كتباً من اليونانية، ونُقل باسمه عدة كتب من اليونانية وترجمت باسمه جماعة من أكابر الأطباء مثل يوحنا بن ماسويه وجبرائيل بن بختيشوع، وبختيشوع بن جبرائيل، وداود بن سرابيون، وسلمويه بن بنان، واليسع وإسرائيل بن زكريا بن الطيفوري، وحبيش بن الحسن، وكان يغدق على النسَّاخ والمترجمين في كل شهر ألفي دينار(١)، وكان من جملة الأدباء الكبار المقربين إليه الجاحظ الذي أهدى له كتاب الحيوان(٢)، وقد أثني عليه الجاحظ لتقريبه الأدباء والإغداق عليهم فقال:(٣)

بدا حين أثرى بإخوانه ففلَّلَ منهم شَباةَ العَدَمْ
وأبصر كيف انتقالُ الزمـا ن فبادرَ بالعُرْفِ قبلَ النَّدَمْ

ولاحتفال ابن الزيات بالعلم والعلماء أن كانت له مكتبة عامرة حافلة بمختلف العلوم والفنون، وكانت منهلاً للعلماء والأدباء وكان ابن الزيات حريصا على اقتناء كل نفيس من الكتب، روى الجاحظ قال: «أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم، ففكرت في شيء أهديه له، فلم أجد أشرف من كتاب سيبويه، فلما وصلت إليه قلت: لم أجد شيئاً أهديه لك مثل هذا الكتاب، وقد اشتريته من ميراث الفرَّاء، فقال: والله ما أهديت لي شيئاً أحب إليَّ منه»، وفي رواية أن ابن الزيات قال: «أو ظننت أن خزانتنا خالية من هذا الكتاب؟ فقال الجاحظ: ما ظننت ذلك، ولكنها بخط الفرَّاء، ومقابلة الكسائي، وتهذيب أبي عمرو الجاحظ، يعني نفسه، فقال ابن الزيات: هذه أجل نسخة توجد وأعزها، فأحضرها إليه، فسُرَّ بها ووقعت منه أجمل موقع»(٤).

---

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ١/٢٠٦، الجبوري: الكتاب في الحضارة الاسلامية ص٢١٥.
(٢) ياقوت: معجم الأدباء ٥/٢١١٧.
(٣) الحصري: زهر الآداب ٢/٥٤١.
(٤) وفيات الأعيان ١/٥٤٩، الأنباري: نزهة الألباء ص ٧٤ ـ ٧٥، تاريخ بغداد ١٢/١٩٦، معجم الأدباء ٦/٨٥ ـ ٨٦.

وكان ابن الزيات يحب أن تترسخ أصول الحكم، ويكون للخلافة هيبة، فابتدع أموراً فيها توقير لمظاهر السلطان وأبهة الحكم، وكان يلتزم بهذه الأمور رغبة في أن يقتدي به الوزراء من بعده، من ذلك أنه إذا أراد أن يختم الكتاب، دعا بدرج فيه الخاتم، فإذا جيء به وهو خاتم الملك، قام قائما فأخذه إجلالاً له، ثم جلس فأخرجه، وختم الكتاب به ورده إلى الدرج، وختم عليه. وقد أهلته مقدرته وحرصه على هيبة الخلافة أن يكون ذا قدر ومكانة مكينة لدى الخلفاء، من ذلك أنه كان إذا خلا بالخليفة يناقشه في بعض أمور الخلافة، ولم يكن وزيراً منفذاً وحسب، وقد أعطي صلاحية أن يعقد للولاة في دار الخلافة ، ولم تكن العادة كذلك قبله، فقد ابتدع هذا الأمر تعظيماً لأمر الولاية، من ذلك أنه عقد لإسحاق بن إبراهيم على اليمامة والبحرين وطريق مكة مما يلي البصرة، في دار الخلافة، قالوا: «ولم يذكر أن أحداً عقد لأحد في دار الخلافة إلا الخليفة غير محمد بن عبد الملك الزيات، كما لم يعهد أن أحداً بدأ الكلام مع الخلفاء قبل أن يبدؤوه غير أحمد بن أبي دواد»(١).

وكان ابن الزيات يراعي عواطف العامة، ويجيد سياستهم، ويرى أن إثارتهم وتهييجهم سبب في الفتنة وقد نظم هذا المعنى جحظة البرمكي في قوله:(٢)

أرى الإرجافَ متصلاً بحالٍ ... ولابسَ حليتي كِبْرٍ وتيهِ

وإرجافُ العوامِ مقدماتٌ ... لأمرٍ كائنٍ لا شكَّ فيهِ

فكان يجلس للمظالم، وينظر في شكاوى الناس، ويعطي ذا الحق حقه، ويرد عليه ما اغتُصِب من ماله، حتى لوكان الغاصب وكيل ابن الزيات نفسه، والمال مال ابن الزيات، روى أبو الفرج عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: «جلس أبي يوماً للمظالم، فلما انقضى المجلس، رأى رجلاً جالساً، فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، تدنيني إليك، فإني مظلوم، فأدناه، فقال: إني مظلوم وقد أعوزني الإنصاف، قال: ومن ظلمك؟ قال: أنت، ولست أصل إليك فأذكر حاجتي، قال: ومن يحجبك

---

(١) أمراء البيان ص ٢٩١.

(٢) معجم الأدباء ٣/ ١٠١٩. ديوان جحظة البرمكي ص٧٦.

عني وقد ترى مجلسي مبذولاً؟ قال: يحجبني عنك هيبتي لك وطول لسانك، وفصاحتك، واطِّراد حجتك، قال: ففيمَ ظلمتُك؟ قال: ضيعتي الفلانية، أخذها وكيلك غصباً بغير ثمن، فإذا وجب عليها خراج أدَّيتُه باسمي لئلا يثبت لك اسم عليها، فيبطل ملكي، فوكيلك يأخذ غلَّتَها، وأنا أؤدي خراجها، وهذا مما لم يسمع في الظلم مثله، فقال محمد: هذا قول تحتاج إليه إلى بيِّنة وشهود وأشياء، فقال له الرجل: أيؤمنني الوزير من غضبه، حتى أجيب؟ قال: قد أمَّنتك، قال: البينة هم الشهود، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شيء، فما معنى قولك: بينة وشهود وأشياء، إيش هذه الأشياء إلا العي والحَصَر والتغطرس، فضحك وقال: صدقت، والبلاء موكل بالمنطق، وإني لأري فيك مصطنعاً، ثم وقَّع له برد ضيعته، وصيَّره من أصحابه واصطنعه»[١]، وفي هذه الرواية دلالة واضحة على عدل ابن الزيات وإنصافه وسعة صدره في أمور الحق.

ابن الزيات الإنسان:

حياته الخاصة، وصلاته بأعلام عصره:

نشأ ابن الزيات في عهد المأمون وكان شاباً ذكياً فطناً طموحاً، وقد استهواه الأدب، فنظم الشعر، ومال إلى الكتابة، فشغف بمصاحبة العلماء والكتَّاب وأصحاب الديوان، فلازمهم وحضر مجالسهم، وقد حظي بصحبة أعلام كتاب العصر في ديوان المأمون والمعتصم، من مثل عمرو بن مسعدة، وأحمد بن يوسف، وسهل بن هارون، والفتح بن خاقان، وطاهر بن الحسين، والجاحظ، وغيرهم من كبار الكتاب، وقد تعلم من هؤلاء، وفي ديوان الخلافة أساليب الكتابة وأصول المراسلات، ونظام الإدارة، وبالإضافة إلى ذلك أخذ أصول العربية وعلومها من اللغويين والأدباء الذين عاصرهم، وحضر مجالسهم، فقد عاش في عصر ازدهار الرواية والعلم ونضج علوم العربية، وكان في هذا العصر أفذاذ اللغويين والأدباء من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي والأصمعي وأبي عبيدة والكسائي وأبي زيد الأنصاري والفرَّاء والمازني وقطرب وغيرهم، وقد مر

---

(١) الأغاني ٢٣/ ٥٢ ـ ٥٣.

بنا أن أبا عثمان المازني كان يرى فيه الفتى النابغ الذي يرجع إليه إذا اختلف المتعلمون في مسألة من مسائل النحو واللغة، فقد روى ميمون بن هارون الكاتب: «أن أبا عثمان المازني لما قدم بغداد أيام المعتصم، كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو، فإذا اختلفوا فيما يقع فيه شك، يقول لهم المازني: ابعثوا إلى هذا الفتى الكاتب ـ يعني محمد بن عبد الملك ـ اسألوه، واعرفوا جوابه، فيفعلون، فيصدر الجواب من قبله بالصواب الذي يرتضيه المازني، ويقفهم عليه»(١)، وقد مر بنا أيضاً أن معرفته بالعربية وإلمامه الواسع بها كانت سبيلا لوصوله إلى الوزارة، وهي قصة الكلأ التي تقول: إن كتاباً من بعض العمال ورد على المعتصم، فقرأه عليه وزيره أحمد بن عمَّار، وكان في الكتاب ذكر الكلأ، فقال المعتصم: ما الكلأ؟ فقال: لا أعلم، وكان قليل المعرفة بالأدب، فقال المعتصم: خليفة أمي ووزير عامي!! وكان المعتصم ضعيف الكتابة، ثم قال: ابصروا من بالباب من الكتاب، فوجدوا محمد بن عبد الملك الزيات، فأدخلوه إليه، فقال له: ما الكلأ ؟ فقال: الكلأ العشب على الإطلاق، فإن كان طرياً فهو الخلا، فإذا يبس فهو الحشيش، وشرع في تقسيم أنواع النبات، فعلم المعتصم فضله(٢)، وكان ابن الزيات فطناً محيطاً بعلوم عصره، دقيق الملاحظة بحل المشكلات وما غمض على الآخرين فهمه، من ذلك أن المعتصم سأل مرة جماعة من خواصه عن سبب تسمية طاهر ذا اليمينين، فلم يعلموا، فقال محمد ابن عبد الملك: ذو الاستحقاقين، استحقاق ما لجده من رزق في الدولة واستحقاق ما له في دولة المأمون(٣).

ولم يكن نصيب ابن الزيات وتحصيله في حياة الجد والعلم وحسب، بل كان له نصيبه الوافر من الحياة العامة، فقد شارك الآخرين في لهوهم ومجالس أنسهم، فهو شاعر جيد الشعر يقول في أغراض الشعر العصرية من غزل وهجاء ورثاء ومداعبة الإخوان، وغير ذلك من أغراض وفنون، وما بقي من شعره يصور حياته، فهو سجل لسيرته في

(١) تاريخ بغداد ٣ / ١٤٤، الخزانة ١ / ٤٤٩.
(٢) الوافي بالوفيات ٤ / ٣٢، لطائف الأخبار ص٣٣، الخزانة ١ / ٤٤٩.
(٣) كرد علي ص ٢٨٢، وانظر الأعلام للزركلي ٣ / ٢٢١.

حالتي الرضا والغضب، والوصل والعتاب، والجد والمجون ، ويبدو أنه ذاق حلاوة العشق وتعلق بالنساء، واستمتع بشبابه، وهو يفصح عن ذلك في قوله :(١).

تَجَلَّدْتُ في حُبِّي وما بي قُوَّةٌ ولي زَفَراتٌ شاهداتٌ على عِشْقِي

وهو منجذب إلى النساء رقيق معهن طيِّع لديهن :(٢)

إن الغواني وكلّ شيء يقالُ فاقْبَلْهُ في الغَواني
يَنَلْنَ حاجاتهنَّ عندي بلمحة الأعينِ الحِسانِ

وذكر عنه أنه كا يعشق جارية من جواري القيان، فبيعت من رجل من أهل خراسان، فأخرجها ذلك الرجل، فذهل عقله حتى غُشي عليه، ولما أفاق أنشد :(٣)

يا طول ساعات ليل العاشقِ الدَّنِفِ وطولِ رِعْيَتِهِ للنَّجْمِ في السَّدَفِ
ماذا تُواري ثيابي من أخي حُرَقٍ كأنما الجسمُ منه دِقَّةُ الألِفِ
ما قال يا أسَفَى يعقوبُ من كمدٍ إلا لطولِ الذي لاقى من الأسفِ
مَن سرَّهُ أن يرى ميتَ الهوى دَنِفا فليسْتَدِلَّ على الزياتِ وَلْيَقِفِ

وهو رقيق العاطفة وفي لمن يحب، كان يحب زوجته (سكرانة) وهي أم ابنه عمر، وتوفيت فبكى عليها وتحسر ورثاها بصادق الرثاء، يقول :(٤)

يقول لي الخلاّن لو زُرْتُ قبرَها فقلتُ وهلْ غيرُ الفؤادِ لها قَبْرُ
على حين لم أُحدِثْ فأجهل قدرَها ولم أبلغ السِّنَّ التي معها الصبرُ

ورثاها في قصيدة أخرى، صور فيها حاله بعد فراقها، وحال ابنه الطفل الذي لم يجاوز الثماني سنوات، يتذكرها في الليل، ويريد أن ينام في حضنها فلا يجد إلى ذلك سبيلا، وهي قصيدة من أروع القصائد التي قيلت في رثاء الزوجات ويُتم

---

(١) الديوان ق ١٠٠ .
(٢) الديوان ق ١٥٣ / البيت = ب ٧-٨ .
(٣) تاريخ بغداد ٣ / ١٤٥ ، الديوان ق ٩٤ .
(٤) الأغاني ٢٣ / ٥٨ ، ق ٥٤ .

الأطفال، يبدؤها بقوله: [1]

ألا من رأى الطفلَ المفارقَ أُمِّه　　بُعيدَ الكرى عيناهُ تبتدرانِ
رأى كلَّ أُمٍّ وابنها غير أمِّه　　يبيتان تحتَ الليلِ ينتجيانِ

وفيها يقول:

فهبني عَزَمْتُ الصبرَ عنها لأنني　　جليدٌ فمن للصبرِ لابنِ ثمان
ضعيفُ القوى لا يطلبُ الأجرَ حِسْبَةً　　ولا يأتَسي بالناسِ في الحَدَثانِ

أما مجالس الأنس واللهو فقد حضرها، وشرب الخمر وتغنى بها، ووصف مجالسها وحديث ندمائها، على شاكلة قوله: [2]

سُقْياً لمجلسنا الذي جُمِعَتْ به　　طُرَفُ الحديثِ وطاعةُ الجُلاَّس
ظَلْنا ويحيى كالمؤمَّرِ بيننا　　نُسْقى ونشربُ تارةً بالكاسِ
نِصفيْنِ يشربُ بعضُنا من قهوةٍ　　صِرْفٍ تُضيءُ كشُعْلَةِ المِقْباسِ
والآخرونَ على النبيذِ عُكوفُهم　　شَتَّانَ إنْ قسْناهما بقياس

وقد شاعت في عصره بدعة الغزل بالمذكر، ويبدو أن الكتَّاب كانوا ميَّالين إلى هذا الضرب من الغزل، أو قل هذا الشذوذ، وابن الزيات كان موسراً مترفاً، وله غلمان كما له جوارٍ حسان، وفي الرواية التالية دلالة على اتهام الكتاب بحب الغلمان، روى أبو الفرج الأصفهاني، قال: «جاء ابن دنقش الحاجب إلى محمد بن عبد الملك برسالة من المعتصم ليحضر، فدخل ليلبس ثيابه، ورأى ابن دنقش الحاجب غلمانا لهم رُوقة[3] فقال وهو يظن أنه لا يسمع:

وعلى اللواطِ فلا تلومَنْ كاتبا　　إنَّ اللواطَ سجيَّةُ الكُتَّابِ

---

(١) الديوان ق١٤٩.
(٢) الديوان ق٧٥ .
(٣) لهم روقة، أي: فائقو الجمال.

فقال محمد له:

وكما اللواطُ سجيَّةُ الكُتَّابِ　　فكذا الحلاقُ سجيةُ الحُجَّاب[١]

فاستحيا ابن دنقش، واعتذر إليه، فقال له: إنما يقع العذر لو لم يقع الاقتصاص، فأما وقد كافأتك فلا[٢]، ومما يعزز ميل ابن الزيات إلى الغلمان ما روي من أنه كان يحب غلاما لعمير المأموني اسمه بديع، وكان من أحسن خلق الله وجهاً، وكان محمد يحبه ويجنُّ به جنوناً على حد قول الأصفهاني، وقد اجتازه الغلام، وقد ركب الفرس، وتحلى بزي الفرسان، فقال ابن الزيات:[٣]

راح علينا راكباً طِرفَهُ　　أغْيَدُ مثلُ الرشأِ الآنسِ

قد لبسَ القرْطُقَ واستمسكت　　كفَّاهُ من ذي بُرَقٍ يابسِ

وقُلِّدَ السيفَ على غُنْجهِ　　كأنهُ في وقعةِ الدَّاحِسِ

أقولُ لَمَّا أنْ بدا مُقْبِلاً　　يا ليتني فارسُ ذا الفارسِ

وابن الزيات فارس، كان له برذون أشهب لم يُرَ مثلُه فراهة[٤] وحسناً، يغدو به ويروح إلى دار الخلافة، في زي فيه ترف وجمال وأبهة، وهو يعتز به، ويضن به ويقربه، فسعى به محمد بن خالد حيْلَويه إلى المعتصم، ووصف له فراهته، فبعث المعتصم إليه فأخذه منه، ولم يستطع رد الخليفة، فرثى ابن الزيات برذونه، وتحسر عليه، وأسف على فراقه في قصيدة يبدؤها بقوله:[٥]

كيف العزاءُ وقد مضى لسبيله　　عنّا فودَّعنا الأحمُّ الأشهبُ

دبَّ الوشاةُ فأبعدوك وربَّما　　بَعُدَ الفتى وهو الأحبُّ الأقربُ

---

(١) الحُلاق: الأبنة والعيب.

(٢) الأغاني ٢٣/٥٨.

(٣) الأغاني ٢٣/٦٨، والديوان ق٧٧.

(٤) الفراهة: النشاط.

(٥) لأغاني ٢٣/٦٤-٦٥، والديوان ق٥.

للهِ يوم نأيـتَ عنِّـي ظاعنـاً وسُلِبْتُ قُربْكَ أي عِلْقٍ أُسْلبُ

وابن الزيات حريص على حقِّه، لا يحب أن يُسْلَبَ شيئاً ولو كان السالبُ سلطاناً، وقد اتخذ من شعره سلاحاً يخيف الغاصبين ويسترد ما أخذ منه، ويتضح ذلك في استرجاعه المال الذي أخذه إبراهيم بن المهدي (ابن شكلة)، حين طلب الخلافة في زمن المأمون، والقصة كما ذكرها أبو الفرج الأصفهاني رواية عن عبيد الله ابن محمد بن عبد الملك، قال: «لما وثب إبراهيم بن المهدي على الخلافة، اقترض من مياسير التجار مالاً، فأخذ من جدّي عبد الملك عشرة آلاف درهم، وقال له: أنا أردها إذا جاءني مال، ولم يتمَّ أمرُهُ فاستخفى، ثم ظهر ورضي عنه المأمون، فطالبه الناس بأموالهم، فقال: إنما أخذتها للمسلمين، وأردتُ قضاءها من فيئهم[١] والأمر الآن إلى غيري، فعمل أبي محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهدي فأقرأه إياها، وقال: والله لئن لم تعطني المال الذي اقترضته من أبي لأوصلنَّ هذه القصيدة إلى المأمون، فخاف أن يقرأها المأمون فيتدبر ما قاله فيوقع به، فقال له: خذ مني بعض المال ونجِّم عليَّ بعضه، ففعل أبي بعد أن حلَّفهُ إبراهيم بأوكد الأيمان ألا يظهر القصيدة في حياة المأمون، فوفَّى له أبي ذلك، ووفَّى إبراهيم بأداء المال كله»[٢] والقصيدة طويلة جاء فيها قوله:[٣]

ألم ترَ أنَّ الشيءَ للشيءِ علَّةٌ تكون له كالنارِ تُقدحُ بالزَّنْدِ
وظنِّي بإبراهيم أنَّ مكانَهُ سيُبْعَثُ يوماً مثل أيامهِ النُّكدِ
تذكَّرْ أميرَ المؤمنين مقامَهُ وأيمانَهُ في الهزلِ منهُ وفي الجدِّ
أما والذي أمسيتَ عبداً خليفةً لهُ شرُّ أيمانِ الخليفةِ والعبدِ
إذا هزَّ أعوادَ المنابرِ باستِهِ تغنَّى بليلى أو بميَّةَ أو هنْدِ
فواللهِ ما من توبةٍ نزعتْ بهِ إليكَ ولا ميلٍ إليكَ ولا ودِّ

(١) الفيء: الخراج، أوالغنيمة التي تنال بدون قتال.
(٢) الأغاني ٢٣ / ٥٤.
(٣) الديوان ق ٤٩ .

إلى آخر القصيدة التي يذكر فيها طلب إبراهيم الخلافة، وثورته على المأمون ويحرضه على البطشِ بهِ.

وخاض ابن الزيات فيما يخوض فيه الناس من مزح ومداعبات وإخوانيات، ولم يكن في حياته الخاصة مترفعاً عن أصدقائه بعيداً عنهم، فكان يداعب صديقه عيسى ابن زينب ويسخر من ضخامة أنفه الذي يملأ وجهه، ويصفه بأسلوب ضاحك، في مثل قوله: (١)

يا أنف عيسى جزاكَ اللهُ صالحةً ... وزادكَ اللهُ إشراقاً ومتَّسعا
حِصْنٌ حَصِينٌ وعِزٌّ لو تناوَلَه ... كِسْرى الملوكِ أنو شروان لامْتَنَعا
تركتُ عيسى فما عندي مُخاطَبَةٌ ... له وخاطَبْتُ أنفاً طالَ وارتفعا
رأيتُ أنفاً ولم أعلمْ بصاحِبِه ... فقلت: مَن صاحبُ الأنفِ الذي طلعا
قالوا فتى غابَ فيه قلت وا عجبي ... ما إنْ رأى مثلَ ذا راءٍ ولا سمِعا
يا ويلكم أَخْرِجوه قال ناطقُهم ... هيهاتَ ما إنْ ترى في نيله طَمَعا

وعلى الرغم مما عرف عن ابن الزيات من شدة وقسوة وهو في الوزارة يمارس أعمال السلطان، فإنه كان في حياته الخاصة لطيف المعشر وفياً لأصدقائه، يتفقدهم بالبر والرعاية، فإذا مرض صديق له عاده وواساه، ويعز عليه ما أصابه حتى ليفديه بنفسه، وذلك واضح في قوله يواسي أحد أصدقائه وقد مرض: (٢)

أعْزِزْ عليَّ بأن تكون عليلا ... أو أنْ يكون بكَ السقامُ نَزِيلا
وَوَدِدْتُ أني مالكٌ لسلامتي ... فأعيرُكاها بُكْرَةً وأصيلا
فتكونُ تسعى سالماً بسلامتي ... وأكونُ مما قد عراكَ بديلا
وأنا أخٌ لك أشتكي مما تشتكي ... وكذا الخليل إذا أجلَّ خليلا

---

(١) الديوان ق ٨٣ .
(٢) الديوان ق١٢١.

وما كان كل أصدقائه أوفياء نصحاء يعودونه إذا مرض، ويبادلونه الود بالود، بل كان فيهم العاق الجاحد المزورٌ عنه، فهو يعاتبه ويأسى لهجره وصدوده، يقول في عتاب صديق له: (١)

يا قلبُ ويحكَ لم تُرِدْ   بمودةٍ من لا يريدُكْ
يزهو ويُغْرِق في القِلى   وإذا مرضتَ فلا يعودكْ
حتى متى وإلى متى   غيٌّ الفؤادِ له يقودُكْ
أمسى لغيرك جودُهُ   وله - وما يهواك - جودُكْ

ولعل هذه الأبيات قالها في عتاب امرأة يحبها، فهي أقرب إلى عتاب النساء الحبيبات منها إلى عتاب الأصدقاء.

وفي غمار حياته العريضة التي ملأها الجد واللهو وطيب العيش، لم ينس نصيبه من الآخرة وواجباته الدينية، فقد قصد بيت الله وحج في أواخر عهد المأمون، ويبدو أنه حج حجة أخرى أيام وزارته، والحُجَّاج في العادة كانوا وما زالوا يجلبون من الحجاز الهدايا لأهليهم وأصدقائهم، وكانت بين ابن الزيات وبين راشد الكاتب المعروف بأبي حكيمة، صداقة ومودة، ومداعبات شعرية، قال ابن المعتز: «كان بين الوزير ابن الزيات، وبين أبي حكيمة مودة عجيبة، وأُنس كثير، فقدم ابن الزيات من مكة، فجعل الناس يحضرونه للتهنئة، إلا صديقه أبا حكيمة، فقال بعض الحاضرين: أين صديقك أبو حكيمة؟ فوصلت منه إلى ابن الزيات رقعة فيها: (٢)

لا تنسَ عهدي ولا مودَّتيَهْ   واشتقْ إلى طلعتي ورؤيَتيَهْ
إنْ غبتَ عنا فلم تغبْ كثرةُ الـ   ـذكرِ ولا تغفلنْ هديَّتيَهْ
التمرَ والمقلَ والمساويكَ والفلْـ   ـعة للنعل وهي منيتيَهْ

---

(١) الديوان ق١١١.
(٢) طبقات الشعراء ص ٣٨٩، الأغاني ٢٣/٦٣-٦٤.

فكتب إليه ابن الزيات:(١)

إنك منّي بحيثُ ما يطّردُ النا ... ظرُ قربا من تحت دَمعَتيَهْ
لا والذي زادني وفضّلني ... على صحابي بطولِ صُحْبَتِيَهْ
ما خنتُ عهداً ولا نسيتك في ... يوم دعائي ولا هديتيه

ثم حمل إليه ما طلب.

بين الصداقة وبين العداوة والحسد:

أ ـ أصدقاؤه ومن مدحه:

الجاحظ:

من أصدقاء ابن الزيات الأوفياء والمعجبين به أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كان على صلة حميمة به طيلة إقامته في بغداد، وكان الجاحظ يرى أن الكُتّاب أقدر على فهم الشعر من الرواة واللغويين، فقد نقل ابن رشيق قول الجاحظ: «طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد ابن عبد الملك الزيات»(٢)، وكان الجاحظ يشيد بأسلوب ابن الزيات ورسائله، ومدحه في بعض رسائله، وقد رضي الجاحظ أن يكون كاتباً لابن الزيات، بعد أن رفض أن يكون كاتبا في ديوان المأمون، ولازم الجاحظ ابن الزيات وانقطع إليه، وقد أنعم ابن الزيات على الجاحظ وأعزه وأكرمه، وعرف فضله وأدبه، فبسط له في الرزق، وجعله في رغد العيش، فأقطعه أربعمائة جريب، ولما أهدى الجاحظ كتاب الحيوان لابن الزيات أعطاه خمسة آلاف دينار(٣)، وكان الجاحظ يؤثر ابن الزيات بنوادر الكتب،

---

(١) الديوان ق ١٧٣، وانظر طبقات الشعراء ص٣٨٩، والأغاني ٢٣/٦٤ـ ٦٤، ومعجم الأدباء ١٢٩٨/٣.

(٢) العمدة ٢/١٠١ ـ ١٠٥.

(٣) معجم الأدباء ٥/٢١١٧.

فقد أهدى له كتاب سيبويه، قال الجاحظ: «أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات ففكرت في شيء أهديه له، فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه، وقلت له: أردت أن أهدي لك شيئاً، ففكرت، فإن كل شيء عندك، فلم أر أشرف من هذا الكتاب، وهذا الكتاب اشتريته من ميراث الفرَّاء، قال: والله ما أهديت إليَّ شيئاً أحبَّ إليَّ منه»[١]، وقد مدح الجاحظ ابن الزيات بنثره وشعره، ومن شعره هذان البيتان يذكر فيهما بره بإخوانه حين أقبلت عليه الدنيا:[٢]

بدا حين أثرى بإخوانه ففلَّل منهم شَباةَ العدمْ

وأبصر كيف انتقالُ الزما نِ فبادرَ بالعُرفِ قبل الندمْ

وفي كتب الجاحظ ورسائله جملة من الرسائل وجهها إلى ابن الزيات، فيها دعابة ومدح وعتاب واعتذار، من ذلك ما روى الجاحظ نفسه فقال: «تشاغلت مع الحسن بن وهب أخي سليمان بن وهب بشُرْبِ النبيذ أياماً، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته، فأُخبرَ باتصالِ شغلي مع الحسن بن وَهْب، فتنكَّر لي وتلوَّن عليَّ، فكتبت إليه رقعة نُسْخَتُها: «أعاذك الله من سوء الغضب، وعصمك من سَرَف الهوى، وصرفَ ما أعارك من القوَّة إلى حبِّ الإنصاف، ورجَّحَ في قلبك إيثار الأناة، فقد خفتُ ـ أيَّدك الله ـ أن أكون عندك من المنسوبين إلى نَزَق السفهاء ومجانبة سُبُل الحكماء»[٣]، وهي رسالة طويلة، وكان الجاحظ يتبسط مع ابن الزيات وله دالّة عليه، ولم يكن متحفظا بعيدا عن قلب ابن الزيات، وفي قصة أبي العيناء دلالة واضحة على ذلك، قيل: سأل أبو العيناء الجاحظ كتاباً إلى محمد بن عبد الملك الزيات في شفاعة لصاحب له، فكتب الجاحظ الكتاب وناوله الرجلَ، فعاد به إلى أبي العيناء، وقال: قد أسْعَفَ، وقال: فهل قرأته؟ قال: لا، لأنه مختوم، قال: ويحك فَضُّ طينةٍ أولى من حمل ظِنَّةٍ، لا يكون (صحيفة المتلمس)، ففض الكتاب فإذا به: «موصل كتابي

(١) معجم الأدباء ٥/ ٢١٢٧، وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٣.
(٢) زهر الآداب ٢/ ٥٤١.
(٣) زهر الآداب ٢/ ٥٣٩.

سألني فيه أبو العيناء، وقد عرفت سفهه وبذاءة لسانه، وما أراه لمعروفك أهلاً، فإن أحسنت إليه فلا تحسبه عليَّ يداً، وإن لم تحسن لم أعتدُّه عليك ذنباً، والسلام»(١).

وقد بقي الجاحظ وفياً لابن الزيات حتى بعد نكبته، فبعد مقتله توارى الجاحظ وهجر بغداد قاصداً البصرة، علَّه ينسى محنة صديقه، وقد عرف خصوم ابن الزيات انقطاع الجاحظ ووفاءه له، فقبضوا على الجاحظ، وجيء به ذليلاً مكبلاً بالأصفاد، وقد جرت محاورة طريفة بليغة تدل على حضور بديهة الجاحظ وقوة بيانه، روى أبو العيناء، قال: «كنت عند أحمد بن أبي دواد، بعد مقتل ابن الزيات، فجيء بالجاحظ مقيداً، وكان من أصحاب ابن الزيات، وفي ناحيته، فلما نظر إليه قال: والله ما علمتك إلا متناسياً للنعمة، كفوراً للصنيعة، معدداً للمساوىء، وما فُتَّني باستصلاحي لك، ولكن الأيام لا تصلح منك إلا لفساد طويتك، ورداءة دخلتك، وسوء اختيارك، وتغالب طبعك، فقال له الجاحظ: خفِّض عليك ـ أيَّدك الله ـ فوالله لأنْ يكون لك الأمر عليَّ خير من أن يكون لي عليك، ولأنْ أُسيءَ وتحسن، أحسن عنك من أن أحسن فتسيء، وأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل من الانتقام مني. فقال له ابن أبي دواد: قبحك الله، ما علمتك إلا كثيرَ التزويق للكلام، وقد جعلت بيانك أمام قلبك، ثم اصطنعت فيه النفاق والكفر، ما تأويل هذه الآية: ﴿**وكذلك أخذ ربِّك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إنَّ أخذه أليم شديد**﴾(٢)، قال: تلاوتها تأويلها، أعزَّ الله القاضي، فقال: جيئوا بحداد، فقال: أعز الله القاضي، ليفك عني أو ليزيدني؟ فقال: بل ليفك عنك، فجيء بالحداد، فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنفَ بساق الجاحظ، ويطيل أمره قليلاً، فلطمه الجاحظ، وقال: اعمل عمل شهر في يوم، وعمل يوم في ساعة، وعمل ساعة في لحظة، فإن الضرر على ساقي وليس بجذع ولا ساجة، فضحك ابن أبي دواد وأهل المجلس منه، وقال ابن أبي دواد لمحمد بن أبي منصور، وكان حاضراً: أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه، ثم قال: يا غلام، صِرْ بهِ إلى

---

(١) أمالي المرتضى ١/١٨٢ ـ ١٨٣، تاريخ بغداد ٣/١٧٥، نثر الدر ٣/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤.
(٢) هود ١٠٢.

الحمَّام، وأمِطْ عنه الأذى، واحملْ إليه تخت ثياب وطويلة[1] وخُفَّاً، فلبس ذلك فتصدر في مجلسه، وقال: هات الآن حديثك يا أبا عثمان»[2]. وقيل إن ابن أبي دواد سأل الجاحظ حين هرب بعد عذاب ابن الزيات: «لمَ هربت؟ فقال: خِفتُ أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور»[3]. وقد عفا ابن أبي دواد عن الجاحظ، ولكن الجاحظ لم يجد البديل عن صديقه ابن الزيات، الذي أحبه وأخلص له، وأعجب به، ووجد الحياة بعده كئيبة حزينة، ولم يجد عن صاحبه عوضاً، فآثر أن يتوارى عن مجتمع بغداد مرة أخرى، فتوجه إلى مدينته البصرة، وساءت أحواله هناك، وركبته الأوجاع والعلل وثقل الشيخوخة، فودع عهد الخير، فمات هناك حزيناً ضعيفاً سنة ٢٥٥هـ.

الحسن بن وهب:

ومن أصدقاء ابن الزيات الذين أخلصوا له ووفوا له حتى بعد النكبة والموت، الحسن بن وهب، وهو أبو علي الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن الحصين الحارثي، أحد الكتاب الشعراء الذين استكتبه الخلفاء، كان من وجهاء العصر الذين مدحهم الشعراء ورثوه، ومنهم أبو تمام والبحتري، وهو أخو سليمان بن وهب وزير المعتز والمهتدي، توفي نحو سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٥ م، كان الحسن صديقاً حميماً لابن الزيات، وكانت بينهما مودة، وجمعتهما مجالس الأنس واللهو والمرح، ولم تعكر هذه الصداقة جفوة أو حسد، قبل أن يلي ابن الزيات الوزارة وبعدها، وكانت بينهما معاتبات ومراسلات ومساجلات، وقد روى أبو الفرج طرفاً من ذلك ووصف أحوالهما، قال رواية عن هارون بن محمد بن عبد الملك: «دعا محمد بن عبد الملك قبل وزارته الحسن بن وهب في آخر أيام المأمون، فجاءه ودخلا حمَّاماً له، وأقاما على لهوهما، ثم طُلب الحسن بن وهب لعمل احتيج فيه إليه، فمضى، وبطل يومهم، فكتب الحسن إليه:[4]

---

(١) الطويلة: صفة للقلنسوة.
(٢) معجم الأدباء ٥/ ٢١٠٣ ـ ٢١٠٤.
(٣) أمالي المرتضى ٢/ ١٩٥.
(٤) الأغاني ٢٣/ ٧٢ ـ ٧٣.

سقياً لنَضْرِ الوجهِ بسَّامِهِ مُهَذَّبِ الأخلاقِ قمقامِهِ
تكسبه شكراً على أنها مطبةُ السنِّ للوَّامِهِ
زرناهُ في يومٍ علا قَدرُهُ من سائرِ الأيامِ في عامِهِ
أسعدهُ اللهُ وأحظى بهِ وجادهُ الغيثُ بإرهامِهِ

.... الأبيات، فأجابه محمد بن عبد الملك:(١)

وزائرٍ لذّ لنا يومُهُ لو ساعدَ الدهرُ بإتمامه
ماذا لقينا من دواوينهِ وخَطِّهِ فيها بأقلامه
أسرَّ ما كُنّا فمن مازحٍ أو شاربٍ قد عبَّ في جامِهِ
فارقَنا فالعين مطروفةٌ بواكفِ الدمع وسَجَّامِهِ

وكان إذا أبطأ الحسن على ابن الزيات عتب عليه، فيرسل له الأبيات يعتذر إليه(٢)، وإذا مرض الحسن ولم يزره ابن الزيات، عتب عليه عتاباً شديداً في بعض شعره، من ذلك قوله:(٣)

أيهذا الوزير أيدك اللـ ـهُ وأبقاك لي بقاءً طويلا
أجميلاً تراه يا أكرم النا سِ لكيما أراه أيضاً جميلا
إنني قد أقمتُ عشراً عليلاً ما ترى مرسلاً إليَّ رسولا

.... الأبيات، فأجابه ابن الزيات معتذراً ومداعباً ومواسياً:(٤)

دفعَ اللهُ عنك نائبةَ الدهـ ـرِ وحاشاكَ أن تكون عليلا
أُشْهِدُ اللهَ ما علمتُ وما ذا كَ من العُذْرِ جائزاً مقبولا
ولَعَمْري أنْ لو علمتُ فلازمْتُـ ـكَ حولاً لكان عندي قليلا

---

(١) الديوان ق١٤٥.
(٢) الأغاني ٢٣/ ٦٧ ـ ٦٩.
(٣) الأغاني ٢٣/ ٦٩
(٤) الأغاني ٢٣/ ٧٠ والديوان ق١٢٢.

إلى أن يقول:

فاجْعَلَنْ لي إلى التَّعَلُّقِ بالعُـذْ ... رِ سبيلاً إنْ لم أجـدْ لي سبيلا

فقديماً ما جادَ بالصفْحِ والعفْـ ... ـوِ وما سامحَ الخليلُ الخليلا

والمراسلات والمعاتبات بين ابن الزيات والحسن بن وهب كثيرة، ولم تقتصر على الشعر وحسب، بل شملت النثر أيضاً، وفيه تعبير صادق عما يكنُّـهُ كلٌّ منهما للآخر، فقد كتب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات يقول: «سروري أعاذ الله حياتك، إذا رأيتك، كوحشتي لك إذا لم أرك، وحفظي لك في مغيبك، كمودتي لك في مشهدك، وإني لصافي الأديم غير نغل ولا متغير، فامنحني من مودتك مزن لذاذة مشربك، وكن لي كأنا، فوالله ماعجت عن ناحيتك إلا وأنا محنيٌّ الضلوع إليك والسلام»(١). فكتب إليه ابن الزيات: «يا أخي ما زلتُ عن مودتك، ولا حلتُ عن أخوتك، ولا استبطأتْ نفسي لك، ولا استزدتها في محبتك، وإن شخصك لماثلٌ نصب طرفي، ولقل ما يخلو من ذكرك قلبي، ولله در الذي يقول:

أما والذي لو شاء لم يخلق النوى ... لئن غبتَ عن عيني لما غِبْتَ عن قلبي

يذكرنيكَ الشوقُ حتى كأنني ... أناجيكَ من قرْبٍ وإنْ لم تكن قربي»(٢)

وبقي الحسن بن وهب وفياً لابن الزيات بعد نكبته، على الرغم من عداء ابن أبي دواد الشديد لابن الزيات، وقد صار ابن أبي دواد وزيراً، وتتبع أصحاب ابن الزيات وأصدقاءه ومعاقبتهم واضطهادهم، رغم كل ذلك لم يستطع الحسن بن وهب أن يخفي حبه لصديقه، فقد رثاه، وشاعت قصيدته في رثاء ابن الزيات، وإن أنكرها خوفاً من بطش السلطان، ولكنها عرفت له لأنها مكتوبة بخطه، ومما جاء فيها: (٣)

يكادُ القلبُ من جزعٍ يطيرُ ... إذا ما قيلَ قد قُتِلَ الوزيرُ

أمير المؤمنين هدمت ركناً ... عليه رحاكُمُ كانت تدورُ

---

(١) الظرف والظرفاء ص ٢٩٤.

(٢) الظرف والظرفاء ص ٢٩٤ والبيتان لمسلم بن الوليد في ديوانه ص٥٧.

(٣) الأغاني ٢٣ / ٧٩ ـ ٨٠.

سيبلى المُلْكُ من جزع عليهِ   ويخربُ حين تضطربُ الأمورُ

راشد الكاتب:

وقد مر بنا أن من أصدقائه المقربين كان راشد الكاتب المعروف بأبي حكيمة، وكانت بينهما مداعبات ومراسلات شعرية، ولا نعيد الكلام الذي مضى في ذلك، ولا نريد أن نقف عند من كانت لابن الزيات بهم صلات رسمية عامة، وإنما وقفنا عند من كان صديقاً ودوداً له، ثم نقف عند من كان عدواً لدوداً له، ونذكر هنا أهم ما مدح به من شعر، ثم عند من هجوه من الشعراء.

من مدحه من الشعراء

فأما من مدحه وأثنى عليه من الكبار، فهما أبو تمام والبحتري، فأما أبو تمام، فله جملة قصائد في مدح ابن الزيات منها ما تناول شخصية ابن الزيات، ومنها ما تناول أدبه وأسلوبه باعتباره من الكُتَّاب المبدعين، فمن أماديحه في الإشادة بأدبه وروعة أسلوبه وما يخطه قلمه قوله: (١)

لك القلمُ الأعلى الذي بشُباتهِ   ينالُ من الأمر الكُلى والمفاصِلُ

لعابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعابُهُ   وأري الجنى اشتارتهُ أيدٍ عواسلُ

وحين ننظر في ديوان أبي تمام نجد جملة صالحة من القصائد في مدح ابن الزيات والإشادة بحزمه وشخصيته وبيان فضائله، من هذه القصائد الرائعة قصيدته التي أولها: (٢)

قد نابت الجزع من أرويةَ النُّوَبُ   واستحقبتْ جِدَّةً من رَبْعِها الحِقبُ

ألوى بصبركَ إخلاقُ اللوى وهفا   بلُبِّكَ الشوقُ لما أقفر اللَّببُ

وفيها يعدد صفات ابن الزيات وحزمه وعدله وعلمه وحسن تدبيره:

---

(١) ديوان أبي تمام ٢ /٥٧ ـ ٥٨.

(٢) ديوان أبي تمام ١ /١٣١، ١٣٥ ـ ١٣٧.

وزير حقٍّ ووالي شـرطةٍ ورحـا ... ديوان ملكٍ وشيعيٌّ ومحتسبُ[1]
ثبتُ الجَنانِ إذا اصطكَّتْ بمظلمةٍ ... في رحْلِه ألسُنُ الأقـوامِ والرُّكَبُ
لا المنطقُ اللغوُ يزكو في مقاومهِ ... يوماً ولا حُجَّةُ الملهوف تُستَلَبُ
كـأنَّمـا هو في نادي قـبـيلتـه ... لا القلبُ يهفو ولا الأحشاءُ تضطربُ
وتحتَ ذاكَ قـضـاءٌ حـزَّ شـفـرته ... كما يعَضُّ بأعلى الغاربِ القتَبُ
لا سَورةٌ تُتَّقـى مـنـهُ ولا بَلَهُ ... ولا يحيفُ رضاً منهُ ولا غضبُ
ألقى إليكَ عُرى الأمرِ الإمامُ فقد ... شُدَّ العِناجُ من السلطانِ والكَرَبُ

والقصيدة طويلة عدتها ستون بيتاً، يشيد فيها بابن الزيات وبالخليفة المعتصم. ومدحه بقصائد أخرى كلها قصائد جياد فيها الإشادة بأخلاقه وكرمه وسياسته وأدبه، ولم يترك أبو تمام فضيلة من فضائل ممدوحه إلا ذكرها، ويحسنْ أن ننوه بقصيدة من قصائده الجياد في مدحه، تلك القصيدة الفائية التي أجاد صياغتها، وقد بدأها بوصف الطبيعة ووقف عند الربع والديار، ثم توصل إلى مدح ابن الزيات فأشاد بخصاله وكرمه وعدله وعلو كعبه في الأدب، وذلك حيث يقول:[2]

أمَّتكَ والشيطانُ يرهبُ ظِلَّها ... فأتَتْكَ وهي تفوقُ حِلْمَ الأحنفِ
من كان يقصد في نصيحته لها ... فمحمد في النصح عينُ المسرفِ
نال الردى وحوى الغِنى بمحمدٍ ... عند الخليفة مذنبون ومعتفِ
سكَّنْتَ أحشاءَ الرعيَّةِ في حشا ... قلبٍ ذكيٍّ عن لسانٍ مُرهَفِ
لم يبلغِ القلمَ الذي يجدي بهِ ... في اللهِ ألفا مرهفٍ ومثقَّفِ

---

(١) يحسن أن نقف هنا عند كلمة (شيعي) فلم يُعرف عن ابن الزيات أنه تشيع، لأنه كان جهميا معتزليا، فهل للكلمة مدلول آخر، أم يقصد الشاعر أن ابن الزيات قد ألمَّ بكل هذه المهن والخبرات والفرق؟.

(٢) ديوان أبي تمام ٤٣٤ ـ ٤٣٧ . وانظر في ديوانه قصائد أخر في مدح ابن الزيات ١ / ١٦٠، ٢ / ١٦، ٤٧ ـ ٤٩، ٥٣ ـ ٦١.

بأكُفٍّ أبدالٍ إذا أمُّوا بهـــا   ملمومةً عَملوا بها في المصحفِ
تستلُّ خائنةَ العيونِ بمُقْلَـةٍ   تحوي ضمائرهـا ولَمّـا تطـرِفِ

وشاعر آخر مدح ابن الزيات وأجاد في مدحه وأطنب في ذكر فضائله، وأعجب بسياسته وحسن تدبيره، ذلك هو البحتري، فقد مدحه بقصيدة رائعة يتغني بفضائله، ويبدؤها بقوله:(١)

بعض هذا العتابِ والتفنيدِ   ليس ذمُّ الوفاءِ بالمحمودِ
ما بكينا على زرودَ ولكنَّا   بكينـا أيامنـا في زرودِ

ويتوصل إلى مدحه بقوله:

وإذا استصعبتْ مقادةُ أمرٍ   سَهَّلتْها أيدي المهارى القودِ
حاملاتٌ وفدَ الثناءِ إلى أبلـ   ـجَ صَبٍّ إلى ثناءِ الوفودِ
عَلقوا من محمدٍ خيرَ خيلٍ   لرواقِ الخلافَةِ الممدودِ
لم يخنْ ربَّها ولم يعمل التد   بيرَ في حَلِّ تاجها المعقودِ
مُصْلِتاً بينها وبين الأعادي   حدَّ رأيٍ يَفلُّ حَدَّ الحديدِ
فهي في عزمِ رأيهِ في جنودٍ   قُمْنَ من حولها مقامَ الجنودِ

ثم يمضي في ذكر حسن سياسته، وثاقب ذهنه وبراعته في تدبير الأمور، وأداء حق الدولة وحق الناس، والمساواة في الحقوق بين القاصي والداني:

صارمَ العزمِ حاضرَ الحزمِ ساري   الفكرِ ثبتَ المقامِ صلبَ العودِ
دقَّ فهماً وجلَّ حلماً فأرضى اللـ   ـهَ فينا والواثق بن الرشيدِ
وجَّهَ الحقَّ بين أخذٍ وإعطاءٍ   وقصْدٍ في الجمعِ والتبديدِ
واستوى الناسُ فالغريبُ قريبٌ   عندهُ والبعيدُ غيرُ بعيدِ
لا يميلُ الهوى بهِ حين يُمضي   الرأي بين المُقِلِّ والممدودِ

ولم يترك فضيلة من الفضائل إلا أسبغها على ممدوحه، ثم يتناول أدبه وبراعته في

(١) ديوان البحتري ص ٢٧٨ ـ ٢٨١ ط بيروت ١٩٨٧.

الكتابة، فيجعله مبرزا فاق عبد الحميد في جودة أسلوبه وبراعته:

لتــفننت في الكتــابةِ حــتى ... عطَّلَ الناسُ فنَّ عــبــدالحــمــيــدِ
في نظامٍ من البــلاغــةِ مــا شـ ... ـــكَّ امـــــرؤٌ أنهُ نظامٌ فـــــريــدِ
وبديعٍ كـــأنَّ الزهرُ الضـــاحـ ... ـــكُ في رونقِ الربيعِ الجـــديـدِ
مشرقٌ في جوانب السمعِ ما يخلـ ... ـقُهُ عَودُهُ على المســتــعــيــدِ
مــا أعــيــرتْ منهُ بطونُ القــراطيـ ... ـسِ ومــا حُمِّلتْ ظُهــورُ البــريدِ
مــســتــمــيلٌ سمع الطروبِ المُعَنَّى ... عن أغــاني مــخــارقٍ وعــقــيــدِ

ويفصل القول في براعة أسلوبه وما فيه من بيان ومنطق سديـد وحجج بارعة:

حــجــجٌ تُخْــرِسُ الألــدَّ بألفــاظٍ ... فُرادى كــالجــوهــرِ المعــدودِ
ومعــانٍ لو فصَّلَتْهــا القــوافــي ... هَجَّنَــتْ شِعْرَ جرولٍ ولبيدِ
حُزْنَ مستعملَ الكلامِ اختيــاراً ... وتجنَّبْنَ ظُلْمــةَ التعــقــيــدِ
وركِبْنَ اللفظَ القريبَ فأدركْـنَ ... بــهِ غــايــةَ المُــرادِ البــعــيــدِ

ويعَرِّض بحاسديهِ ومنافسيهِ الذين يئسوا من النيلِ من مجدِهِ وفضلِـهِ:

قـد تلقيــتَ كــلَّ يــومٍ جــديــدٍ ... يــا أبــا جعفــرٍ بمجــدٍ جديـدِ
يئسَ الحاسدونَ منكَ ومــا مجـ ... ـــدُك ممــا يرجــوهُ ظَــنُّ الحســودِ
وإذا استطــرفــتْ سيـــادةُ قــومٍ ... بِنْــتَ بالسؤددِ الطريقِ التليدِ
وذوو الفضلِ مُجمعونَ على فضـ ... ـــلِكَ مـــن بــين سيِّــدٍ ومســـودِ
عــرف العالمونَ فضلكَ بالعِلْـــمِ ... وقـــالَ الجُــهَّـــالُ بالتقــليـــدِ

ب ــ أعداؤه ومنافسوه:

أحمد بن أبي دُوَاد

ومثلما كان لابن الزيات أصدقاء أودَّاء، ومداحون يتغنون بفضائله وأمجاده،

كان له خصوم وأعداء ألدّ اء، ومنافسون يتسقطون زلاته، ويكيدون له، وينظمون أشعاراً في هجائه والانتقاص منه ، فهم بين حاقد وحاسد، وناقم متضرر، وكان من أبرز أعدائه وأشدهم خصومة وكيداً، أحمد بن أبي دواد الإيادي، أحد القضاة المشهورين من المعتزلة، ورأس فتنة القول بخلق القرآن، كان فصيحاً قوي الحجة، عالماً بالأخبار والأنساب، وهو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء، وكانوا لا يبدؤهم أحد حتى يبدؤوه، كان شديد الدهاء، اتصل أولاً بالمأمون، فلما قرب موته أوصى به أخاه المعتصم فجعله قاضي قضاته، وجعل يستشيره في أمور الدولة كلها، ولما توفي المعتصم اعتمد عليه الواثق، وكان له أثر في تولية المتوكل، وكان جهمياً بغيضاً حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن، وكان سبباً في إيذاء أحمد بن حنبل ونكبة ابن الزيات، وأُفلجَ في أول خلافة المتوكل، وتوفي مفلوجاً ببغداد سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م(١). وكل من ترجم لابن أبي دواد ولابن الزيات يذكر العداوة الشديدة والمنافسة والمكايد بين الرجلين، وخاصة حين صار ابن الزيات وزيراً، ولاشك أن المنافسة كانت على التقرب إلى السلطان وإبعاد الخصم، وكان للشعر أثره في هذه الخصومة، ويبدو أن ابن الزيات كان قد هجا ابن أبي دواد بقصيدة طويلة عدتها خمسون بيتاً، وقيل تسعون بيتاً، ولم نجد لتلك القصيدة أثراً، ولكننا نقف على رَدَّ ابن أبي دواد عليها، وقد حفظ الأصفهاني رَدَّ ابن أبي دواد في بيتين، وساق الرواية على هذا الوجه، قال: أخبرني عمي عن أبي العيناء قال: كان محمد بن عبد الملك يعادي أحمد بن أبي دواد ويهجوه، فكان أحمد يجمع الشعراء ويحرضهم على هجائه، ويصلهم، ثم قال فيه أحمد بيتين، كانا أجود ما هُجي به، وهما:(٢)

أحسنُ من خمسين بيتاً سدى   جَمْعُكَ إيَّاهُنَّ في بيتِ
ما أحوجَ الناسَ إلى مطرةٍ   تُذْهِبُ عنهم وضرَ الزيتِ

---

(١) انظر في ترجمته ابن خلكان ١/ ٢٢، تاريخ بغداد ٤/ ٤١ ـ ١٥٦، البداية والنهاية١٠/ ٣١٩، ثمار القلوب ص١٦٣.

(٢) الأغاني ٢٣/ ٦٢، وجاءت برواية (تسعين بيتاً) في الوافي ٤/ ٣٢، والعقد الفريد ٣/ ١٤٤، والعمدة ١/ ٣٤٨، والخزانة ١/ ٤٥٠. والوضر: الدرن والوسخ من الدسم وغيره.

والملاحظ أن كل من هجا ابن الزيات لم ينتقص من أصله ونسبه والشك في عروبته، وإنما انصب هجاؤهم على مهنة أبيه الزيات، فرد عليه ابن الزيات بهجاء شديد جاء فيه:(١)

يا أيُّها المأفونُ رأياً لقد عرَّضْتَ في نفسك للموتِ
قيَّرتمُ المُلكَ فلم نُنْقِهِ حتى غسلنا القارَ بالزيتِ
الزيتُ لا يُزْري بأحسابنا أحسابُنا معروفةُ البيتِ

ومما زاد في حسد ابن أبي دواد، وشدة بغضه، أن سلطان ابن الزيات قد تمكن من نفس الخليفة الواثق، وزادت مكانته وهيبته، حتى إنه أمر أن لا يرى أحدٌ من الناس محمد بن عبد الملك الوزير إلا قام له، وكان هذا الأمر يشمل أيضاً عدوَّه اللدود ابن أبي دواد، وكا ابن أبي دُوَاد – وهو قاض آنذاك ـ إذا رآه قام واستقبل القبلة يصلي، فقال فيه ابن الزيات:(٢)

صلَّى الضحى لما استفادَ عداوتي وأراهُ يَنْسُكُ بعدها ويصومُ
لا تَعْدِمَنَّ عداوةً مشؤومةً تركتكَ تقعدُ تارةً وتقومُ

وكان ابن أبي دواد لا يكلم الخلفاء في حضرة ابن الزيات في حاجة، كراهة أن يعلم بذلك، ومخافة أن يفسد عليه أمره، قال إبراهيم الموصلي: سمعت ابن أبي دواد في مجلس المعتصم وهو يقول: إني لأمتنع عن تكليم الخلفاء بحضرة ابن الزيات الوزير في حاجة، كراهة أن أعلمه ذلك، ومخافة أن أعلمه التأتي لها(٣)، وكانت شاعرية ابن الزيات تُسعفه في هجاء خصمه، بينما لا يستطيع ابن أبي دواد هجاءه إلا بالاستعانة بالشعراء، ولذلك وصلنا هجاء كثير لابن الزيات في ابن أبي دواد والانتقاص منه، من ذلك قوله:(٤)

---

(١) الديوان ق ٣٠.
(٢)العمدة١ / ٧٣٩، وفيات الأعيان ١ / ٨٥، الوافي ٤ / ٣٢، الديوان ق ١٣١.
(٣) أمراء البيان ص ٢٩٠.
(٤) الديوان ق ١٦٠.

أبلغْ دعيَّ إيادٍ إنْ مررتَ بهِ قولَ امرىءٍ ناصحٍ للهِ والدِّينِ
لن تَصْلُحَ الأرضُ ما أُسْكِنْتَ ظاهِرَها ولا ترى العدلَ أو تلحقْ بإفشينِ
ما زلتَ تضمرُ للخذلانِ عن دَخَلٍ في القلبِ منك لهذا الدينِ مكنونِ
وكنتَ في ذاك لما أنْ قصدتَ له كالعَنْزِ إن بحثَتْ عن حَدِّ سِكّينِ
نحن الذين إذا عُدَّ العفافُ يُرى فينا العفافُ ومأوى كلِّ مسكينِ

وكان ابن الزيات يلح على غمز ابن أبي دواد في نسبه، مدعيا أنه ليس من إياد، وإنما هو دعي، ولذلك يقول:(١)

تأيَّدَ وادَّعى القُرْبا وأثْرى واستفادَ أبا
لتَهْنِكَ دولةٌ حَدَثَتْ فأحدثَ عِزُّها نَسَبا
صنائِعُهُ إلى الأنذا لِ تُخْبِرُ أنَّهُ كَذِبا

وقد شاعت هذه العداوة بين الرجلين، وعلم بها الواثق، فجمع الواثق بين الخصمين وأصلح بينهما، فكف ابن الزيات عن ذكر خصمه، ولكن ابن أبي دواد كان حين يخلو بالواثق يغريه به، وأدخل في روع الخليفة أن ابن الزيات عزم على الفتك به والتدبير عليه، وقيل: إن الواثق قبض على ابن الزيات، ثم أطلقه بعد مدة وأعاده إلى حاله(٢)، وقد شكك ابن الأبار في صحة رواية القبض على ابن الزيات، فقال: «وقبض الواثق عليه ليس مشهوراً، لأنه من خلفاء العباسيين الذين لم ينكبوا وزيراً، وهم قليل كالهادي والأمين قبله والمعتضد والمكتفي بعده»(٣)، وظل ابن أبي دواد يغتنم الفرص للإيقاع بابن الزيات، وتشويه صورته في ذهن الواثق، ووجد في تحريض الشعراء على هجاء ابن الزيات سبيلاً، فقد أمر علي بن الجهم أن ينظم في هجائه وتحريض الخليفة عليه، فقال فيه من أرجوزة:(٤)

---

(١) الديوان ق ١٠.
(٢) أعتاب الكتاب ص ١٣٨.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) الأغاني ٢٠ / ٢٨٩، أعتاب الكتاب ص ١٣٧، ديوان علي بن الجهم ص١١٨-١١٩.

لعائن الله موقرات مصبّحات ومُهَجّرات

على ابن عبدالملك الزيّاتِ عرَّضَ شَمْلَ المُلْكِ للشتات

وفيها يقلل من شأن ابن الزيات ويعرض بسوء أفعاله ويستنجد بالواثق للخلاص منه :

هارون يابن سيِّدِ السادات أما ترى الأمورَ مهملاتِ

تشكو إليك عدم الكفاة

فهمَّ الواثق بالقبض عليه، وقال: «لقد صدق قائل هذا الشعر، ما بقي لنا كاتب» فطرح ابن الزيات نفسه على إسحاق بن إبراهيم، وكانا مجتمعين على عداوة ابن أبي دواد، فقال للواثق: أمثل ابن الزيات مع خدمته وكفايته يُفْعَلُ به هذا، وما جنى عليك ولا خانك، وإنما دلّك على خونة أخذتَ ما اختانوه، فهذا ذنبه، وبعد فلا ينبغي لك أن تعزلَ أحداً حتى تعدَّ لمكانه جماعة يقومون مقامه، فمن لك بمن يقوم مقامه ؟ فمحا ماكان في نفسه عليه ورجع له »(١).

وبموت الواثق يأفل نجم ابن الزيات، ويتألق نجم ابن أبي دواد، وقيل إن ابن الزيات أشار بتولية ابن الواثق، وكان صغيراً، واهتبلها ابن أبي دواد، فسعى إلى تولية جعفر المتوكل، وساق ابن خلكان رواية هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة، قال: «ومن عجائب الظفر ما حكاه الصولي أن المتوكل قال: ركبت إلى دار الواثق أزوره في مرضه الذي مات فيه، فدخلت الدار وجلست في الدهليز ليؤذن لي، فسمعت بكاءً بنياحة تشعر بموته، فتحسستُ وإذا إيتاخ ومحمد بن عبد الملك الزيات يأتمران فيَّ، فقال محمد: نقتله في التنور، وقال إيتاخ: بل ندعه في الماء البارد حتى يموت ولا يُرى عليه أثر القتل، فبينما هم كذلك إذ جاء أحمد بن أبي دواد ــ وكان القاضي يومئذ ــ فمنعه الخدم الدخول، فدافعهم حتى دخل فجعل يحدثهما بما لا أعقله، لما داخلني من الخوف واشتغال البال بأعمال الحيلة في الهرب والخلاص مما ائتُمر به فيَّ، فبينما

---

(١) الأغاني ٢٠/٢٨٩، أعتاب الكتاب ص ١٣٧.

أنا كذلك، إذ خرج الغلمان يتعادون إليَّ ويقولون: انهض يا مولانا، فما شككت أن أدخل وأبايع ولد الواثق، ويُنفَّذ فيَّ ما قد قرر، فدخلت فلقيني أحمد بن أبي دواد، فقبَّل يديَّ وأمسكهما إلى أن أتى إلى السرير، وقال لي: اصعد إلى المكان الذي أهلك اللهُ له، فلما صعدت وجلست ُ سلَّمَ عليَّ بالخلافة، وجاء محمد بن عبد الملك الزيات وإيتاخ فسلَّما عليَّ أيضاً، ثم دخل القواد فسلموا ثم الناس على طبقاتهم.... قال المتوكل: فبقي ما قاله ابن الزيات وإيتاخ في نفسي، فقتلتهما بما اعتزما به من قتلي، فقتلت ابن الزيات في التنور وإيتاخ بالماء البارد»(١)، ولم يُنَكِّل المتوكل بابن الزيات مباشرة، بل مكث ابن الزيات وزيراً للمتوكل أربعين يوماً(٢)، ويبيِّن أبو الفرج أن ابن أبي دواد كان يغري المتوكل بقتل ابن الزيات ومصادرة أمواله، وكان يظن أن له أموالاً طائلة، قال: «فلما ولي المتوكل الخلافة خشي إنْ نكبه عاجلاً أن يستتر أسبابه فتفوته بغيته فيه، فاستوزره وخلع عليه، وجعل ابن أبي دواد يغريه به، ويجد لذلك عنده موقعاً واستماعا، حتى قبض عليه وقتله، فلم يجد له من أملاكه كلها من عين ووَرِق(٣) وأثاث وضيعة إلا ما كانت قيمته مائة ألف دينار، فندم على ذلك، ولم يجد منه عوضاً، وكان أمره مما يعتد على أحمد بن أبي دواد، ويقول: أطمعتني في باطل، وحملتني على أمر لم أجد منه عوضاً»(٤). وهكذا كان ابن أبي دواد عدواً لدوداً امتلأ قلبه حقداً وحسداً على ابن الزيات، ولم يهدأ له بال حتى نَكَّل بخصمه وشفى بقتله ومصادرته غليله، ثم تتبَّع أصحاب ابن الزيات فاضطهدهم وأساء إليهم.

إبراهيم الصولي:

وخصم آخر من خصوم ابن الزيات الذي أطلق لسانه وكيده للإيقاع به، هو إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر، كان إبراهيم كاتباً حاذقاً بليغاً فصيحاً، تأدب على

---

(١) وفيات الأعيان ١/٤٧٨، الهفوات النادرة ص ٣٦٢ ــ ٣٦٥.
(٢) الفهرست ص ١٣٦، معجم الشعراء ص٣٦٥، تاريخ بغداد ٣/١٤٥.
(٣) العين: ما ضرب نقداً من الدنانير، والورق: الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة.
(٤) الأغاني ٢٣/٧٢ ــ ٧٣.

القاسم بن يوسف وعنه أخذ، وهو وأخوه الأكبر عبد الله بن العباس من صنائع الفضل بن سهل ذي الرياستين، وله فيه مدائح جياد، كتب إبراهيم للمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وتنقل في الأعمال الجليلة والدواوين، وكان متشيعاً، وكان له ولدان توفيا في حياته فبكاهما(١).

كان إبرهيم صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات قبل وزارته، فلما ولي الوزارة في أيام الواثق، كان إبراهيم على خراج الأهواز، وفي سنة ٢٢٩هـ نصب ابن الزيات لأصحاب المظالم العداوة، فكُشفوا وحبسوا وأقيموا للناس، ولقوا كل جهد، ومن جملتهم صديقه إبراهيم بن العباس الصولي، نسي صداقته في مطالبته بما تأخر في ذمته من حق بيت المال، فاستهدف لهجائه، وقيل إنه كان يعذبهم في التنور ليستخرج منهم الأموال التي اختانوها، ووجه ابن الزيات إلى إبراهيم الصولي أبا الجهم أحمد بن سيف اليحصبي ما عليه، وأمره بكشفه، فتحامل أبو الجهم عليه تحاملاً شديداً، فاعتُقِل وأُوذي، فكتب الصولي إلى ابن الزيات يستنجد به ويستعطفه:

فلو إذ نبا دهرٌ وأُنْكِرَ صاحبٌ وسُلِّطَ أعداءٌ وغابَ نصيرُ
تكون عن الأهوازِ داري بنجوةٍ ولكنْ مقاديرٌ جرتْ وأمورُ
وإني لأرجو بعد هذا محمداً لأفضلِ ما يُرجى أخٌ ووزيرُ

فأقام محمد على قصده وتكشفه، والإساءة إليه، حتى بلغ منه كل مكروه، ولجَّ أبو الجهم في التحامل عليه، وانفرجت الحال بينهما على ذلك، وهجاه إبراهيم هجاء كثيراً(٢)، وكتب إبراهيم إلى ابن الزيات يعرِّفه بما فعل أبو الجهم، ويشكوه إليه، ويقول: إن أبا الجهم كافر لا يبالي ما عمل، ودليل كفره أنه قال لما مات غلامه يخاطب ملك الموت:(٣)

تركتَ عبيدَ بني طاهرٍ وقد ملؤوا الأرضَ عرضاً وطولا

---

(١) الطرائف الأدبية ص١١٨ ـ ١١٩.
(٢) الأغاني ١٠ / ٦٢، معجم الأدباء١ / ٧٢.
(٣) الأغاني ١٠ / ٦٢، معجم الأدباء ١ / ٨٢.

وأقبلتَ تسعى إلى واحدٍ ضراراً كأني قتلتُ الرسولا

فسوف أدينُ بتركِ الصلاة وأصطبحُ الخمرَ صرفاً شَمولا

فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول: ليس هذا الشعر لأبي الجهم، وإنما إبراهيم قاله ونسبه إلى أبي الجهم.

وكان الصولي يقر بذنبه وتقصيره في حق بيت المال، وحاول أن يصلح ما بينه وبين ابن الزيات، وكتب له رسائل وأشعاراً يستعطفه، علَّهُ يصفحُ عنه، ولكن ابن الزيات لم يلتفت لاعتذار صاحبه الذي كتب إليه مادحاً ومستعطفاً: (١)

فهبني مسيئاً كالذي قلتَ ظالماً فعفواً جميلاً كي يكونَ لك الفضلُ

فإن لم أكنْ بالعفوِ منك لسوء ما جنيتُ بهِ أهلاً فأنتَ لهُ أهل

وكان ابن الزيات قد أغرى الواثق بالتنكيل بإبراهيم الصولي، وكان إبراهيم يعاتبه على ذلك ويداريه، ثم وقف الواثق على تحامل ابن الزيات على الصولي، فرفع يده عنه، وأمر أن يُقْبلَ منه ما رفعه، وردَّه إلى الحضرة مصوناً، فلما أحس إبراهيم بذلك بسط لسانه في محمد بن عبد الملك الزيات، وحسن ما بينه وبين أحمد بن أبي دواد خصم ابن الزيات اللدود، وهجا إبراهيم محمداً هجاء كثيراً، من ذلك قوله: (٢)

قدرتَ فلم تضررْ عدوّاً بعذرةٍ وسُمْتَ بها إخوانكَ الذُّلَّ والرَّغْما

وكنتَ مليئاً بالتي قد يعافُها من الناسِ من يأبى الدنيَّةَ والذمّا

وكان ابن الزيات يغضب ويعادي من يصاحب ابن أبي دواد، وكذلك كان ابن أبي دواد يعادي أصحاب ابن الزيات، وتصادف أنْ رأى ابن الزيات يوماً إبراهيم الصولي وهو خارج من دار ابن أبي دواد، فتبيَّن إبراهيم في وجه محمد الغضب، فلم يخاطبه في العاجل بشيء، فلما انصرف إلى منزله، كتب إليه: (٣)

---

(١) الطرائف الأدبية ١٨٦ ـ ١٨٧، معجم الأدباء ١ / ٨١.

(٢) الأغاني ١٠ / ٧٠.

(٣) الأغاني ١٠ / ٧٥، الطرائف الأدبية ١٦٢.

دعني أواصلُ من قطعـ ـتَ يـراك بـي إذ لا يراكـا

إنـي متى أهجـر لهجـ ـرِكَ لا أضـرُّ بـه سواكـا[1]

وإذا قطعتكَ في أخيـ ـكَ قطعتُ فيكَ غداً أخاكا

وصار إبراهيم الصولي يتعقب ابن الزيات ويتسقط عثراته، ويترصده للإساءة إليه والإيقاع به، وقيل إن ابن الزيات كان قد أودع مالاً عظيماً وجواهر نفيسة، وفرَّق ذلك في ثقاته من أهل الكرخ، ومعامليه من التجار، وذلك حين رأى تغيّراً من الواثق فخافه، فاهتبل ذلك إبراهيم الصولي، فقال أبياتاً وأشاعها، وأراد أن تبلغ الواثق ليصادر ابن الزيات وينكل به، ومما قاله في ذلك: [2]

نصيحة شانها وزيرُ مستحفظٌ سارقٌ مغيرُ

ودائعُ جمَّةٌ عظامٌ قد أُسبِلتْ دونها الستورُ

تسعة آلافِ ألفٍ خِلالها جوهرٌ خطيرُ

بجانبِ الكرخِ عندَ قومٍ أنت بما عندهم خبيرُ

والمَلِكُ اليومَ في أمورٍ تَحْدُثُ من بعدها أمورُ

قد شغَلَتْهُ مُحقَّراتٌ وصاحبُ الكارةِ الوزيرُ

ولكن هذه الوشاية لم تلقَ لدى الواثق أذناً صاغية، ومضى الصولي في عداوته وهجائه لابن الزيات، وهو يجمع في هجائه بين النصح والوعيد، في مثل قوله: [3]

أبا جعفرٍ خَفْ خَفْضَةً بعدَ رفْعَةٍ وقصِّرْ قليلاً عن مدى غُلْوائكا

فإنْ كنتَ قد أُوتيتَ عِزّاً ورِفْعَةً فإنَّ رجائي في غَدٍ كرجائكا

وصدق ظن الصولي، فقد نُكِبَ ابن الزيات بعد وفاة الواثق، وبيد أخيه المتوكل،

---

(١) في الطرائف: (إني متى أحقد لحقدك لا أضر به سواكا).

(٢) الأغاني ١٠ / ٨٠، الطرائف الأدبية ص١٥٧.

(٣) معجم الأدباء ١ / ٧٤، الطرائف ص١٦١ مع خلاف في الرواية.

ففرح الصولي وقال فيه شامتاً:[١]

لَـمَّـا أتـاني خـبرُ الزيَّـاتِ   وأنَّـهُ قـد عُـدَّ في الأمـواتِ

أيقـنتُ أنَّ مـوتهُ حياتي

لقد كان الصولي أشدَّ أعدائه من الشعراء الكتَّاب، وإن لم يكن وحده من هجا ابن الزيات من الشعراء، سواء من هجاهُ لأمرٍ في نفسه، أو بتحريض من خصمه اللدود أحمد ابن أبي دُوَاد، ومن هؤلاء الشعراء علي بن الجهم، ودِعْبِل الخزاعي، وعلي بن جبلة، ودندن، فأما علي بن الجهم، فقد كان يبغض ابن الزيات، وكان مقرباً من خصمه ابن أبي دواد، واستخدمه هذا أداة لإيذاء ابن الزيات وهجائه، وقد مر بنا أن ابن الزيات لما هجا ابن أبي دواد، ورد عليه الأخير بالبيتين المشهورين (أحسن من تسعين بيتا سدى ....)، أن هذين البيتين كانا من نظم عليٍّ بن الجهم وهما في ديوانه وهناك مصادر أخرى تنسبهما له[٢]، وما كان ابن أبي دواد إلا محرضاً وموجهاً.

علي بن الجهم:

وكان ابن الزيات مبغضاً لعلي بن الجهم، ومنحرفاً عنه، يذكره بسوء عند الخليفة الواثق، وكان ابن الجهم قد مدح الواثق، ولكن ابن الزيات لم يتح للشاعر الفرصة ليحظى لدى الخليفة، فراح ابن الجهم يهجو ابن الزيات ويبالغ في هجائه، دون أن يخشى صولة الوزير الشديد، وكان في سيرة ابن الجهم ما يدل على جسارته وتطاوله على رجال الدولة وبطانة الخلفاء والوزراء والقضاة، ولم يكن ابن الزيات الوحيد من مهجوي ابن الجهم، فقد هجا أبا أحمد بن الرشيد، وعبيد الله بن خاقان وزير المتوكل، وأحمد بن أبي دواد قاضي القضاة، وابنه أبا الوليد، وعمر بن الفرج الرُّخَجي وغيرهم[٣]، ومن شتائم ابن الجهم في ابن الزيات، ويذكر توقيعاته، قوله:[٤]

---

(١) معجم الأدباء ١ / ٧٤، الطرائف ص١٨٢.

(٢) انظر ديوانه ص١٢٠، والعقد الفريد ٦ / ١٥١ .

(٣) انظر مقدمة ديوانه ص٤٠ ــ ٤١.

(٤) الأغاني ١٠ / ٢٦٧، وديوان ابن الجهم ص١١٨ ــ ١١٩.

لعـــائن اللهِ مـــتـــابعـــاتِ مـــــصَبِّحــــاتٍ ومُهَجِّراتِ
على ابنِ عــبــدالملكِ الزيَّاتِ عَرَّضَ شَمْلَ المُلْكِ للشَّتـــاتِ
وأنفـــذَ الأحكامَ جـــائراتِ على كـــتـــابِ اللهِ زارياتِ
وعن عقـولِ الناسِ خـارجـاتِ رمي الدواوينَ بتـوقـيـعـاتِ
مـــعـــقَّداتٍ كَرُقى الحـــيَّاتِ سبـحـانَ من جَلَّ عن الصِّفاتِ
بعد ركوب الطَّوفِ في الفُراتِ وبعـــدَ بيعِ الزيتِ بالحـــبَّاتِ
صِرْتَ وزيراً شـامخَ الثـبـاتِ هارونُ يا بنَ سـيِّدِ السَّاداتِ
أمـا ترى الأمـورَ مـهـمـلاتِ تشكو إليكَ عـدمَ الكُفـاةِ

ويحرض الخليفة على الإيقاع به وجلده بالسياط جلداً شديداً تبقى آثارها في متنيه:

فعاجِلِ العِلْجَ بمرهَفاتِ من بعدِ ألفٍ صُخَّبِ الأصواتِ
بمثمـراتٍ غيرِ مورقـاتِ تُـرى بمتنيـهِ مُرَصَّفـاتِ
تَرَصُّفَ الأسنانِ في اللثاتِ

ومن ذكره التوقيعات في هذه الأرجوزة نرجِّح أن ابن الزيات كان قد رفض طلباً لابن الجهم، أو منعه صلة أو حاجة كان يتطلع إليها.

ولعلي بن الجهم قصيدة في مدح المتوكل، يبدو أنه قالها بعد نكبة ابن الزيات، وفيها يعرِّضُ بابن الزيات ويذكر مساوئه، ويهجو عمر بن الفرج الرخجي أيضاً، ويبدأ القصيدة بقوله:(١)

هذا العقيقُ فَعَدِّ أيْـ ـدي العيسِ عن غُلوائها
وامنع نواجيها النَّجاءَ فـلاتَ حينَ نَجائهـا

---

(١) ديوان ابن الجهم ص ٣٧ ـ ٤٠، والرخجي: هو عمر بن الفرج، وكان من بطانة الواثق وكَّله على أخيه المتوكل يكتب بأخباره إليه، فلما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بحبسه وقبض ضياعه وأمواله سنة ٢٣٣هـ وهي السنة التي قتل فيه ابن الزيات أيضاً، ينظر الطبري ١١/ ٢٧، ٣٠.

ويتوصل إلى الهجاء بقوله:

ملكٌ أعـدتُه الملو	ك لخوفها ورجائها
تدنيه أمَّةُ أحمدٍ	للثأر من أعدائها
من بعد ما طعنتْ قرو	نُ الشركِ في أحشائها
وتحكُّمَ الزيَّاتِ في	أموالها ودمائها
زارٍ على سُنَنِ النبـ	ـيِّ يَجُدُّ في إطفائها
والرُّخَجيُّ الأعورُ الدَّجـ	ـالُ من أمرائها
يمضي الأمورَ مُعانداً	للهِ في إمضائها
يغري بقذفِ المُحْصَنا	تِ وليسَ من أبنائها

دعبل الخزاعي:

وممن هجا ابن الزيات من الشعراء دِعْبِل بن علي الخزاعي (١٤٨ـ ٢٤٦ هـ)، وكان دعبل كثير الهجاء لا يهاب من يكون مهجوه، فقد هجا الخلفاء بأقذع الهجاء، وهجا الأمراء والوزراء، وكان من جملة المهجوين الخليفة المأمون العباسي، وأخوه المعتصم، وهجا ابن الزيات أيضاً، ولم يرد ابن الزيات على هجائه، ولما سُئل: لمَ لا تجيبُ دِعْبِلاً عن قصيدته التي هجاك فيها؟ قال: «إن دِعْبِلاً قد نحت خشبته، وجعلها على عنقه، يدور بها يطلب من يصلبه منذ ثلاثين سنة، ليس يجد أحداً يفعل ذلك به، أأجيء أنا فأجيبه ؟ قد ضللتُ إذن، وما أنا من المهتدين»(١).

ويبدو أن صلة دِعْبِل بابن الزيات كانت في بدايتها جيدة، وأن دِعْبِلاً كان يُعدُّ قرابة الأدب كقرابة النسب، فهو يعاتب ابن الزيات بأن الأدب يجمعهما، وله عليه بذلك حقوق، يقول:(٢)

---

(١) ابن المعتز ـ طبقات الشعراء ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٢) ديوان دعبل الخزاعي ص ٦٦ وقد تردد المحقق في نسبة البيتين بين ابن الزيات وأحمد بن يوسف الكاتب، وكلاهما يكنى بأبي جعفر.

اذكرْ أبا جعفرٍ حقّاً أمُتُّ بـهِ   أنّـي وإيّـاكَ مشغـوفـانِ بالأدبِ
وأنّـنا قد رضعنا الكأسَ درَّتها   والكأسُ دِرَّتُـها حظٌّ من النسبِ

وكان دِعْبِل قد مدح ابن الزيات، فأنشده ما قال فيه، وفي يد ابن الزيات طومار قد جعله على فمه، كالمتكيء عليه، وهو جالس، فلما فرغ أمر له بشيء لم يرضه، فقال يهجوه:(١)

يا مـن يقلّبُ طـومـاراً ويلثمُـهُ   ماذا بقلبكَ من حُبِّ الطواميرِ
فيـه مشابـهُ مـن شـيءٍ تُسَرُّ بـهِ   طـولاً بطولٍ وتـدويـراً بتدويـرِ
لو كنتَ تجمعُ أموالاً كجمعِكها   إذاً جمعـتَ بيوتـاً من دنانـيرِ

وقد هجا دعبل الخليفة المعتصم عند موته، وكان يعارض ويعلق على أبيات لابن الزيات رثى بها المعتصم، يقول ابن الزيات:(٢)

قد قلتُ إذْ غيَّبوهُ وانصرفوا   في خيرِ قبرٍ لخيرِ مدفونِ
لن يجبرَ اللهُ أمةً فقـدتْ   مثلكَ إلا بمثـلِ هـارونِ

فقال دعبل يعارضه:

قـد قلـتَ إذْ غيَّبـوهُ وانصـرفـوا   في شرِّ قبرٍ لشرِّ مدفـونِ
اذهبْ إلى النارِ والعـذابِ فمـا   خِلْتُـكَ إلا من الشياطينِ
ما زلتَ حتى عقدتَ بيعةَ مَنْ   أضَـرَّ بالمسلمـينَ والدِّيـنِ

علي بن جبلة:

وممن هجا ابن الزيات وبالغ في هجائه، الشاعر علي بن جبلة، المعروف بالعَكَوَّك، وهو من أبناء الشيعة الخراسانية، وهو شاعر عراقي مجيد، كان أعمى أسود أبرص، ومن أحسن الناس إنشاداً، حتى إن الأصمعي ـ فيما يقال ـ كان يحسده، وهو الذي لقبه بالعَكَوَّك، أي: الغليظ السمين، قتله المأمون حوالي سنة ٢١٣هـ/٨٢٨ م(٣)،

---

(١) الأغاني ٢٠/١٥٢، وديوان دعبل ص ١٥٥، والطومار: الصحيفة.
(٢) الأغاني ٢٠/١٥٨، والديوان ق ١٦١.
(٣) وفيات الأعيان ١/٣٤٨.

وأهاجي العكوك في ابن الزيات كانت قبل أن يلي الوزارة، ولذلك كانت أهاجيه فيه قاسية، ولم يكن يخشاه، وقد انصب هجاؤه على مهنة أبيه وجده، وقال أبو الفرج إن ابن جبلة هجا ابن الزيات، وكان قد قصد أبا دلف القاسم بن عيسى في بعض أمره، قال:(١)

يا بائعَ الزيتِ عرِّجْ غيرَ مرموقِ ... لَتُشغْلَنَّ عن الأرطالِ والسوقِ
من رامَ شتمَكَ لم ينزعْ إلى كَذِبٍ ... في منتماكَ وأبداهُ بتحقيقِ
أبوكَ عبدٌ وللأمِّ التي فلقتْ ... عن أمِّ رأسكَ هَنٌ غيرُ محلوقِ
إنْ أنتَ عدَّدْتَ أصلاً لا تُسَبُّ به ... يوماً فأمُّكَ مني ذاتُ تطليقِ
ولن تطيقَ بحولٍ أنْ تُزيلَ شجاً ... أثبتُّهُ منك في مستنْزَلِ الرِّيقِ
أللهُ أنشاكَ من نَوْكٍ ومن كَذِبٍ ... لا تعطفَنَّ إلى لؤمٍ لمخلوقِ
ماذا يقولُ امرؤٌ غشَّاك مدْحَتَهُ ... إلا ابنُ زانيةٍ أو فرخُ زنديقِ

وهي قصيدة بالغة الشدة والإقذاع لم يُهْجَ ابن الزيات بأقذعَ منها، على كثرة ما هُجي، فأجابه ابن الزيات بأبيات يدفع عن نفسه سوء أدب بالعَكَوَّك في غير إقذاع:(٢)

اشمخْ بأنفكَ يا ذا السَّيِّءِ الأدبِ ... ما شئتَ واضربْ قَذالَ الأرضِ بالذَّنبِ
وارفعْ بصوتكَ تدعو من بذي عَدَنٍ ... ومن بقالي قَلا بالويلِ والحربِ
ما أنتَ إلا امرؤٌ أعطى بلاغتَهُ ... فَضْلَ العِذارِ ولم يَرْبعْ على أدبِ

وكان ابن الزيات قد عرَّضَ بأبي دُلَف العجلي، وكان أبو دُلَف صديقاً لخصمه أحمد بن أبي دواد، وذلك في قوله:(٣)

(١) الأغاني ٢٣/٦٦، وشعر العَكَوَّك ص ٨٨، ولم نقف على سبب بدء هذه المهاجاة، الهن: ما يستقبح ذكره عند المرأة، النوك: الحمق والغباء.
(٢) الأغاني ٢٣/٦٦ ـ ٦٧، والديوان ق ٢١.
(٣) الديوان ق٢١ ب ٦ ـ ٨.

صبراً أبـا دُلَـفٍ في كـلِّ قافيــةٍ كالقـدْرِ وقْـفـاً على الجـارات والعُقبِ
يا ربِّ إنْ كان ما أنشأتَ من عَـرَبٍ شروى أبي دُلَفٍ فاسْخَطْ على العَرَبِ
إنَّ التَّعَـصُّـبَ أبـدى منـكَ داهـيــةً كانـتْ تُحَـجَّبُ دونَ الوهْـمِ بالحُجُبِ

وتستـمـر المهـاجـاة بين الرجلين ويبـدو أن العَكَوَّك كـان حـريصـاً على الدفـاع عن ممدوحـه أبي دُلَف العـجلي دُلَف يهجـو ابن الزيات لأنه عـرَّض بأبي دُلَف ويجنح دُلَف إلى التهديد والوعيد يقول:(١)

فارددْ جُفونَكَ حسْرى عن أبي دُلَفً ولا ملامَـةَ أنْ تَعْشـى عـن القَمَرِ
لا يسخطـنَّ امـرؤٌ إنْ ذلَّ مـن حسبٍ فاللهُ أنـزلَـهُ في مُحْكَـمِ السوَرِ
لم آتِ سوءاً ولم أسخَطْ على أحـدٍ إلا على طلبي في مجتدىً عَسرِ
أقصِـرْ أبـا جعفرٍ عن سطوةٍ جمحـتْ إنْ لم تقصِّرْ بها مالت إلى القِصَرِ

ويعـجـب ابن الزيات من هجـاء العَكَوَّك، ومن إلحـاحـه في هذا الهـجـاء، ولـم يكـن بينهـما ثأر أو وتر، فلا يملك إلا أن يستهين بهذا الشاعر البذيء المقذع الذي يرى أنه يعيش في مجتمعهم شاذاً مهملاً كما تعيش الحمير والبقر:(٢)

يـا أيهـا العائبي ولـم يَرَ لي عَيبـاً أمـا تَنْتهـي فتـزْدَجِـرُ
هل لكَ وِتْـرٌ لديَّ تطلُبُـهُ فأنتَ صَلْـدٌ ما فيـكَ مُعْـتَصـرُ
فالحمـدُ والشكرُ والثَّناءُ لنا ولـلحسودِ التـرابُ والحَـجَــرُ

وفيها يقول:

تعيشُ فينــا ولا تـلائـمنـــا كما تعيشُ الحمـيرُ والبقـرُ
تغلي علينا الأشعارُ منك ومـا عنـدكَ نفـعٌ يُـرجى ولا ضَـرَرُ

---

(١) الأغاني ٢٣ / ٦٧، وشعر العكوك ص٥٦.
(٢) الأغاني ٢٣ / ٨٦، والديوان ق٥٥.

دندن الكاتب :

وآخر من نذكر ممن هجا ابن الزيات هو دندن الكاتب، وكان هجاؤه لابن الزيات حسداً، فقد رأى دندن ابن الزيات وعليه خلع الوزارة للمتوكل لما وزر له، فقال دندن يهجوه :(١)

راح الشقيُّ بخلعةِ النُّكْرِ　　مثلَ الهديِّ لليلةِ النَّحْرِ

لا تمَّ شهرٌ بعدَ خِلْعَتهِ　　حتى تراه طافيَ الجَمْرِ

ويُرى يُطاينُ من إساءتهِ　　يهوي لهُ بقواصمِ الظهر

---

(١) الأغاني ٢٣ / ٨٧. قواصم الظهر: المصائب والبلايا.

نكبة ابن الزيات وقصة التنـور

وزارته وقوته:

مر بنا أن محمد بن عبد الملك الزيات تقلد الوزارة لثلاثة خلفاء، وكان حازماً قوياً شديداً مستقل الرأي مهيب الجانب، مع شيء غير قليل من القسوة والغلظة على الكُتّاب والعمال الذين يستهينون بأمور الدولة ويعبثون بأموالها، وكان ابن الزيات مكيناً لدى الخلفاء وبخاصة المعتصم والواثق، وكان في زمن المعتصم شديداً على ابنه الواثق لا ينفذ ما يأمر به المعتصم من إعطائه المال الكثير، وكان يراجع الخليفة في ذلك، وقد كسب بذلك عداء الواثق الذي أقسم بأغلظ الأيمان إنْ ولي الخلافة ليقتله شر قتله، إلا أن الواثق لما ولي الخلافة، ورأى مقدرة ابن الزيات وحزمه واستقامته وحاجة السلطان إليه، عفا عنه وأكرمه، وعلت منزلته في عهده، حتى إنه أمر الكُتّاب ومَن في الديوان أن يقوموا له إذا مرَّ بهم، وكان في زمن الواثق شديداً على أخيه المتوكل، لما رأى منه من تقصير وسلوك لا يليق بأخي الخليفة، وما كان عليه من زي يشبه زي المخنثين، فعامله ابن الزيات بقسوة وغلظة، ولم يشفع له عند أخيه ليرضى عنه، بل كان سبباً في حلق رأسه وجز شعر قفاه، وحاول ابن الزيات أن يجعل الخلافة وولاية العهد بعد موت الواثق لابنه، ويحجبها عن أخيه المتوكل، فلم يفلح، وانتصر عليه في هذا الأمر خصمه أحمد بن أبي دواد، الذي سعى في تولية المتوكل، وحظي عنده، وأضمر المتوكل أن ينتقم من ابن الزيات، وساعده على ذلك إغراء ابن أبي دواد قاضي القضاة في قتله ومصادرته، طمعاً في ماله، وتخلصاً من خصم منافس شديد، إلا أن المتوكل قد أرجأ ذلك أربعين يوماً، فأقر ابن الزيات على الوزارة، وخلع عليه، ثم صادره وحبسه وأمر بتعذيبه حتى هلك.

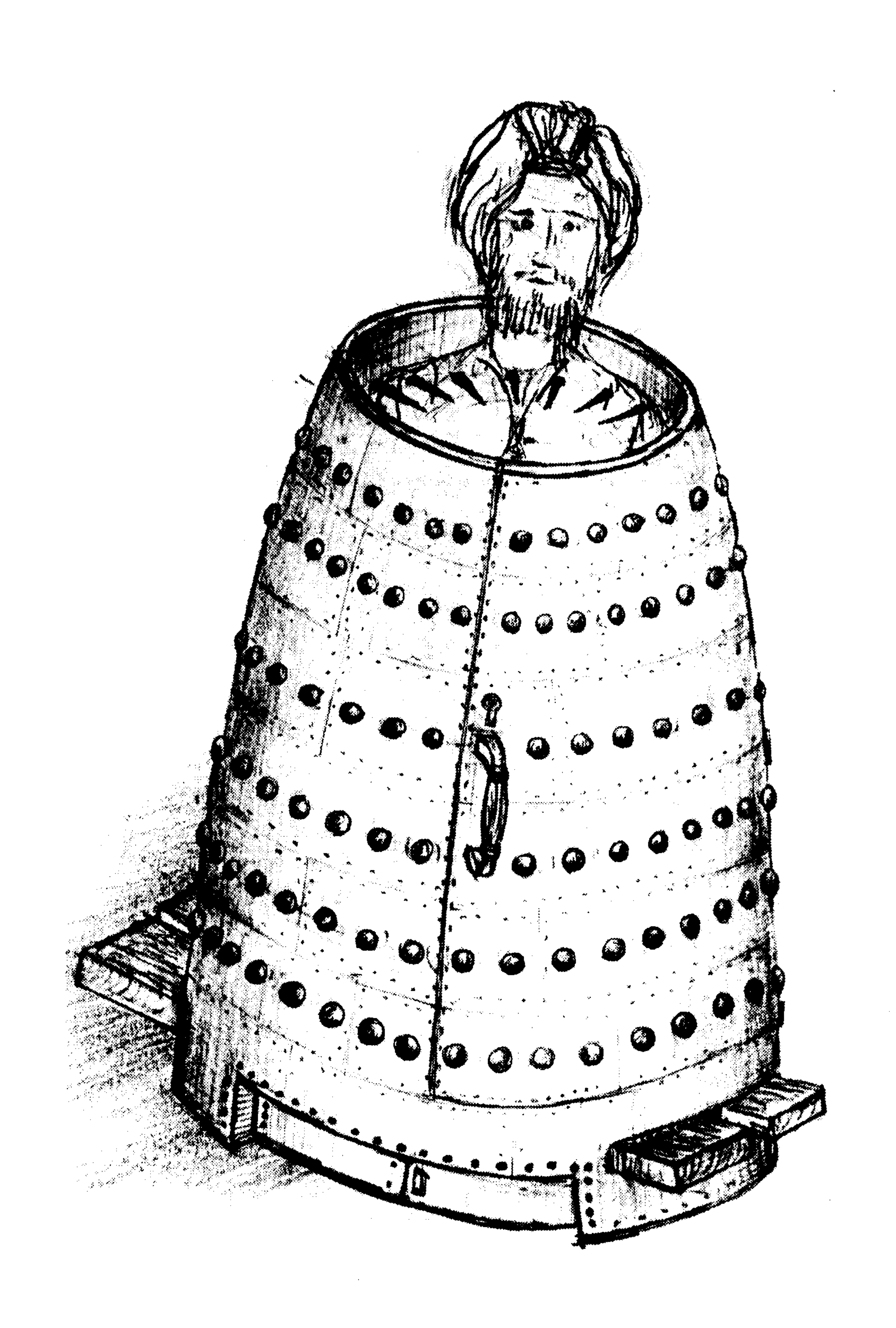
ومن هنا يتضح أن سبب نكبة ابن الزيات وقتله يعزى إلى جملة أسباب، منها:

١ـ أنه أشار بتولية محمد بن الواثق بعد وفاة الخليفة بدلاً من المتوكل، فعارضه في ذلك القاضي ابن أبي دواد وأشار بتولية المتوكل، وقام في ذلك وقعد فعممه بيده

وألبسه البردة وقبَّله بين عينيه، وتبعه في ذلك بقية القواد، بعد أن اعترضوا على تولية محمد بن الواثق لأنه غلام صغير أمرد.

٢- قسوة ابن الزيات على المتوكل في حياة أخيه الواثق، والتضييق عليه في النفقات، لأن المتوكل كان مسرفاً في اللهو والشراب، وكان الواثق غاضباً عليه، وكان لسيرة المتوكل الشاذة سبب في غضب الواثق عليه.

٣- كثرة خصوم ابن الزيات وحساده، وسياسته الحازمة القاسية، وكان من أبرز خصومه وأشدهم تأثيراً في الخلفاء أحمد بن أبي دواد، الذي ظل يغري المتوكل بمصادرته وقتله، ففلح في ذلك.



صورة متخيلة لتنور ابن الزيات

التَّنُّوْر

وكان عذاب ابن الزيات في التنور الذي صنعه، فما هو التنور؟.

لم يرد للتنور ذكر في التاريخ الإسلامي قبل عهد ابن الزيات، قيل إن ابن الزيات صنع التنور للمصادرين والمغضوب عليهم المطلوبين بالأموال، وذلك في أيام وزارته للمعتصم[١]، وينص ابن خلكان إلى أنه: «لم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة»[٢]، وفي الطبري قوله: «فذكر عن ابن أبي دواد وأبي الوزير أنهما قالا: هو أول من أمر بعمل ذلك، فعذَّب به ابن أسباط المصري، حتى استخرج منه جميع ما عنده، ثم ابتُلي به فعُذِّبَ به أياما»[٣].

فما هو التنور؟ وما شكله؟ وما هي مادة صنعه؟.

التنور من اسمه، هو الذي يخبز فيه الخبر، أي أنه وعاء أو فرن يخبز فيه، توضع في جوفه النار، ويلصق العجين على جوانبه ليكون خبزاً، والتنور: مفجِّر الماء، ومنه قوله تعالى: ﴿**حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور**﴾[٤].

وجاء وصف التنور الذي صنعه ابن الزيات ـ كما ذكرته المصادر ـ على الوجه الآتي:

تنور من حديد رؤوس مساميره إلى الداخل قائمة مثل رؤوس المسال[٥]، وقال البغدادي: تنور من حديد وأطراف مساميره المحددة إلى داخله، وهي قائمة مثل رؤوس المسالّ، وكان يُعَذِّب فيه أيام وزارته، فكيفما انقلب المعَذَّبُ أو تحرك من حرارة العقوبة، تدخل المسامير في جسمه[٦]، ويقول البيهقي: يمد المعذَّب يديه إلى السماء

---

(١) المسعودي ـ مروج الذهب ٥/ ٧.
(٢) وفيات الأعيان ٥/ ١٠٠.
(٣) الطبري ١٠/ ٨.
(٤) هود ٤٠.
(٥) مروج الذهب ٥/ ٧، والمسال: جمع مسلة وهي المخيط الضخم.
(٦) الخزانة ١/ ٤٥٠.

جميعاً حتى يدقّ موضع كتفيه ثم يدخل التنور ويجلس، وفي التنور مسامير حديد، وفي وسطه خشبة معترضة يجلس المعذَّب عليها، إذا أراد أن يستريح(١)، وقيل: تنور من حديد وفيه مسامير أطرافها المحددة إلى داخل التنور، وهي قائمة مثل رؤوس المسالّ، ويعذِّب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، فكيفما انقلب أحدهم أو تحرك من حرارة الضرب دخلت تلك المسال في جسمه، فيجد من ذلك ألما عظيماً(٢)، ويقول ياقوت على لسان الجاحظ: ولما قُبِض على محمد هرب الجاحظ، فقيل له: لمَ هربت؟ فقال: خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور، يريد ما صنع بمحمد وإدخاله تنور حديد فيه مسامير، وكان هو صنعه ليعذب الناس فيه، فعُذِّبَ هو فيه حتى مات(٣)، ويقول ابن خلكان : وكان ابن الزيات قد اتخذ تنورا من حديد، وأطراف مساميره المحددة إلى الداخل وهي قائمة مثل رؤوس المسالّ ، في أيام وزارته، وكان يعذِّب فيه المصادرين، وأرباب الدواوين والمطلوبين بالأموال، فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك من حرارة العقوبة (وفي نسخة: من حرارة النار والعقوبة) تدخل المسامير في جسمه ، فيجدون لذلك أشد الألم، ولم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة(٤).

وصرح الأصفهاني أن التنور يحمى بالنار، قال: فلما قُبض عليه (أي ابن الزيات) استعمل له تنور حديد، وجعل فيه مسامير لا يقدر معها أن يتحرك إلا دخلت في جسده، ثم أحماه له وجعله فيه فكان يصيح: ارحموني، فيقال له: اسكت، أنت كنت تقول: ما رحمت أحداً قط، والرحمة ضعفٌ في الطبيعة، وخَور في المُنَّة، فاصبر على حكمك، وخرج عليه عبادة(٥)، فقال: أردت أن تشويني فشَوَوْكَ(٦)، وفي رواية عن العباس بن طومار: أمر المتوكل عبادة أن يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيات ـ وقد

(١) المحاسن والمساوئ ص٥٣٢.
(٢) الوافي بالوفيات ٤/٣٢ومثله في تاريخ بغداد٣/١٤٥ـ١٤٦، وشذرات الذهب ٣/١٥٤ والفخري ص ٢٣٣.
(٣) معجم الأدباء ٥/٢١٠٢.
(٤) وفيات الأعيان ٥/١٠٠ .
(٥) عبادة : هو المشرف والقائم على تعذيب ابن الزيات.
(٦) الأغاني ٢٣/٧٣.

أُحْمي تنور حديد وجعله فيه ـ فيكايده، فدخل إليه فوقف بإزائه...(١).

وكل المصادر السابقة تنص على أن التنور من حديد، ولكن الطبري يذكر في سياق تعذيب ابن الزيات أن التنور من خشب فيه مسامير من حديد قيام(٢).

ومن خلال هذه المصادر التي قصدنا أن نذكرها بنصوصها يتبين:

١ ـ أن ابن الزيات أول من عمل التنور للتعذيب لاستخلاص الأموال من المطلوبين والمصادرين، وإن كان التنور معروفا للعلاج، ففي خبر وفاة الواثق ساق الطبري خبراً مفاده أن الواثق أصيب بعلة الاستسقاء، فعولج بالإقعاد في تنور مسخَّن، فوجد لذلك راحة وخفَّة مما كان به، فأمرهم من غد ذلك اليوم بزيادة في إسخان التنور، ففُعِل ذلك وقعد فيه أكثر من قعوده في اليوم الذي قبله، فحُمي عليه فأُخرج منه وصُيِّر في محفه ثم مات بعد ذلك(٣).

٢ ـ إن التنور من حديد وفيه مسامير حادة قائمة، كأنها الإبر الغلاظ أو المخيط.

٣ ـ أن التنور ضيق، والمسامير تحيط بجسم المعذَّب، فإنْ تحرَّك دخلت المسامير في جسمه، فيشعر بألم شديد.

٤ ـ قد يكون التنور للتضييق على المعذَّب وعدم استطاعته الحركة، دون الحاجة إلى حميه بالنار.

٥ ـ مما ذُكر أن التنور يحمى بالنار، وقال الأصفهاني: (ثم أحماه)، وذكر عبارة: (أردت أن تشويني فشووك).

٦ ـ أن المعذَّب يضرب، فإذا تحرَّك دخلت المسامير في جسمه.

٧ ـ إذا كان المعذَّب يضرب وهو في التنور والتنور من حديد، فينبغي أن يكون الضرب على الرأس والوجه.

---

(١) الأغاني ٢٣ / ٧٤.
(٢) الطبري ١٠ / ٨.
(٣) الطبري ٩ / ١٥٠.

٨ ــ ذُكر في تعذيب ابن الزيات أنه ضُرب على بطنه خمسين مقرعة، ثم قُلب فضُربَ على استه مثلها، فمات وهو يضرب وهم لا يعلمون، ومعنى هذا أن الضرب في هذه الحالة يكون المعذَّب خارج التنور.

٩ ــ في خبر عذاب ابن الزيات أن المتوكل أمر بإدخاله في التنور، وقُيِّدَ بخمسة عشر رطلاً من الحديد.

١٠ــ في أسفل التنور خشبة يجلس عليها المعذَّب، ولكن الخشبة تسحب من تحته حتى يظل واقفاً زيادة في عذابه، وإذا حاول الجلوس مع وجود الخشبة شُدَّ من رقبته، كما سيأتي في عذاب ابن الزيات.

١١ــ يرفع المعذَّب يديه إلى أعلى حتى يدق كتفه، ومعنى هذا أن يديه قد تكونان خارج التنور، فيستطيع كتابة بعض الكلمات، كما فعل ابن الزيات حين كتب على ظهر التنور أبياتا، وهذا يتيح للمعذِّب أن يضربه على يديه وكتفيه ورأسه وهو في التنور.

١٢ــ إن وقوف المعذَّب وعدم استطاعته الحركة خوفاً من انغراز المسال في جسمه، هو عذاب شديد، حتى لو لم يُضرب، أو لم يُحمَ التنور، ولا شك أن المعذَّب يعاني آلاماً شديدة في قدميه وساقيه وظهره.

١٣ــ ليس هناك تحديد للأيام التي يبقى فيها المعذَّب في التنور، قد تطول حتى الإقرار والاعتراف بما يريدون، أو حتى وفاة المعذَّب، وكان عذاب ابن الزيات في التنور قد استمر أربعين يوما إلى أن توفي.

١٤ــ لم يرد ذكر لإطعام المعذَّب، ونفترض أنه يأكل مرة واحدة في يومه، رغيفا من الخبز وجرعة ماء، وفي خبر ابن الزيات أنه لم يأكل طيلة حبسه إلا رغيفاً واحداً، وكان يأكل العنبة والعنبتين.

١٥ ــ لم يرد ذكر لقضاء حاجة المعذَّب، وفي أكبر الظن أنه كان يقضيها في مكانه لطول مدة العذاب.

نكبة ابن الزيات

لما آلت الخلافة إلى جعفر المتوكل، وكان لابن الزيات مواقف شديدة قاسية من المتوكل في عهدأخيه الواثق،فقدكان يضطهده ويعنفه لما كان من غضب الواثق على أخيه المتوكل لسفهه ومجونه وانصرافه إلى اللهو والشراب والتشبه بالمخنثين من إسدال الشعر الطويل وخاصة شعر القفا، وكان ابن الزيات قد تجهم للمتوكل حين طلب منه التوسط له لدى أخيه الواثق ليرضى عنه فلم يعنه ، ولما توفي الواثق سعى ابن الزيات لجعل الخلافة لمحمد بن الواثق وكان صغيراً، وأراد أن يحجبها عن المتوكل، وسعى خصمه أحمد بن أبي دواد لبيعة المتوكل، ولما صار المتوكل خليفة، كان ابن أبي دواد يغريه بمصادرة ابن الزيات وقتله، وزيَّن له أن لابن الزيات أموالاً طائلة ، ولم ينس المتوكل سلوك ابن الزيات حياله، فأمهله أربعين يوماً بعد أن أقرَّه على الوزارة وخلع عليه، حتى إذا كان يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر صفر سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م أمر المتوكل إيتاخ بأخذه وعذابه، فبعث إليه إيتاخ ، فظن ابن الزيات أنه دُعي به، فركب بعد غدائه مبادراً، فلما حاذى منزل إيتاخ ، قيل له : اعدل إلى منزل أبي منصور، فعُدل به، وأوجس في نفسه خيفة ، فلما جاء إلى الموضع الذي كان ينزل فيه إيتاخ، عُدِل به يمنةً، فأحسَّ بالشر، ثم أدخل حجرة، وأُخِذ سيفه ومنطقته وقلنسوته ودراعته، فدُفِع إلى غلمانه، وقيل لهم انصرفوا، فانصرفوا لا يشكون أنه مقيم عند إيتاخ ليشرب النبيذ(١).

وكان إيتاخ قد أعد له رجلين من وجوه أصحابه، هما يزيد بن عبد الله الحلواني، وهرثمة شارباميان، فلما كان ابن الزيات في منزل إيتاخ، خرج هذان يركضان في جندهما وشاكريتهما حتى أتيا دار محمد بن عبد الملك ، فهجما على داره وأخذا جميع ما فيها. وكان المتوكل قد أمر في هذا اليوم أن يقبض على كل ما في منزله من متاع ودواب وجوار وغلمان، فصيَّر ذلك كله في الهاروني، ووجه راشداً المغربي إلى

---

(١) الطبري ١٠ /٧.

بغداد في قبض ما هنالك من أمواله وخدمه، وأمر أبا الوزير بقبض ضياعه، وضياع أهل بيته حيث كانت، فأما ما كان بسامرا، فحمل إلى خزائن مسرور سماتة، بعد أن اشتري للخليفة، وقيل لمحمد بن عبد الملك: وكِّل ببيع متاعك، وأتوه بالعباس بن أحمد بن رشيد كاتب عجيف، فوكله بالبيع عليه[١].

ويبدو أن الموكلين بمصادرة أموال ابن الزيات لم يبقوا له أو لأهل بيته شيئاً ذا بال، ذكر ابن الحلواني ما صار عليه بيت ابن الزيات، قال: أتيت البيت الذي كان محمد ابن عبد الملك يجلس فيه، فرأيته رث الهيئة قليل المتاع، ورأيت فيه طنافس أربعة وقناني رطليات فيها شراب، ورأيت بيتا ينام فيه جواريه، فرأيت فيه بوريّاً[٢] ومخادَّ منضدة في جانب البيت، على أن جواريه كن ينَمْنَ فيه بلا فرش[٣].

وبقي ابن الزيات أياماً في حبسه مطلقاً، ثم أُمِر بتقييده فقُيِّد في حديد ثقيل، قيل: خمسة عشر رطلاً[٤]، وساءت حاله فامتنع عن الطعام، وكان لا يذوق شيئاً، وكان شديد الجزع من الحبس، كثير البكاء، قليل الكلام، كثير التفكير.

ثم بدأت عملية التعذيب، وكان أولها أن سوهر، ومُنِع من النوم، فكان الموكل به إذا رآه قد غفا ينخسه بمسلة، ثم تُرِك يوماً وليلة، فنام وانتبه، فاشتهى فاكهة وعنباً، فأُتي به فأكل، ثم أُعيد إلى المساهرة. ولم يكتفوا بعذاب السهر، بل شددوا عليه العذاب بأنْ أدخلوه في التنور، والمسامير تحيط به فلا يستطيع الحركة، ولم يُترك في التنور وشأنه، بل زادوا عليه العذاب، روى الدنداني الموكَّل بعذابه أنه قال: «كنت أخرج وأقفل الباب عليه، فيمد يديه إلى السماء جميعها حتى يدقَّ موضع كتفيه، ثم يدخل التنور فيجلس، والتنور فيه مسامير حديد، وفي وسطه خشبة معترضة، يجلس عليها المعذَّب، إذا أراد أن يستريح، فيجلس على الخشبة ساعة، ثم يجيء الموكل به، فإذا سمع صوت الباب يُفتح قام قائما كما كان، ثم شددوا عليه[٥].

---

(١) الطبري ١٠ / ٨.
(٢) البُوريُّ: الحصير المنسوج من القصب. فارسي معرّب (المعرب ص٢٤٦، اللسان: بور).
(٣) الطبري ١٠ / ٨.
(٤) ابن خلكان ٥ / ١٠٠.
(٥) الطبري ١٠ / ٨.

وقد مُنِع ابن الزيات حتى من القعود على الخشبة داخل التنور، قال المعذِّب له: « ثم خاتلته يوماً، وأريتُه أنِّي أقفلت الباب، ولم أقفله، إنما أغلقته بالقفل، ثم مكثت قليلاً، ثم دفعت الباب غفلة، فإذا هو قاعد في التنور على الخشبة، فقلت: أراك تعمل هذا العمل!! فكنت إذا خرجت بعد ذلك شددت خناقه، فكان لا يقدر على القعود، واستللت الخشبة حتى كانت تكون بين رجليه، فما مكث بعد ذلك أياماً حتى مات »(١)، وإذا صحت رواية موته، فيبدو أنه مات مخنوقاً، لأن المُعَذِّب قد شدَّ خناقَهُ حتى لا يجلس على الخشبة، ومع ذلك فقد سحب الخشبة فلم يستطع القعود، ولا شك أنه قد أُنْهِكَ فلم تحتمله رجلاه فانهار جسمه إلى أسفل، والحبل في رقبته فاختنق بثقل جسمه، هذه رواية موته، وهناك رواية أخرى ، أظنها الأرجح، تقول: « إنه بُطِحَ فضُرِبَ على بطنه خمسين مقرعة، ثم قُلِبَ فضُرِبَ على استه خمسين أخرى، فمات وهو يُضْرب، وهم لا يعلمون، فأصبح ميتاً قد التوت عُنُقُهُ، ونُتِفَتْ لحيتُه »(٢)، وقد اجتمع على ابن الزيات عذاب التنور والضرب والجوع أيضاً، قال مبارك المغربي: ما أظنه أكل طول حبسه إلا رغيفاً واحداً، وكان يأكل العنبة والعنبتين.

وكان يتذكر حاله قبل النكبة، وما كان فيه من نعمة، وندم أنْ طلب الوزارة، ويحزن على ما صار إليه، ووصف المغربي حاله قبل الموت، قال: « كنت أسمعه قبل موته بيومين أو ثلاثة يقول لنفسه: يا محمد بن عبد الملك، لم تقنعك النعمة والدواب الفُرَّه، والدار النظيفة، والكسوة الفاخرة، وأنت في عافية، حتى طلبت الوزارة، ذق ما عملت بنفسك، فكان يكرر ذلك على نفسه، فلما كان قبل موته بيوم، ذهب عنه عتاب نفسه، فكان لا يزيد على التشهد وذكر الله »(٣)، وكانت مدة إقامته في التنور أربعين يوماً(٤).

---

(١) الطبري ١٠/ ٩ .
(٢) السابق والصفحة .
(٣) الطبري ١٠/ ٩ .
(٤) ابن خلكان ٥/ ١٠٠ .

ولما أُخذ ابن الزيات أُخذ ابناه سليمان وعبيد الله فحُبسا، فلما مات ابن الزيات، أُحضر ابناه وقد طُرِحت جُثَّتُهُ على باب من خشب في قميصه الذي حُبِس فيه، وقد اتسخ فدفعت جثته إليهما، فغسلاه على الباب الخشب ودفناه وحفرا له، فلم يعمقا، فذُكِرَ أنَّ الكلاب نبشته وأكلت لحمه[1]، وتبالغ الرواية فتجعل ابنيه يشتمانه حين رأيا جثته، فقالا: الحمد لله الذي أراح من هذا الفاسق [2]، وما أظن هذه الرواية صحيحة، إذ لم يعرف عن أبنائه العقوق والجحود، وإذا افترضنا أنها صحيحة وهذا فرض بعيد، فإن الخوف من بطش السلطان أنطقهما بهذا الكلام. وهكذا يسدل الستار على حياة كاتب شاعر وزير حازم أراد أن يعيد للخلافة هيبتها، ويضع حداً لطمع الطامعين وعبث العابثين بأموال الدولة ومصائر الناس، في زمن كان الخلفاء ضعفاء ومنصرفين إلى اللهو والترف والسرف والمجون، وغلب عليهم قادة الجند من الأتراك، وقد كان للأحقاد والمنافسات أثر كبير في مصير ابن الزيات، الذي بولغ في عذابه وإهانته، وكان الطامعون في ماله يظنون أن له ثروات طائلات، ولكنهم حين صادروه لم يجدوا من كل أمواله في سامراء وبغداد إلا ما قيمته تسعون ألف دينار، وقيل: مائة ألف، في زمن كانت الجوائز والهبات تجاوز هذا المبلغ، وأن هذه الثروة تعد زهيدة لمن تولى الوزارة أربع عشرة سنة، وكان غنياً موسراً قبل أن يتولى الوزارة، ومن أسرة من أثرياء بغداد، ولذلك فقد قيل: إن المتوكل ندم على فعلته، وقال لابن أبي دواد: «أطمعتني في باطل، وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضاً»[3].

شعره عند العذاب:

يبدو أن الخليفة المتوكل كان يحضر إلى السجن ويشاهد عذاب ابن الزيات، وكان ابن الزيات يستعطفه ويقول: يا أمير المؤمنين، ارحمني، فقال له: الرحمة خور في الطبيعة كما كنت تقول للناس[4]، وقال له: «أجرينا فيك حكمك في الناس»[5].

---

(١) الطبري ١٠/٩.
(٢) السابق والصفحة.
(٣) الأغاني ٢٣/٧٣، والطبري ٩/١٦١.
(٤) ابن خلكان ٥/١٠٠.
(٥) السابق ٥/١٠٢.

وقد طلب ابن الزيات أثناء عذابه دواة وبطاقة، فأحضرتا إليه، فكتب: (١)

هي السبيلُ فمن يومٍ إلى يومِ كأنَّهُ ما تُريكَ العينُ في النومِ
لا تجزَعَنَّ رويداً إنها دُوَلٌ دُنْيا تَنَقَّلُ من قومٍ إلى قومِ

وسيَّرها إلى المتوكل فاشتغل عنها، ولم يقف عليها إلا إلى الغد، فلما قرأها المتوكل أمر بإخراجه، فجاءوا إليه فوجدوه ميتاً(٢)، ومما كتبه أثناء العذاب أبياتاً، يذكر فيها ما يقاسيه من تسهير، ويتشوق إلى النوم، وقد وجدت هذه الأبيات مكتوبة بخطه بالفحم على جانب التنور: (٣)

من لهُ عهدٌ بنومٍ يُرشِدُ الصَّبَّ إليهِ
رحم اللهُ رحيماً دلَّ عينيَّ عليهِ
سَهِرَتْ عيني ونامتْ عينُ منْ هُنْتُ عليهِ

وقد دخل عليه أحد أصحابه وهو أحمد الأحول، فرآه وكلَّمهُ ووصف حالهُ، قال: لما قُبِضَ على ابن الزيات، تلطفتُ إلى أنْ وصلتُ إليه، فرأيتُهُ في حديد ثقيل، فقلتُ له: يعز عليَّ ما أرى، فقال: (٤)

سَلْ ديارَ الحيِّ مَنْ غَيَّرها وعفاها ومحا منظرَها
وهي الدنيا إذا ما أقبلتْ صيَّرتْ معروفَها مُنْكَرَها
إنَّما الدنيا كظلٍّ مائلٍ نحمدُ اللهَ كذا قدَّرَها

ولما جُعِل في التنور قال له خادمه: ياسيدي قد صرتَ إلى ما صرتَ إليه، وليس لك حامد، فقال له: وما نفع البرامكة صُنْعُهم؟ فقال: ذكرك لهم هذه الساعة! فقال: صدقت، رحمه الله(٥)، وإيغالاً في إيذائه وتوبيخه، أمر المتوكل عبادة أن

---

(١) ابن خلكان ٥ / ١٠٠، والديوان ق ١٤١.
(٢) السابق والصفحة.
(٣) ابن خلكان ٥ / ١٠٠، الوافي ٤ / ٣٣، البغدادي ـ تاريخ بغداد ٣ / ١٤٦، والديوان ق ١٧٤.
(٤) الأغاني ٢٣ / ٧٤، ابن خلكان ٥ / ١٠١، تاريخ بغداد ٣ / ١٤٦، الوافي ٤ / ٣٣ والديوان ق٧٣.
(٥) ابن خلكان ٥ / ١٠١.

يدخل إلى محمد بن عبد الملك الزيات ــ وقد أحمى تنور حديد، وجعله فيه ــ فيكايده، فدخل إليه فوقف بإزائه وجعل يعظه بعظات، وقعها أشد من الإبر والمسامير، قال له : اسمع يا محمد، كان في جيراننا حفار يحفر القبور، فمرضت مخنثة[١] من جيراني، وكانت صاحبة لي، فبادر فحفر لها قبراً من الطمع في الدراهم، فبرأت هي، ومرض هو بعد أيام، فدخلت إليه صاحبتي وهو بالنزع، فقالت: ويْ يا فلان! حفرت لي قبراً وأنا في عافية، أو ما علمت أنه من حفر بئر سوء وقع فيها؟ وحياتك يا محمد، لقد دفناه في ذلك القبر، والعُقْبى لك. قال: فوالله ما برح من إزاء محمد بن عبد الملك يؤذيه ويكايده إلى أن مات[٢]، وعلى غرار هذا ما ذكره البيهقي قال: «أمر بعمل التنور فابتلي به لصحة المثل: كما تدين تدان، وإن شئت: مَنْ يُرِ يوماً يُرَ به، وإنْ شئت: من حفر حفرة هوي فيها، فعُذِّب في التنور»[٣].

والشعر الذي قاله وهو تحت العذاب كثير، فمما يروى أنه وُجد على حائط البيت الذي كان فيه من قِبَل التنور، قوله: [٤]

لعِبَ البِلى بمعالمي ورسومي ... ودُفِنْتُ حيَّاً تحت رَدْمِ غُموم
وشكوتُ غَمِّي حينَ ضِعْتُ ومن شكا ... كَرْباً يضيقُ بهِ فغيرُ مَلومِ
لَزِمَ البِلَى جِسمي وأوهَنَ قوَّتي ... إنَّ البِلَى لَمُوكَّلٌ بلزومِ

ويخاطب ابنته وما سيكون حالها ويوصيها:

أَبُنَيَّتي قِلِّي بُكاكِ واصبري ... فإذا سمعتِ بهالكٍ مَغمومِ
فانْعَي أباكِ إلى نسائهِ واقْعُدي ... في مأتمٍ يُبْكي العيونَ وقومي
قولي له يا غائباً لا يُرْتجى ... حتى القيامةِ مُخْبراً بقدومي
يا عينِ كنتِ وما أُكَلِّفُكِ البُكا ... حتى ابتُليتِ فإنْ صبرْتِ فدومي

---

(١) المخنثة: المرأة اللينة المتكسرة في مشيتها.
(٢) الأغاني ٢٣ / ٧٤.
(٣) المحاسن والمساوىء ص٥٣٢.
(٤) المحاسن والمساوىء ص٥٣٢ ــ ٥٣٣، والديوان ق١٤٣.

من رثاهُ بعد موته:

ولا نطمع في أن نجد شعراً في رثاء ابن الزيات، وهيهات أن تجد فيمن تغير عليه الزمان، وزال عهده، وذهب مجده، أن يذكره الناس بخير، أما أن تنطلق الألسن في هجائه والتشفي به والتقرب إلى السلطان بهجائه فهذا أمر يكاد يكون بدهياً، لأن الناس إنما تمدح وترثي طمعاً في مال أو جاه، وقلما يكون ذلك وفاءً وعرفاناً بالجميل، وذكراً للأيادي البيض، فإذا ما اجتمعت هذه الأمور، بالإضافة إلى ما يخشاه الناس من بطش السلطان وسطوة أعدائه، فإن الذاكرين بالخير قليل، فهم بين جاحد وخائف، ولذلك فقد وقعت أبيات، قيل إن الحسن بن وهب قالها، ولكنه خشي من السلطان وبطانته، فأنكر أن تكون له، ولكنها عرفت له لأنها وجدت مكتوبة بخطه، والأبيات هي:(١)

يكادُ القلبُ من جَزَعٍ يطيرُ إذا ما قيلَ قد قُتِلَ الوزيرُ

وفيها يعاتب الخليفة بأنه فرَّط في رجلٍ كُفءٍ مخلص، هو ركن من أركان الدولة وسند لها:

أميرَ المؤمنينَ هدمْتَ ركْناً عليهِ رحاكُمُ كانتْ تدورُ

سيبلى المُلْكُ من جَزعٍ عليهِ ويخربُ حين تضطربُ الأمورُ

فمهلاً يا بني العباسِ مهلاً فقد كُويَتْ بفعلِكُمُ الصدورُ

إلى كم تنكبونَ الناسَ ظُلْماً لكم في كلِّ ملحمةٍ عقيرُ

ويذكر أفعال ابن الزيات وإخلاصه وسجاياه:

جزيتم ناصراً لكمُ المنايا وليس كذلكمْ يُجْزى النصيرُ

فكنتم سائقاً أرسى إليكم وذلك من فِعالِكُمُ شهيرُ

وكأنَّ صلاحَهُ لو شِئْتموهُ قريباً لا يحاوِلُهُ البصيرُ

كأنَّ اللهَ صيَّركم ملوكاً لئلا تعدلوا ولأنْ تجوروا

---

(١) الأغاني ٢٣/ ٧٩ ـ ٨٠ .

وفي ديوان علي بن الجهم أبيات ذكر فيها ابن الزيات، في سياق العبرة والعظة وجعله من أهل المروءات:[1]

قلتُ لها حينَ أكثرتْ عَذَلي ويحكِ أزْرَتْ بنا المروءاتُ
قالتْ فأينَ الأملاكُ قلتُ لها لا تسألي عنهمُ فقد ماتوا[2]
قالتْ ولِمْ ذاكَ قلتُ فاعتبري هذا وزيرُ الإمامِ زيَّاتُ

---

(١) ديوان علي بن الجهم ص ٩٨، وتنسب للصولي أيضاً في ديوانه في الطرائف الأدبية ص١٥٦، ووفيات الأعيان ٣/٥٦.

(٢) في ديوان الصولي ووفيات الأعيان: (قالت فأين السراة).

الفصل الثاني
أدب ابن الزيات

عاش محمد بن عبد الملك الزيات في عصر الازدهار الثقافي والأدبي والعلمي، وعاش حياة عريضة، وشارك في الحياة الأدبية مشاركة واسعة، فكانت له صلات كبيرة بكتاب العصر وشعرائه وخلفائه وأعيانه، ومارس حياة اللهو والترف وحضر مجالس الأدباء والشعراء، كما كان له أثر كبير في الحياة السياسية، إذ كان موظفاً في الديوان، ثم وزيراً ذا أثر وخطر، فقد وزر للمعتصم ثم للواثق ولمدة قصيرة للمتوكل، وقد ذاق حلاوة الحياة بكل ما فيها من يسر وترف وغنى، وذاق مرارة النكبة وبؤس العذاب الأليم الذي أودى بحياته، وقد كان له أثره في الكتابة والشعر.

وأدبه صورة واضحة حية لحياته وشخصيته، فقد مدح أناساً ومدحه أناسٌ، وهجا أناساً وهجاه آخرون، وله مداعبات ومراسلات مع أصدقائه وإخوانه، وله نصيب كبير أيضاً من دسائس العصر وأحابيله، فكان في ذلك ظالماً ومظلوماً، جلاداً ومجلوداً، ومهما يكن من حكم الحاكمين على ابن الزيات، فإن الرجل قد خلدته آثاره، واستطاع أن يترك بصماته في أدب العصر وسياسته وأحداثه ورجاله.

لقد أعد ابن الزيات نفسه ليكون في حاشية السلطان كاتباً، وطمح لأنْ يكون وزيراً، فترك مهنة آبائه وأجداده في تجارة الزيت التي فيها الثراء والغنى، وسار في طريق العلم والأدب، فأهَّل نفسه لذلك، وكان له استعداد وعلم وأدب وشاعرية، فأما استعداده، فقد رزق ذكاءً متوقداً وعزيمة صلبة أهلته لأن يصل إلى مبتغاه من الطريق الطبيعي الذي يسلكه المؤهلون بمواهبهم وعلمهم وحسن إدارتهم، لقد استكمل ابن الزيات علمه وتمكن من أداته الأدبية قبل أن يلج باب الخلافة، فقد عرف بنبوغه وتمكنه في النحو واللغة والأدب، وقد مرَّ بنا شهادة أبي عثمان المازني (ت٢٤٩هـ/٨٦٣م) من أن رأيه في المسائل التي يختلف فيها طلاب العلم هو الرأي الفصل، وجوابه هو الجواب السديد، فكان إذا اختلف جلساء المازني وطلابه في أمر من أمور النحو يقول المازني: ابعثوا إلى هذا الفتى الكاتب (أي ابن الزيات) وأسألوه

واعرفوا جوابه، فيفعلون، فيصدر الجواب من قبله بالصواب الذي يراه المازني[١]، وكان سبب دخول ابن الزيات ديوان الخليفة وتسلمه الكتابة ثم الوزارة هو تمكنه من العلم ومعرفته اللغوية الواسعة، في القصة التي مرت والتي عرفت بقصة الكلأ، حيث سأل المعتصم وزيره عن معنى الكلأ الذي ورد في أحد كتب عماله، فلم يعرفه الوزير، فنودي على ابن الزيات فأجاب إجابة وافية وفصَّل في أطوار الكلأ وأنواعه وأسمائه في كل حالاته[٢]، وكذلك معرفته بالرجال وسبب تسميتهم بألقاب معينة، ومنها سؤال المعتصم لجلسائه عن سبب تسمية طاهر بن الحسين بذي اليمينين، فلم يعرفوا ذلك، فنودي على ابن الزيات، فقال: إنه ذو الاستحقاقين، استحقاق ما لجده من رزق في مال الدولة، واستحقاق ما له في دولة المأمون[٣]. وإذا تركنا أماديح أبي تمام والبحتري في وصف قلمه وبيانه وشاعريته، على أنهما شاعرا مديح، والشاعر كثيراً ما يبالغ فيما يقول، فإننا نحتكم إلى رأي المؤرخين والأدباء، فالمرزباني يقول: «إن محمد بن عبد الملك الزيات كان أديباً شاعراً»[٤]، والخطيب البغدادي يثني عليه بقوله: «كان أديباً فاضلاً عالماً بالنحو واللغة»[٥]، وقد ذكره دِعْبِل الخزاعي في طبقات الشعراء (نقلاً عن تاريخ بغداد السابق)، وأشاد به ابن خلكان فقال عنه: «قد سَمَت بمحمد بن عبد الملك الزيات همتُه... وكان من أهل الأدب الظاهر والفضل الباهر، أديباً فاضلاً بليغاً عالماً بالنحو واللغة»[٦]، ولم ينكر المسعودي الذي يختلف معه في المذهب، فقد كان المسعودي شيعياً، وابن الزيات معتزلياً جهمياً، ومع ذلك فقد ذكره بأنه: «كان كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً»[٧]، أما أبو الفرج الأصفهاني، فيرى في ابن الزيات: «شاعراً مُجيداً لا يُقاس به أحد من الكُتَّاب، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك، فإن

---

(١) تاريخ بغداد ٣/١٤٤.
(٢) ابن خلكان ٤/١٨٦ الوافي ٤/٣٢، الخزانة ١/٤٤٦.
(٣) كرد علي ص ٢٨٢، الهجرسي ص١٠١. وانظر الأعلام للزركلي ٣/٢٢١.
(٤) معجم الشعراء ص٣٦٥.
(٥) تاريخ بغداد ٣/١٤٤.
(٦) وفيات الأعيان ٥/٩٤.
(٧) مروج الذهب ٥/٨.

إبراهيم مُقِلٌّ وصاحب قِصار ومقطّعات، وكان محمد شاعراً يطيل فيجيد، ويأتي بالقصار فيجيد، وكان بليغاً حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب »[1]، ووصفه البغدادي بأنه: « من أهل الأدب فاضلاً عالماً بالنحو واللغة »، وأوردقصة المازني[2]، وأفاض إبراهيم بن المدبر الوزير في الثناء على ابن الزيات، في أدبه وشخصيته وخصاله، فقال: « من ألطف الناس ذِهناً، وأرقّهم طبعاً، وأصدقهم حسّاً، وأرشقهم قلماً، وأملحهم إشارة، إذا قال أصاب، وإذا كتب أبلغ، وإذا شعر أحسن، وإذا اختصر أغنى عن الإطالة »[3]، أما صديقه الجاحظ، فقد جعل علم الشعر عند أدباء الكُتّاب، والرواية طويلة، تقول: « طلبت علم الشعر عند الأصمعي، فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش، فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكُتّاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات »[4]، وقد اعتمد ابن رشيق على قول الجاحظ هذا حين أراد أن يُقيم ديواناً مفرداً للشعراء الكُتّاب، ولعلنا لم ننسَ الرواية التي تحدثت عن رضا الواثق، وكان غاضباً على ابن الزيات وقد قرر قتله، فلما طلب إلى الكُتّاب جميعاً أن يكتبوا بين يديه عهداً إلى الأمصار بتوليته الخلافة، فلم يُرْضِه ما كَتَبَ كُتّابُهُ، فدعا بابن الزيات فكتب بين يديه ما ارتضاه وأعجبه، فغفر له وقرّبه وقلّده الوزارة وقال لحاجبه قولته المشهورة: « أَدْخِل مَنْ المُلْكُ مضطرٌ إليه » وهو محمد بن عبد الملك الزيات[5]، ثم قال له الواثق: « والله ما أبقيتك إلا خوفاً من خلو الدولة من مثلك، وسأكفّر عن يميني، فإني أجد من المال عوضاً ولا أجد عن مثلك عوضا »[6].

وكان الواثق يحتفظ برقعة فيها شعر ابن الزيات، ويعجب لما فيها من أدب، فقد

---

(١) الأغاني ٢٣ / ٥٢.
(٢) خزانة الأدب ١ / ٤٤٦.
(٣) أمراء البيان ص ٢٨٤.
(٤) العمدة ٢ / ٧٣٦.
(٥) أعتاب الكتاب ص ١٣٥.
(٦) الفخري ص ٢٣٣.

ساق الأصفهاني رواية عن محمد بن الفضل بن الأسود الكاتب، قال حدثني ابن قريش ابن أنس عن أبيه قال: « دخلت على الواثق، فقال لي: يا أبا قريش، أخرج رقعة من تحت المصلى، فمددت يدي فأخرجت الرقعة، وقرأتها، وقلت: يا أمير المؤمنين، رقعة حسنة، أولها تشوق، وأوسطها استعتاب، وآخرها استبطاء، وإذا في آخر الرقعة:

إنْ يكـنْ حبلُكَ من حبلي وهَى فإلى شوقي يكونُ المنتهَى

لـم يـذكِّـرْنيـكَ خَطبٌ حـادثٌ إنمـا يذكـر مَن كـان سـهـا

وكانت الرقعة من محمد بن عبد الملك الزيات، فقال الواثق: هذا هو ابن الزيات الذي يلومني الناس في حبه »[١]، ولهذا الإعجاب بابن الزيات وحبه، جعل الواثقُ الناسَ يقومون له إذا مَرَّ، إجلالاً له وتعظيماً لمكانته، وقد أهَّلَتْهُ هذه المكانة أن يعقد للولاة في دار الخلافة، ولم يسبقه أحد من الوزراء أن عقد لوالٍ في دار الخلافة قبل الوزير ابن الزيات، فقد عقد لإسحاق بن إبراهيم أبي خميصة، مولى بني قشير من أهل أضاخ، على اليمامة والبحرين وطريق مكة مما يلي البصرة، في دار الخلافة[٢].

هذه نظرة الأدباء والعلماء والمؤرخين والخلفاء لأدب ابن الزيات، ولا شك أن لابن الزيات ذوقاً رفيعاً وبصراً بالشعر ونقده، ودليل ذلك ما رواه ابن خلكان من أن أبا حفص الكرماني كاتب عمرو بن مسعدة، كتب إلى محمد بن عبد الملك الزيات: « أما بعد، فإنك ممن إذا غرس سقى غرسهُ، وإذا أسَّسَ بنى أُسَّهُ، ويجتني ثمرة غرسه، وبناؤك في ودي قد وهَى وشارف الدروس، وغرسك عندي قد عطش وأشفى على اليبوس، فتدارك بناء ما أسست، وسقي ما غرست »، فقال ابن الزيات: ما زاد الكرماني على أن نقل إليَّ قول أبي نواس يمدح البرامكة:[٣]

إن البرامكـة الكـرام تعلـمـوا فعلَ الجميل وعلَّموه الناسا

كـانوا إذا غرسوا سقوا وإذا بنـوا لا يـهـدمون لمـا بنـوه أساسا

---

(١) الديوان ق ١٧٠.

(٢) الطبري ٥/ ١٤٠.

(٣) ابن خلكان ٥/ ٩٩.

وإذا هـمُ صنعوا الصنائع في الورى　　جعلوا لـها طيب البقـاء لباسا

فعلامَ تسقينـي وأنـت سقيتنـي　　كأسَ المودة من جفائك كاسا

وموقف آخر يدل على علم ابن الزيات بالشعر وحسّه الفني والنقدي، ذلك ما نقله أبو الفرج من أن الشعراء اجتمعوا يوماً على باب المعتصم، فبعث لهم محمد بن عبد الملك الزيات، إن أمير المؤمنين يقول لكم: من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النَّمَري[١] في الرشيد:[٢]

خليفـة اللـه إن الجـودَ أوديـةٌ　　أحلَّكَ اللهُ منهـا حيث تجتمـعُ

من لم يكـن بأمينِ اللـهِ معتصمـاً　　فليس بالصلواتِ الخمسِ ينتفـعُ

إنْ أخلفَ القطرُ لم تخلف مخايلُهُ　　أو ضـاقَ أمـرٌ ذكـرنـاه فيتسـع

فليدخل، وإلا فلينصرف، فقام محمد بن وهيب فقال: فينا من يقول مثله، فسأله محمد بن عبد الملك الزيات: أي شيء قلت؟ فقال:

ثـلاثـة تشرقُ الدنيا ببهـجتهـم　　شمسُ الضحى وأبوإسحاق والقمـرُ

تحكي أفاعيلُـهُ فـي كـلِّ نائبـةٍ　　الغيثُ والليثُ والصمصامة الذكَـرُ

فطرب ابن الزيات لشعره، وأمر بادخاله على المعتصم، وأحسن جائزتهُ[٣].

إن ابن الزيات شاعر مجيد، أشاد به النقاد والأدباء والمؤلفون الذين ترجموا له أو ذكروه، من ذلك قول ابن العماد: «كان ابن الزيات أديباً بليغاً وشاعراً محسناً كامل الأدوات جهمياً»[٤]، وكان أشعر الشعراء الكتاب، كما يستشف من قول أبي الفرج الأصفهاني: «كان محمد بن عبد الملك الزيات شاعراً مجيداً، ولا يقاس به أحد من

(١) هو منصور بن الزبرقان النمري شاعر من أهل الجزيرة، قدمه البرامكة للرشيد، فقال في مدحه شعراً كثيراً توفي نحو سنة ١٩٠هـ.
(٢) الأغاني ١٩ / ٨٠ ـ ٨١.
(٣) الأغاني ١٩ / ٨١.
(٤) شذرات الذهب ٣٤/ ١٥٤.

الـكُتَّاب »[١] وكذلك قالوا في ابن دريد إنه أشعر العلماء، ولكن أين موضع ابن الزيات من شعراء عصره، وفيهم الفحول من مثل مسلم بن الوليد (ت ٢٠٩ هـ) وأبي العتاهية (ت ٢١١ هـ) وأبي تمام (ت ٢٣٢هـ) ودِعْبِل الخزاعي (ت ٢٤٦هـ) وعلي بن الجهم (ت٢٤٩هـ) والبحتري (ت ٢٨٤ هـ) وغيرهم من معاصري ابن الزيات؟، وهل الأحكام التي مرت للأدباء الذين أشادوا بشعره وأعجبوا به وفضلوه تؤخذ على أنها حقائق، أم على أنها إعجاب ببعض شعره، وفي جوانب من فنونه وأغراضه؟ يرى الأستاذ جميل سعيد في مقدمة ديوانه أن أشعاره التي في ديوانه، لا تضعه في مصاف الشعراء المطبوعين، ولكنه، كما قال أبو الفرج: شاعر مجيد لا يقاس به أحد من الكُتَّاب، وهذا يعني أنه لا يقرن بالشعراء المطبوعين الكبار، ولا شك أن ابن الزيات شاعر لا يجارى حين يقول في الرثاء وما يتصل به من المعاني الحزينة، وهناك من الشعراء من كان يجيد في موضوع واحد دون سائر الأغراض، كما عرف عن الأخطل وإجادته في مدح الملوك، وأبي نواس وإجادته إذا قال في الخمر، وأبي العتاهية حين يقول في الزهد، « وإن ابن الزيات شاعر لا يجارى حين يقول في الرثاء وما يتصل به من المعاني الحزينة، وأشعاره الوجدانية كلها من هذا الجيد، الذي يظهر فيه الصدق الأدبي »[٢].

شعره:

لقد احتوى ديوان ابن الزيات على أكثر أغراض الشعر الشائعة في عصره، وظهرت في ديوانه الأغراض الشعرية الآتية: المديح، الرثاء، الهجاء، الغزل، الوصف، الخمرة، الإخوانيات، الحكمة، وبرع في الرثاء والمديح أكثر من بقية الفنون. ويحسن أن نقف عند أبرز وأهم الأغراض التي أجاد فيها، محيلين على الديوان الذي صنعناه عند الإشارة إلى الشعر (أرقام القصائد).

١ ـ المديح:

في ديوان ابن الزيات ثلاث قصائد طوال جياد في المدح، الأولى: قالها في مدح الحسن بن سهل في مطلع حياته الأدبية، حيث قصد الحسن بن سهل في (فم الصلح)

---

(١) الأغاني ٢٣/ ٥٢.
(٢) جميل سعيد ـ مقدمة ديوانه ص ز.

فامتدحه بقصيدة عدتها خمسة وثلاثون بيتاً، وكافأه الحسن بعشرة آلاف درهم(١)، والقصيدة الثانية الطويلة التي عدتها ثمان وخمسون بيتاً، قالها في الفضل بن سهل، وهي من القصائد الجياد التي سار فيها على نمط مدائح العصر من الركوب إلى الممدوح، واحتمال التعب والضنى ويحدوه الشوق إلى ممدوحه(٢)، وقد قال هذه القصيدة قبل أن يصبح وزيراً ، أما القصيدة الثالثة، فقصيدته في مدح المعتصم، وكان في هذا الوقت وزيراً لا يحتاج إلى التقرب إلى الولاة والأمراء، بل صار الناس يتقربون إليه، والقصيدة طويلة عدتها خمسون بيتاً(٣)، يسجل فيها ابن الزيات حروب وانتصارات المعتصم، وما أوقع بأعدائه من وقائع، ففي القصيدة تنويه وإشادة بفتح عمورية، وحرب بابك الخرمي وصلبه، وكذلك ما حل بالمازيار ومن تبعه من قتل وإذلال، ثم صلب المازيار، والقضاء على فتنة (الزط) وقمعهم، والقصيدة تسجيل للأعمال الجليلة التي قام بها المعتصم واستحق من الشاعر هذا المدح الذي بالغ فيه وجعله في مصاف التقاة الصالحين المؤمنين والفرسان المجاهدين والأئمة العادلين، يفتتح ابن الزيات القصيدة بالحديث عن نفسه بعد أن غزا الشيب رأسه، وجاوزه عهد الشباب، فلم يعد مطمعاً للنساء، والشيب يصد الغواني فيجعلهن يستغنين عنه، ويستهويهن الشباب اليافعون(٤)، ولم يقف طويلاً عند وصف حاله وما بلغه من السن التي يستغني فيها عن نزق الشباب، والأبيات ثلاثة جاءت على هذا النمط :(٥)

مـا للغـواني مَـنْ رأيـنَ برأسِـهِ ... يَقَـقَـاً مَلِـلْـنَ وِصَـالَـهُ وشَنَيْـنَـهُ

وإذا عِـذارُ المَـرْءِ قَـلَّ قتيـرُهُ ... لاحظْـنَـهُ ببشاشَـةٍ وهَـوَيْنَـهُ

صدَقَـتْ خُناسُكَ عنك بعد مودَّةٍ ... ورأتْ شبابَكَ باليـاً وغُضونَـهُ

---

(١) الديوان ق ١٢٦ .

(٢) الديوان ق ٦١ .

(٣) الديوان ق ١٦٨ .

(٤) ولم يرد بهذا ذكر شيخوخة المعتصم، كما وهم القيس ص ٩٩، فالشاعر يتحدث عن نفسه، وهذا أسلوب قديم عرفه الجاهليون والأمويون في مطالع قصائد المديح .

(٥) الديوان ق ١٦٨ ب ١ـ ٣ .

ثم يبدأ مديحهُ للمعتصم بأنْ يُضْفي عليهِ كل صفات الخليفة العادل المؤمن المتحلي بالعفاف والتقى، والساعي إلى إسعاد الناس ورضوان الله، والشاعر يتمثل في الخليفة الصفات التي يتخيلها ويتمناها في الخليفة المثال والرمز، وليس الخليفة الذي يعرفه، لا شك أنْ ليس بعد الخلفاء الراشدين خليفة تتمثل فيه هذه الصفات، سواء من خلفاء بني أمية أو بني العباس غير الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، والخلفاء بعامة مهما كان في سيرتهم من الانحراف والبغي والميل إلى اللهو والمجون، يحبون أن يُمدحوا هذا المديح من الصلاح والعدل والزهد والتقوى، فالشاعر قد جعل المعتصم في مصاف الصالحين التقاة العادلين الزهاد، ولا شك أن في ذهنه صورة الخلفاء الراشدين، حيث يقول:

إنَّ الخليفةَ خيرُ منْ وطيءِ الحَصَى   للـه يَمْحَصُ دينَـهُ ويقينَـهُ
سارتْ حكومتُـهُ بأعدلِ سيرةٍ   قُصْوى البلادِ وفي الذين يلونَهُ
فالحقُّ أوضحُ مبصرٍ آيـاتـه   والجَوْرُ يَطْمِسُ شَخْصَهُ وعيونَهُ
ورأى البريـةُ عَفْـوَهُ وعفافَـهُ   فالناسُ حَذْوَ طريقهِ يَحذونَهُ

ويبالغ الشاعر في تقديس الممدوح ورفعِ شأنه، بحيث يجعل طاعته من طاعة الله، وأن الله سبحانه جعله رحمة للناس، وبهديه يستنير المسلمون وتتضح معالم الدين:

طلبوا رِضـاُ بِنيَّـةٍ وتيقَّنـوا   أنْ ليس يرضَى اللهُ أو يرضَوْنَهُ
يخشون صولَتَهُ فهُمْ في طاعةٍ   وكَمِثْلِ ما يخشَوْنَهُ يرجونَهُ
إنَّ الخليفة رحمةٌ من ربِّنا   وبه أنارَ لنـا وأوضحَ دينَهُ

وينتقل إلى ذكر بلاء المعتصم، وما أنزل بأعدائه من عذاب، وصبَّ عليهم النقمة والبلاء، فقهر ملك الروم، وهزم جنوده، وقضى على الزط، واستأصل شأفتهم، وأنهى عبثهم في البلاد، وسقى بابك كأسَ المنية، وكسر شوكة الخرمية، وأنزل بهم العقاب الشديد:

ملكٌ بأرضِ الرومِ أنزلَ نقمةً   وأبادَ مالاً أهلُها يُحْصونَهُ
وأبادَ مالِكَها وفلَّ جنودَهُ   طَعْناً وزلزلَ مُلْكَهُ وحصونَه
والزُّطُّ أيُّ خليفةٍ دانوا لَهُ   أو كانَ قبلَكَ طاعةً يُعطُونَه
حتى مَلَكْتَ وظلَّ سيفكَ منهُمُ   تكسو الدماءُ شِفارَهُ ومُتونَهُ

. . .

وسقيتَ بابكَ كأسَ حَتْفٍ مُرَّةً   بفوارسٍ سحبوا القنا يتلونَهُ

وهكذا يسجل أعمال المعتصم وانتصاراته التي قضت على الخصوم، وأذلت أعداء الخليفة وأعداء المسلمين، ويقف عند معركة عمورية مزهوّاً مفاخراً يشيد بهذا النصر العظيم، ويصور الوقعة وما كان للمعتصم وجنده من بلاء شديد على الأعداء:

وإلى عَموريَّةٍ سما في جحفلٍ   ملأ الفِجاجَ سهولَهُ وحُزونَهُ
فأبادَ ساكِنها وحجَّلَ باطِساً   حلقاً أذلَّ اللهُ مَن يحوِيْنَه
قتلى يُنَضِّدُهم بكلِّ طَريقَةٍ   نَضْداً تخالُ مراقِباً موضونَهُ
فهم بوادي الجَونِ قتلى فُرْقَةٌ   وقبائلٌ فِرَقٌ ملأنَ سجونَهُ

ويذكر الشاعر خصوم المعتصم من قواد المشركين، وكيف حلَّ بهم البلاء، فهذا (باطس) الذي أذله وأنزله من حصنه وقاده أسيراً، ثم صلبه في سامراء، وكان صلبه إلى جانب بابك الخرمي، وكذلك ما فعله بالمازيار حيث أُسرَ وجيء به إلى سامراء فصُلِب هناك إلى جانب بابك وباطس[1]، ويسهب ابن الزيات في كيفية دحر جند هؤلاء القادة وأسرهم، وجلبهم مكبلين بالأصفاد أذلاء خانعين، وما نزل بهم من عذاب وقتل، وينهي المقطع الأخير من القصيدة التي هي ملحمة من ملاحم النصر الذي قاده المعتصم، ينهي هذا المقطع بذكر الإفشين وما نزل به من عقاب وصلب، بعد أن حوكم وأقرَّ بكفره، وكان

---

(١) ابن الأثير ٥ / ٢٥١ .

المعتصم قد أقام محكمة لمحاكمته، كان من أعضائها محمد بن عبد الملك الزيات وأحمد ابن أبي دواد، ويصور ابن الزيات ما حل بالإفشين في قوله:

نيطَتْ عوامِلُهُ برأسِ عُذافِرٍ　　جعل الشريطَ عِرانَهُ وبُرينَهُ
من بعد ما بالكفر بكَّتْ حيدراً　　وأبانَ يوضِحُ مُفْصِحاً مكنونهُ[١]
وجمعت كلَّ معدَّلٍ وسألتَهُ　　نصَّاً ليوضحَ كفْرَهُ ويُبينَهُ
فأقرَّ بالكُفْرِ المبينِ ولم يُرِدْ　　إلا الإلهَ ولم تُرِدْ تهجينَهُ

ويذكر ما كان من جحود الإفشين بعد أنْ أكرمهُ المعتصم، وجعله قائداً مُسَلَّطاً تمدحهُ الشعراء، وتشيد به، وترفع من مكانته:

وجزيتَ مادِحَهُ فأبصرَ شِعْرَهُ　　وأحبَّ كلَّ مدوِّنٍ تدوينَهُ
ورفعتهُ فوق النجومِ ولم تدعْ　　في المُلْكِ مصطفياً له تمكينهُ
وعصبتَهُ بالتاجِ عصْبَ جلالةٍ　　وجعلتَ خلْقَ اللهِ يسترعونَهُ

وهناك قطع وأبيات أخرى في مدح المعتصم، لا تقل جودة عن هذه القصيدة[٢].

وقصيدة المدح الثانية التي لا تقل جودة وحسن صياغة عن قصيدة عمورية، قصيدته في مدح الفضل بن سهل السرخسي (١٥٤ ـ ٢٠٢هـ/ ٧٧١ ـ ٨١٨ م) وزير المأمون وصاحب تدبيره، كان مجوسياً وأسلم على يد المأمون سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥ م، وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً، فكان يلقب بذي الرياستين، رياسة الحرب ورياسة السياسة[٣].

كان ابن الزيات في هذه الفترة شاعراً يقول الشعر محاكياً الكبار من شعراء عصره، كأبي تمام والبحتري، والكبار من الأمويين كجرير والفرزدق والأخطل في أماديحهم، فضلاً عن محاكاة الشعراء الجاهليين، وكانت هذه المحاكاة جيدة، موفقة

(١) حيدر: هو الإفشين قائد المعتصم الأكبر، اتهم بالزندقة والكفر فحوكم وصلب.
(٢) ينظر الديوان ق ٣، ٤١، ٥٠.
(٣) ابن خلكان ١/ ٤١٣، ابن الأثير ٦/ ٨٥، ١١٨، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٩.

كل التوفيق، فقد أجاد في النسج على منوالهم من الوقوف على الديار والبكاء عندها، وعلى من كانوا قاطنيها، وما أثارته هذه الديار في نفسه من لواعج الشوق وحرِّ الذكريات، وما كان من أمر القاطنين وقد رحلوا، وكيف رحلوا، وماذا حلَّ بهم، وكيف بكى على فراقهم، وتحن إلى اللحاق بهم، والقصيدة طويلة عدتها ثمانية وخمسون بيتاً، يبدؤها كما يبدأ الأقدمون قصائدهم الطوال :(١)

قفْ بالمنازلِ والرَّبْعِ الذي دَثَرا ... فَسَقِّها الماءَ من عينيك والمطرا

بل ما بكاؤكَ في دارٍ تضمَّنَها ... رَيْبَ الزمانِ فأجلى أهلَها زُمَراً

بلى وجدتُ البُكا يُشْفي إذا طرقَتْ ... طوارقُ الهَمِّ إنْ سَحَّاً وإنْ دَرَرَا

ما أحسنَ الصبرَ لو كان المحِبُّ إذا ... حَلَّتْ به نوبةٌ من دهْرِهِ صَبَرا

كيف العَزاءُ ولم يتركْ له كَبِداً ... يومُ الفراقِ ولم يتركْ لهُ بَصَرا

ما زال يُشْعِلُ ناراً في جوانحِهِ ... ويُجْشِمُ المُقْلَتَينِ الدمعَ والسَّهَرا

وعلى هذا المنوال يمضي في وصف الرحلة والرحيل على الإبل المُخَيَّسَةِ، وما تركه الظاعنون في نفسه من شوق ولوعة، ثم يصل إلى مدح الفضل بن سهل. فيخاطبه وقد أضفى عليه صفات الدِّين والبطولة، والفضل والعطاء، والرياسة والكرم، وكل ما يشتهيه الممدوح من صفات الرجولة والبطولة والحكم:

يا ناصر الدين إذ رثَّتْ حبائلُهُ ... لأنتَ أكرمُ من آوى ومَن نصرا

أعطاكَ ربُّك مِن أفضالِ نِعْمَتِهِ ... رياستينِ ولم تظلمْ بها بشَرا

لو كان خَلْقٌ ينالُ النجمَ مِن كَرَمٍ ... إذنْ لنالتْ يداكَ الشمسَ والقَمرا

ويتحدث ابن الزيات عن نفسه، بأنه لم يمدح سوى الفضل، ولم يركب إلى غيره السرى، ولم يتجشم إلا إليه الصعاب، ومع ذلك، فإن مدحه إعجابٌ به وببطولته، وليس طلباً للمال والغنى:

---

(١) الديوان ق ٦١.

لم أمتَدِحْكَ رجاءَ المالِ أطلُبُهُ ... لكنْ لتُلْبِسَني التحجيلَ والغُررا
إليكَ أعْمَلْتُها تدمي مناسِمُها ... من مَسْحِها المَرْوَ والكَدّانَ والبَهَرا

ويعود فيعدد فضائل الفضل بن سهل ووقائعه في حرب أعداء المأمون، وكيف دبر أمر الحرب، وجاء بالجيش من مرو إلى العراق، وكيف آل أمر الناس بعد محنة الخلاف بين الأمين والمأمون، وكيف كان حال أهل بغداد، وما نزل بهم من بلاء وضُرٍّ:

هو الذي فُقِئَتْ عينُ الضلال به ... لَمّا تفاقم أمرُ الناسِ وانتشرا
ما زال يلحقها ضَرْماً مُضَرَّمةً ... في حومَةِ الموتِ حتى استنتجَ الطهرا
قاد الأعاديَ كُرْهاً خاضعين لهُ ... حتى أمرَّ على ما ساءَهُ المرَرا
أبدى محاربةً ثم انبرى لَهُمُ ... بالمَكْرِ إنَّ ابنَ الحَرْبِ مَنْ مَكَرا
ساقَ الكتائبَ من مَرْوٍ فأَوْرَدَها ... بطْنَ السَّواد يجرُّ الشوكَ والشجرا
حتى أحلَّتْ بدارِ المُلْكِ داهيَةٌ ... شابَ ابنُ عشرينَ منها واشتكى الكِبَرا

وكان الفضل ـ كما يصوره شعر ابن الزيات ـ هو النور بعد الظلمة، والمنقذ من الضلال، ولولا تدبيره وحزمه، لكان الناس جَزَراً للردى، فجاء وقد انقشعت الظُّلم وزالت الغُمَّة، وعمَّ الناسَ الخيرُ، لأنه لا يجمع المال إلا ريث يتلفه، لذلك فقد أخصب الناس بعد الجدب، وعم الخير بعد الخراب، فلا مشاحة أن يفديه الناس بأنفسهم وأعمارهم:

كم قد تداركْتَنا مِن قَعْرِ مظلمةٍ ... وكم جَبَرْتَ كسيرَ العَظْمِ فانجَبَرا
وكم سَنَنْتَ لنا في الخيرِ من سُنَنٍ ... أمثالها ما علمنا تُنْبِتُ الشَّعْرا
أنت المدبِّرُ لولا ما تداركَنا ... من يُمْنِ رأيكَ كُنَّا للردى جَزَرا
لا يجمعُ المالَ إلاَّ رَيْثَ يُتْلِفُهُ ... ولا يُزَهِّدُهُ في العُرْفِ من كَفَرا
كنا نقول ألا يا ليتَ باقينا ... والحيُّ مِنَّا كَمِثْلِ المَيْت إذْ قُبِرا
فالأرضُ بالذَّرِّ من طيبِ الزمانِ لنا ... تقولُ يا ليتَ إنَّ المَيْتَ قد نُشِرا
يا ليت أنَّا نقيهِ السُّوْءَ أنْفُسَنا ... بل ليتَ أعمارَنا كانت لهُ عُمُرا

وفي ديوان ابن الزيات جملة مدائح أخرى[١].

٢ - الرثاء:

وإذا كان ابن الزيات قد أبدع في المديح وله في ذلك ثلاث قصائد ـ عرَّفنا باثنتين منها ـ وهي خير أماديحه، فإن له في الرثاء قصيدة واحدة جيدة عدتها ثمانية عشر بيتاً، وتعد هذه القصيدة درة من درر الرثاء في عصره، إن لم تكن أجود ما قيل في عصره من قصائد الرثاء، ولا شك أن السبب في جودة هذه القصيدة، وما فيها من صدق وعواطف متأججة، وحزن عميق، لأن الشاعر كان يرثي بعضاً من نفسه، وهو المفجوع المرزأ، فهو يعيش الفجيعة نفسها، وليس هو كشعراء الرثاء الآخرين الذين يرثون الآخرين ابتغاء الأجر، أو بدافع الوفاء وعرفان الجميل، فابن الزيات كان يرثي زوجته التي يحبها، وقد افتقد فيها الحب والحنان والمودة وطيب العيش، وقد افتقد ابنُه أُمَّهُ وهو ابنُ ثمان، فهو إذا جنَّه الليل تذكر أمه، وحنَّ إلى الالتصاق بصدرها ليرشف من حبها وحنانها ورعايتها، فلا يجد ذلك، وكانت صورة الطفل الباكي تحز في نفس ابن الزيات وتؤلمه وتبكيه، فتجعله ينوح عليها بصدق، ويذرف عليها دموعاً سخية، فهو يبدأ قصيدته بتصوير حال ابنه الذي ذاق اليتم صغيراً، وافتقد أعز مخلوق لديه، وابن الزيات في هذه القصيدة يجعل القارىء يشاركه وابنه في الحزن والشوق والبكاء:[٢]

ألا من رأي الطفلَ المفارقَ أُمِّــه   بُعَـيدَ الكرى عيناهُ تَنْسَكِبانِ
رأى كـلَّ أُمٍّ وابنـهـا غيرَ أُمِّــه   يبيتانِ تحتَ الليـلِ يَنْتَجِيـانِ
وباتَ وحيداً في الفراشِ تُجِنُّـهُ   بلابـلُ قلْـبٍ دائـمِ الخفـقانِ

هذه حال الطفل، أما هو فلا يملك إلا البكاء، وإرسال الدموع الغزيرة لعلها تخفف أحزانه، وتشفيه مما يعانيه من حزن وضنى، قد يلومه الناس على بكائه، وكثيراً ما يلوم الناس على الجزع لفراق الزوجة، والبكاء عليها وزيارة قبرها، أما هو، فلا

(١) ينظر الديوان ق ٩٠، ٩٦، ١٣٤، ١٥١، ١٥٩.
(٢) الديوان ص ١٤٩.

يلتفت لهذا العُرف الكاذب، بل يداوي حرَّ الفجيعة بسكب الدموع، وإذا كان جرير الشاعر قد سبقه في الاعتذار عن البكاء على زوجته حين أراد أن يبكيها ويزور قبرها، فصده حياؤه من الناس عن زيارة قبر الحبيبة والبكاء عليها:(١)

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يُزارُ

فإن ابنَ الزيات، لم يمنعه الحياءُ الكاذب من أن يذرف الدمعَ سخياً ويزور قبرَها ويحنَّ إلى ذكراها وتتقطع نفسه على فراقها، وليس له من سلوة إلا ذرف الدمع الغزير:

ألا إنَّ سَجْلاً واحداً إنْ هَرَقْتُهُ من الدَّمْعِ أو سَجْلينِ قد شَفياني

فلا تَلْحياني إنْ بكيتُ فإنَّما أداوي بهذا الدمعِ ما تريانِي

وإنَّ مكاناً في الثرى خطَّ لَحْدُهُ لِمَنْ كانَ من قلبي بكلِّ مكانِ

أحقُّ مكانٍ بالزيارةِ والهوى فهل أنتما إنْ عُجْتُ مُنْتَظِرانِ

ولكن ذرف الدموع وزيارة القبور، والتجمل بالصبر، إن استطاع أن يتجلد ويغالب حزنه محتسباً ذلك أجراً عند الله، فهل يستطيع هذا الطفل وهو الضعيف الذي لا يعرف الصبر حسبة لله، ولا يلتمس السلوى عند الآخرين، ولا يدري ما العبرة في تصرف الزمان ، فهل هو قادر:

فَهَبْنِي عَزَمْتُ الصَّبْرَ عنها لأنني جليدٌ فمَنْ للصبرِ لابنِ ثمانِ

ضعيفُ القُوى لا يطلُبُ الأجرَ حِسْبَةً ولا يأتَسِي بالناسِ في الحدَثانِ

ويتذكر الشاعر أيامه مع هذه المرأة الحبيبة، التي كانت مصدر السعادة والحب والحنان، وفقَدَ بفَقْدها هناء العيش، ولم يستطع بعدها إلا الحسرة والحزن والأسى، فهو يبكي فيها الفراق والوفاء والسعادة والصون والعفاف:

ألا من أُمَنِّيهِ المُنى وأُعِدُّهُ لِعَثْرَةِ أيامي وصَرْفِ زماني

---

(١) ديوان جرير ص ١٥٤ ط صادر.

ألا مَنْ إذا ما جئتُ أكرمَ مجلسي وإنْ غِبْتُ عنهُ حاطَني وكفاني
فلم أرَ كالأقدار كيف تُصيبني ولا مثلَ هذا الدهر كيفَ رماني
ولا مثلَ أيامٍ فُجِعْتُ بعَهدِها ولا مثلَ يومٍ بعد ذاكَ دهاني

ولم يبق له بعدها من السلوى والعزاء إلا التذكر والبكاء، ففي البكاء على الحبيب تخفيف للحزن، وسلوة للنفس، ودواء للمصاب:

أَعَيْنَيَّ إنْ لم تُسْعِدا اليومَ عبْرَتي فبئسَ إذنْ ما في غدٍ تَعِداني
أعينيَّ إنْ أبْكِ البشاشةَ والصِّبا فقد آذنا منِّي وقد بكياني
ألا إنَّ مَيْتاً لم أزرْهُ لشدَّ ما تلبَّسَ من قَلْبي بهِ وعناني
ألا إنَّ ميتاً لم أزُرْهُ لعزَّ ما تَضَمَّنَ منهُ في الثَّرى الكَفَنانِ

وهناك بيتان آخران من غير هذه القصيدة، يحاور فيهما من يدعوه إلى زيارة قبرها، وهو يرى أن قبرها في فؤاده وبين ضلوعه، فهو لم ينسها، ولم يسلُ عنها:(١)

يقولُ لي الخُلاَّنُ لو زُرْتَ قبرَها فقلتُ وهلْ غيرُ الفؤادِ لها قَبْرُ
على حين لم أُحْدِثْ فأجهل فقدَها ولم أبلغْ السِّنَّ التي معها الصبرُ

وقد رثى ابن الزيات الخلفاء، رثى المعتصم ورثى الواثق، ولكن هذا الرثاء لا يرقى إلى قصيدته السابقة في صدق العاطفة وشدة اللوعة وحرارة الحزن، ففي القصيدة السابقة يرثي بضعة من نفسه، ويعبر عن مصيبته بمن أحب، وأما في رثاء الآخرين، فهو يؤدي واجباً، ويردّ جميلاً، فأبياته في الخليفتين نظم من النظم، يفتقر إلى صدق العاطفة وحرارة الوجدان، فما قاله في رثاء المعتصم لا يخرج عن وصفٍ لحادث، ومدحٍ لغائب، والتهنئة أو ما يشبه التهنئة للخليفة الوارث، فهو يقول:(٢)

---

(١) الديوان ق٥٤.
(٢) الديوان ق١٦١.

قـد قلـتُ إذ غَيَّبـوكَ وانصـرفــوا   مـن خير قبرٍ لخيرِ مدفـونِ

اذهبْ فَنِعْمَ الحفيظُ كنت على الـ   ـدنيـا ونِعْمَ الظهيرُ للدِّيـنِ

لَـنْ يجبـرَ اللـهُ أمَّـةً فـقَـدَتْ   مِثْلَكَ إلا بمثْـلِ هـارونِ

وفي رثاء الواثق بأبيات ثلاثة، يدعو لقبره بالسقيا على عادة الجاهليين، ويرجو له الجنة، ومجاورة رسول الله ﷺ، وأن فقده قدر محتوم ولا رادَّ لما قدَّر الله:(١)

سقى قبرَكَ الهاطِلُ المُسبِلُ   وجـادتْ لك الدِّيَـمُ الحُـفَّلُ

وأسكَنَكَ اللهُ خُلْدَ الجِنـا   نِ وجاورَكَ المصطَفى المرسَلُ

فقد بِنْـتَ مِنَّـا على حاجةٍ   وهـل يُـدْفـعُ القَـدَرُ المُنْـزَلُ

ولا يُلامُ ابن الزيات على هذا الشعر المصنوع في رثاء الآخرين، وهو ككل الرثاء في الشعر العربي الموجه إلى الخلفاء والأمراء، وهو في حقيقته مديح للغائب، ونظم لأداء الواجب، فإذا تجلت فيه جودة الصناعة وبراعة الأداء، فإنه في حقيقته بهرج خارجي يخلو من صدق العاطفة وعمق الإحساس بالفجيعة، وما يهم الشاعر من موت الحاكمين، فحاكم يهمد وآخر يقوم، فوداع للغائب الذي ذهب، وذهب معه عطاؤه، وتهنئة للقادم الذي يُنتظر كرمه ورجاؤه.

٣ــ الغزل:

عاش ابن الزيات قبل أن يلي الوزارة حياة عريضة حافلة، ومارس فيها لذائذ الدنيا، وذاق حلاوتها، وعرف نساء كثيرات، فمنهن زوجاته، ومنهن من عشقهن من الحرائر والجواري، وتظهر في شعره ثلاثة أنواع من الغزل، الأول: عفيف صادق أشبه بالعذري، والثاني: حسّي تقليدي، هو ضرب من اللهو والعبث، والثالث: إباحي ماجن، سواء كان في ذلك مع الجواري والقيان، أو الغزل بالغلمان، هذا الضرب من الغزل الذي طرأ على العصر، وتقبله فريق من الشعراء والكُتَّاب وأهل اليسار والترف من الخلفاء والخلعاء.

---

(١) الديوان ق ١١٥.

فأما غزله العفيف الصادق، فقد مَرَّ بنا في سيرته، أنه كان يعشق جارية من جواري القيان، فبيعت من رجل من أهل خراسان ، فأخرجها، فذهل عقله حتى غُشي عليه، ولما أفاق أنشد :(١)

يا طولَ ساعاتِ ليلِ العاشقِ الدَّنِفِ وطولَ رِعْيَتِهِ للنجمِ في السُّدُفِ
ماذا تُواري ثيابي مِن أخي حُرَقٍ كأنَّما الجسمُ منهُ دِقَّةُ الأَلِفِ
ما قال يا أسفا يعقوبُ من كَمَدٍ إلا لِطُولِ الذي لاقى مِن الأسَفِ
مَنْ سرَّهُ أنْ يَرى ميتَ الهوى دَنِفاً فليستَدِلَّ على الزيَّاتِ وليَقِفِ

وهي أبيات تدل على صدق العاطفة وحرارة الشوق، وشدة الحزن على فراق من أحب ففقدها.

وفي شعر ابن الزيات بعض القطع التي يصور فيها حاله وهو المحب الذي يتقطع أسى وحسرة على فراق من يحب، وهو يحاكي في شعره الشعراء العذريين، في أشواقهم وآلامهم وتصوير لوعتهم وحرمانهم، فهو في قطعة يتحدث عن حاله وما صار إليه بعد فراق محبوبته، ولعلها هي الجارية التي ذكرها في القطعة السابقة، يقول :(٢)

وحَدَّثَتُ نفسي أنني غيرُ صابرٍ فها أنا لم أقْضِ من إثْرِها نَحْبِي
خليليَّ لم أصدقْ وكان سفاهةً رجوعي بحسن الظنِّ منها على قلبي
فأُقْسِمُ أنْ لو كنتُ أوَّلَ مَيِّتٍ وآخرَ منشورٍ يَهُبُّ من التُّرْبِ
لما كان من موتي عليها صَبَابَةً قضاءً لما استَتْرَعْتُ من ذِمَّةِ الحُبِّ

وظل ابن الزيات زمناً يذكر هذه الحبيبة التي نأت وبعدت وعزَّ مطلبها، وظل يتشوق إليها، ولم يُصْغِ لعذل العذال في تركها والسلو عنها، وما هي إلا جارية من الجواري، يجد في غيرها سلوة عنها وبديلاً، وهو راض مهما لقي من حبيبته البعيدة

---

(١) تاريخ بغداد ٣ / ١٤٥، شذرات الذهب ٣ / ١٥٥، والديوان ق٩٤.
(٢) الديوان ق١٦.

القريبة، فهو راض بحبها، مقيم على ودها، وهو غريب في أهله ما دام حبيبه بعيداً عنه:[١]

بَعُدَ القريبُ وأعوزَ المطلوبُ ... وعدَتْكَ عنهُ حوادثٌ وخُطوبُ
ومُنيتُ من بُعْدِ الحبيبِ بعاذلٍ ... يلحى ويعجبُ أنْ يحنَّ كئيبُ
قالوا أساءَ حبيبُهُ فأجَبْتُهمْ ... إنَّ الحبيبَ وإنْ أساءَ حبيب
إنَّ المُحبَّ وإنْ أقام بأهلِهِ ... ما لم يكنْ فيمنْ يُحِبُّ غريبُ

وفي شعره قطع غيرها يذكر فراق الحبيبة، وشوقه إليها، ويتذكر دائماً ساعة الفراق، ونظرات حبيبته وهي ترمقه مودعة وما كان من أثر هذه النظرة في نفسه، حيث أججت في كبده نار الشوق، وحرارة الوجد، فهو في شوقه إليها كشوق أم فارقت وحيدها فباتت مؤرقة، يضطرم قلبها بالهم والوجد، وتعتصره اللوعة والأحزان، فليس له بعد ذلك من سلوة وعزاء، إلا أن يذرف الدموع الغزار، ويشتد به الوجد كلما لمع البرق، وهبت الريح من تلقاء ديارها، وهي ديار شامية:[٢]

ما أسرعَ البينَ بل ما أسرعَ الفرجا ... إنْ كنتُ أرجو كما أخشى فلا حَرَجا
ما أمٌّ واحدٍ أمٌ لا أنيسَ لها ... إلاّ الذي رسَخَتْ بالأمسِ فاختلجا
باتتْ وباتَ لها هَمٌّ يُؤرِّقُها ... من عالجٍ في بناتِ القلبِ قد وشَجا
إلاّ كمثلي وإنْ جلَّتْ رَزيَّتُها ... إذ أزعجَ البينُ مَنْ أهواهُ فانزعَجا
نظرتُ يومَ تَولَّتْ نظرةً عَرَضاً ... وجدْتُ في كَبِدي من حَرِّها وهَجَا
بمُقْلةٍ كلَّما كَفْكَفْتُ دمعَتَها ... هاجَتْ مسارِبُها بالدَّمعِ فاعْتَلَجا
كأنَّها عارضٌ مخضوضلٌ هَزِجٌ ... هاجَتْ له حَرْجَفٌ حصباءُ فانبعجا
تالله ما عَصَفَتْ ريحٌ شآميةٌ ... إلاّ تنسَّمْتُ منها ريحَكِ الأرِجا
ولا سنا البرقُ لي من نحو دارِكُمُ ... إلاّ تنعَّشْتُ واستقبلْتُهُ بَهِجا

---

(١) الديوان ق ٨.
(٢) الديوان ق ٣٤.

ويتداخل شعره الصادق العفيف الذي يقترب من شعر العذريين، بشعره الحسي الصريح، فنجد في قصيدة يذكر الشوق والفراق وما يعانيه من سهر وعذاب، يرقب النجوم ويتأمل في كواكب السماء، ويتذكر أيامه مع من أحب، وكيف كان يزورها، وهي محبة له، عاشقة ولهى، فنهل وإياها وعَلاً من كؤوس الحب والغرام، وكان يزورها رغم عذل العاذلين وعيون الرقباء، وهي تستتر وتنتظر غفلة الرقباء، ويكون بينهما ما يكون بين العاشقين من علامات وإمارات، إذا سار أو تنحنح تظهر له، ويتبادلان الحب الصريح ولذائذ المحبين، فينال منها وتنال منه، أما وقد فارقته وسارت بها الحمول فبعدت، فما له منها غير الشوق والذكرى، وسيظل يذكرها مخلصاً لها متشوقاً إليها حتى يغشاه الموت، والقصيدة من القصائد الجياد، التي تدل على موهبة فذة وشاعرية أصيلة، وتقع القصيدة في اثنين وثلاثين بيتاً، ويحسن بمن يريد الوقوف على غزل ابن الزيات وفنه البارع أن يقرأ القصيدة كاملة، وهي تبدأ بذكر اللوَّام العاذلين: (١)

ألا مَنْ عذيرُ النفسِ ممَّن يلومُها على حُبِّها جهلاً ألا مَن عذيرُها

تذكَّرتُ أياماً تولَّى سرورُها فدَرَّ لعَيني عندَ ذاك دَرورُها

فبِتُّ كأنِّي بالنجومِ موكَّلٌ أُقَلِّبُ فيها مُقْلَتي وأديرُها

كأنَّ بناتِ النعْشِ باسِطُ كفِّهِ وقد مَدَّ كفَّاً للسؤالِ فقيرُها

ويتذكر الأيام الحبيبة إلى نفسه:

ليالِيَ كانت مَن تُحِبُّ أميرةً عليكَ ومولاةً وأنتَ أميرُها

وكانت أسيراً في وثاقِكَ ينتهي إلى كلِّ مَنْ تهوى وأنتَ أسيرُها

ويذكر ما يفعله العذال الذين حرموه لقاءها وتركوه وإياها في حرمان وحسرات:

وفي الصدرِ منِّي غُصَّةٌ لا أُحيرُها وفي الصَّدْرِ منها غُصَّةٌ لا تحيرُها

دهاني وإيَّاها العُداةُ فأصبحتْ وقد أُسْبِلتْ دوني عليها ستورُها

---

(١) الديوان ق ٧٤.

وكانت علاماتي إليها تَنَحْنُحي ويُنْذِرُها من حسِّ نَعْلي صريرُها
وكانت إذا ما جاء غيري تسترتْ وكـان لـديَّ بذلُها وستورُها
وأصبحتُ أرضى بالقليلِ وربَّما طلبتُ فلم يَعْسُرْ عليَّ كثيرُها

وعلى الرغم مما كان ينال منها، ويستمتع بها، فإنه عاشق محب مدنف:

ولو أنَّني أدعى لدى الموتِ باسمِها لعاد لنفسي ـ بإذنِ ربي ـ نشورُها
أُعَلِّلُ نفسي بالأماني مخافةً عليها إذا ما الشوقُ كاد يُطيرُها
وأدعو ـ إذا ما خِفْتُ أنْ يغلِبَ الهوى عليها ـ غرامي باسمها أستجيرُها

وكان ابن الزيات يفعل ما كان جميل بن معمر يفعله حين يذكر اسم غيرها وهو يريدها، وحين ينظر إلى غيرها وهو لا يرى غيرها وذلك في قوله:(١)

سأمنحُ طرفي حين ألقاكِ غيرَكم لكيما يروا أن الهوى حيث أنظرُ
وأكني بأسماء سواك وأتقي زيارتكم والحبُّ لا يتغيَّرُ

فكذلك ابن الزيات يعتذر إلى حبيبته بأنه لا يصل غيرها، ولا يزور سواها من النساء، وقد يكني عنها، ويلهج باسم غيرها، وهو يريدها هي دون سواها:

وقد زعمتُ أني سمحْتُ لغيرِها بوصْلٍ ولا والبُدْنِ تَدْمى نُحورُها
وربِّ المنايا لا أميلُ زيارتي إلى غيرها أُنثى ولا أسْتَزيرُها
ولكنَّني كَنَّيْتُ عنها بغيرِها مخافةَ عينٍ لا ينامُ بصيرُها
عليَّ نذورٌ جمَّةٌ في لقائها فليتَ نذوري أوجَبَتْ ونُذورُها
أما من مُشيرٍ ـ سَدَّدَ اللهُ رأيهُ ـ يرى أنَّ فيها حيلةً لا يضيرُها

وضرب آخر من الغزل مارسه ابن الزيات، هو الغزل الصريح الماجن الداعر، الذي يصور العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة، ويتباهى بأنه فحل يصول ويجول،

(١) ديوان جميل بثينة ص ٣١ ـ ٣٢، نشر حسين نصار القاهرة د.ت.

مستمتعاً بجسد المرأة، وعابثاً فيه ما شاء له العبث، مفاخراً بفحولته، وكاشفاً عن نفسه ثوب العفَّة والحياء، وهو في هذه القصيدة التي نتحدث عنها، يروي ما كان له من مغامرات في عهد الصبا، فقد عبَّ من الشهوات، وارتوى من المتع المحرمة، ويصف امرأة من النساء جميلة، قد نضجت أنوثتها، لا ينتقص من حسنها شيء، وهو فارسها العرم، الذي كان قبل أن يودع عهد الشباب :(١)

وليلٍ كلونِ الطيلسانِ سَرَيْتُهُ على بطنِ خَوْدٍ بضَّةِ المُتَجَرِّدِ
جَزوعٍ على الإدلاجِ أعجَلُ سيرها الوقوفُ إذا استعجلْتُ والضمُّ باليدِ

ويذهب في تصوير تلك الخلوة الداعرة، فيذكر العورات ويسمي الأشياء بأسمائها، دون أن يوري أو يكني ، ونتجاوز هنا عن ذكر ما فيها من الموبقات ومما يخدش الحياء، ولكننا نذكر بعض وصفه لمحاسنها :

حُواريَّةٌ زَيْنُ النِّقابِ انتقابُها وإنْ سَفَرَت فالشمسُ وافتْ بأسْعدِ
وإنْ قَعَدتْ زانَ القعودَ قعودُها وإنْ تمشِ لايعدِمْكَ حُسْنُ التأوُّدِ
فهاتيكَ أقرى طارقَ الهمِّ لا التي تروحُ بأحناءِ الرجالِ وتغتدي

وكل ذلك كان في عهد الصبا، الذي لم يقصر فيه ، ولم يندم عليه :

أعاذِلَ لا أدعى المقصِّرَ في الصِّبا ولا أتوقَّى اليومَ نائبةَ الغدِ
أعاذلَ لم أبلُغْ ـ فأصحو وأرتدعْ ـ أشُدِّي ولا ما جاوزَ النصفَ مولدي

الغزل بالمذكر :

وفي زمن ابن الزيات كثرت مجالس اللهو والطرب والمجون، وجاهروا بذكر الخمرة وشربها، ولم يتورع منها الأمراء والخلفاء، وكثرت في هذه المجالس الجواري والغلمان، وكان للغلمان نصيب من الغزل عرف عند شعراء العصر، وقلما سلم منه ديوان شاعر، وكان ابن الزيات قد أخذ نصيبَه من التغزل بالغلمان والتمتع بهم، على ما ترويه

---

(١) الديوان ق٤٨ .

أخباره وأشعاره، ومن أخباره في ذلك ما رواه الأصفهاني من أنه كان يعشق غلاماً لعمير المأموني، وكان يحبه ويجن به جنوناً، وتصادف أن اجتاز به يوماً والغلام على ظهر فرسه، يخطر في شبابه وزينته، مقلداً الفرسان في زيهم وسلاحهم، فقال ابن الزيات:[1]

راحَ علينا راكباً طِرْفَهُ ... أغْيَدُ مِثْلُ الرشأ الآنِسِ

قد لَبِسَ القُرْطُقَ واسْتَمْسَكَتْ ... كفَّاهُ من ذي بُرَقٍ يابسِ

وقُلِّدَ السيفَ على غُنْجِهِ ... كأنَّهُ في وقعةِ الدَّاحِسِ

أقولُ لَمّا أنْ بدا مُقْبِلاً ... يا ليتني فارسُ ذا الفارِسِ

ويبدو أن حبَّهُ للغلمانِ لم يكن تهمة يُرمى بها، فقد كان في مُلْكِه غلمان ذوو حُسن وجمال، وحين وُصِف ابن الزيات بأنه من لوطيَّةِ الكُتَّاب، لم يغضب ولم ينكر، ومصداق ذلك في الرواية التي ساقها أبو الفرج حيث يقول: «إن ابن دنقش الحاجب، جاء إلى محمد بن عبد الملك الزيات، برسالة من المعتصم ليحضر، فدخل ليلبس ثيابه، ورأى ابن دنقش الحاجب غلماناً لهم رُوقة، فقال وهو يظن أنه لا يسمع:

وعلى اللواطِ فلا تلومنَّ كاتباً ... إنَّ اللواطَ سجيَّةُ الكُتَّابِ

فقال له ابن الزيات:

وكما اللواط سجيَّةُ الكُتَّابِ ... فكذا الحُلاقُ سجيَّةُ الحُجَّابِ

يرميه بالأُبْنَة، فاستحيا ابن دنقش واعتذر إليه، فقال له: إنما يقع العذر لو لم يقع الاقتصاص، فأما وقد كافأتك فلا»[2]. وفي شعر ابن الزيات مقطعات في الغزل بالغلمان، ولعل أسوأ ما في هذا الضرب من الغزل قصيدته التي يبدؤها بقوله:[3]

تركَ اللهوَ والصِّبا ... وتخلَّى من الغزلْ

---

(١) الأغاني ٣/٦٨، والديوان ق ٧٧.

(٢) الأغاني ٢٣/٥٨، الهفوات النادرة ص ٣٨٨.

(٣) الديوان ق ١٢٥، وشعره في الغزل كثير، انظر ديوانه ق ٩، ٢٣، ٣٤، ٤٥،٦٤، ٦٧، ٨٠، ٨٥، وغيره.

فقد وصف فيها غلاماً، وبالغ في ذكر محاسنه، وكما أفحش في غزله في النساء، وذكر لقائه الفاحش بهن، في قصيدته التي مر ذكرها، فقد أفحش في هذه القصيدة، وذكر ما يشتهيه في الغلام، وصرَّح بفضل هذا الشذوذ، حيث يأمن في الغلام ما لا يأمنه من عواقب فعله بالنساء، من الطمث والحبل واقتناص الخلوات، وذكرَ العمل القبيح تصريحا لا تلميحاً، ولعل هذا الضرب من الشعر الذي نستهجنه الآن ونستقبحه، كان يلقى القبول في ذلك العصر لدى طائفة من المجتمع، قد ألِفَتْ اللهو الشاذ والمجون الذي بدأ في هذا العصر، وتلقفه شعراء الأجيال التالية من مثل أبي نواس وأضرابه كوالبة بن الحباب وحماد عجرد وغيرهم.

٤ ـ الخمر ومجالسها:

لا يرد ذكر الخمرة إلا في سياق ذكر مجالسها وندمانها، وما يجري في تلك المجالس من ضروب اللهو والمفاكهة، والموسيقى والغناء والرقص، وقد تكون المجالس متزنة خالية من المجون، وقد تكون مغرقة في المجون الفاضح، وكان ابن الزيات ـ وقبل وزارته خاصة ـ يعيش حياته العريضة اللاهية، فيحضر مجالس اللهو والخمر والطرب، ويصف هذه المجالس بصحبة صاحبه وكبير المجلس المسمى (يحيى)، حيث يذكره في قطعتين، يذكر في القطعة الأولى المجلس الذي ترأسه يحيى في كثير من الثناء، ويصف آداب المجالسة والمنادمة، ففي المجلس أحاديث طلية شائقة، والجلساء لهم مكانتهم، ويحيى يسقيهم، أو يأمر بسقايتهم، فمنهم من يشرب الخمر ومنهم من يشرب النبيذ[١]، ويتغزل بهذه الخمر الصافية التي تكاد تضيء لصفائها، ويقارن ابن الزيات بين الخمرة التي يجلها لأنها تفعل فعلها في رأس شاربيها، وبين النبيذ الذي لا يسكر، ويشربه المعتدلون من الجلاس، ويبدأ أبياته بالسقيا لذلك المجلس:[٢]

سقياً لمجلسنا الذي جُمِعَتْ به   طُرَفُ الحديثِ وطاعةُ الجُلاَّسِ
ظَلْنا ويحيى كالمؤمَّرِ بيننا   نُسقى ونشربُ تارةً بالكاسِ

---

(١) لقد وهم فايز القيس ص١٤٥ حين ظن أن القهوة ليست خمرا، بل هي قهوة عصرنا الحديث.

(٢) الديوان ق٧٥.

نصفينِ يَشربُ بعضُنا من قهوةٍ صرْفٍ تُضيءُ كشُعْلَةِ المقباسِ
والآخرون على النبيذ عكوفُهم شتانَ إنْ قِسْناهما بقياس

وفي القطعة الثانية يذكر كبير المجلس يحيى، ويتغزل بالخمرة المعتقة، التي يشربها النعسان فيصحو، وهي خمرة سلاف قديمة العهد، إذا سُكِبت في الكأس كان الحبب فيها كأنه الدرُّ وحوله حبات صغيرة هي الشذر، وهي صافية مضيئة لا يستطيع أن يوفيها حقها من الوصف، فهي لا تكاد تُرى، ولكن تُبْصر بالضمير:(١)

أنْفِ بالخمرِ نعسَةَ المخمور واسْقِ يحيى كبيرَنا بالكبيرِ
من سُلافٍ تُديرُ طَوْقاً من الدُّرْ رِ عليها مُفَصَّلاً بشذورِ
عَمَرتْ والزمانُ في حِجْرِ أمٍّ فَضَّلتْها بالبرِّ والتَّوقيرِ
فدَّمَتْها المرابيات من الدهـ ـرِ فأبقَتْ قليلةً من كثيرِ
لستُ في وصفها ببالغِ شيءٍ غيرَ أنّي أُقِرُّ بالتقصيرِ
فإذا الكأسُ أقبلتْ فبنوعيـ ـنِ سُلافٍ مُعَتَّقٍ وسُرورِ
غير أن السُّلافَ تُبْصِرُهُ العيـ ـنُ وهذا يُرى بعينِ الضميرِ

وقد سبق ابن الزيات في تدقيقه في وصف الخمر ومدحها والتغزل بها، سبق أبا نواس الذي سار على هذا النهج، فأجاد وبالغ وتوسع.

وفي قطعة ثالثة يتحدث ابن الزيات عن مجلس خاص جمعه بمن يحب فتبادلا كؤوس الطِّلا، وهما يتناجيا ويبكيان من حرقة الشوق، ويلذ له هذا المجلس الذي تمتزج فيه الخمر بدموع الشوق والهيام:(٢)

مجلسُ صَبَّيْنِ مُحبَّينِ ليسا من الحُبِّ بخِلْوَيْن
قد صَيَّرا روحَيْهِما واحداً فاقْتَسماهُ بين جسمَيْنِ

---

(١) الديوان ق ٦٨.

(٢) الديوان ق ١٥٨.

تنازَعا كأساً على لَذَّةٍ   قد مزَجاها بينَ دمعينِ
والكأسُ لا تَحْسُنُ إلا إذا   أَدَرْتَها بين مُحِبَّيْنِ

وليس هذا كل ما في شعر ابن الزيات من وصف الخمر ومجالسها، فهناك أشعار أخر تدور في هذا الفلك من المعاني، وهذا النفس من النظم المعبِّر الرقيق.

٥ـ الهجاء:

كان أشد خصوم ابن الزيات هو القاضي أحمد بن أبي دواد، وكان كل منهما يبغض الآخر بغضاً شديداً، واشتد هذا البغض حين صار ابن الزيات وزيراً، وقد هجا ابن الزيات ابنَ أبي دواد بأشعار كثيرة، منها قصيدة طويلة في سبعين أو تسعين بيتاً، ضاعت هذه القصيدة ولم تعرف إلا من خلال رد ابن أبي دواد ـ أو أحد أنصاره ـ عليها، وذلك في قوله: (١)

أحسن من تسعين بيتاً سدى   جمعُك إياهُنَّ في بيتِ
ما أحوج المُلْكَ إلى مطرةٍ   تُذهِبُ عنَّا وَضَرَ الزيتِ

وليس فيما هجي به ابن الزيات انتقاص من نسبه أو خلقه، بل كان الهجاء منصباً على مهنة أبيه وأجداده وهي تجارة الزيت، ولذلك يجيب ابن الزيات أبا سعيد الفيشي، الذي يصفه بالمأفون ويتهدده، ويفخر هو بمكانته وحسبه، في قوله: (٢)

يا أيُّها المأفونُ رأياً لقد   تَعَرَّضَتْ نفسُكَ للموتِ
قيَّرتُمُ المُلْكَ فلم تنتهوا   حتى غَسَلْنا القارَ بالزيتِ
الزيتُ لا يُزري بأحسابنا   أحسابُنا معروفةُ البيتِ

وفي هجائه لابن أبي دواد ينتقص من أصله وحسبه، ويسخر منه ويهزأ به، فيشبهه بالأفعى، وابن أبي دواد في سلوكه مع ابن الزيات ـ ومع خصومه الذين لم يقولوا بخلق

---

(١) الأغاني ٢٠ / ٥١ ط ساسي، وينسب البيتان إلى أبي سعيد الفيشي.
(٢) الديوان ق٣٠.

القرآن ــ أفعى دون ريب، ويراه أشبه ما يكون بالغراب دليل الشؤم، يقول:(١)

وقالوا هل رأيتَ أبا دوادٍ   فقلتُ: نعم رأيتُ أبا الحُبابِ
فقالوا: لا عليك رأيتَ منهُ   كأشبَهِ بالغُرابِ من الغُرابِ

وكثيراً ما يعيّره بنسبه، وأنه ليس من إياد وإنْ انتسب إليهم، ويغمزه بأنه ليس ابن أبيه، ويسخر من دولة صار فيها عزيزاً، وأعماله السيئة تثبت كذبه في ادعاء النسب:(٢)

تأيَّدَ وادَّعَى القُرْبا   وأثْرى واستفادَ أبا
لِتَهْنِكَ دولةٌ حَدَثَتْ   فأحدَثَ عِزُّها نسبا
صنائِعُهُ إلى الأنْذا   لِ تُخْبِرُ أنَّهُ كَذَبا

ويلح ابن الزيات على ضعة نسب ابن أبي دواد وأنه دعي إياد، ويرى أنه فاسد لا تصلح الدنيا ما دام فيها، وحقه أن يقتل كما قُتل الإفشين، ويذهب ابن الزيات يعدد مساوىء خصمه وأعماله الخبيثة، ويشكك في سلوكه وفي دينه، وأعماله التي ستودي به، فهو كعنز السوء التي بحثت عن حتفها بظلفها:(٣)

أبلغْ دَعيَّ إيادٍ إنْ مررْتَ بهِ   قولَ امرىءٍ ناصحٍ للهِ والدِّينِ
لن تَصْلُحَ الأرضُ ما أُسْكِنْتَ ظاهِرَها   ولا ترى العدلَ أو تلحق بإفشينِ
مازلتَ تحضرُ للخذلانِ عن دَغَلٍ   في القلبِ منكَ لهذا الدِّين مكنونِ
وكنتَ في ذاكَ لَمَّا أنْ قَصَدْتَ لَهُ   كالعَنْزِ إنْ بحثتْ عن حدِّ سِكِّينِ

ولا شك أن ابن الزيات قد وجد في خصمه مثلبة في نسبه فراح يلح عليها ويكثر من ذكرها، ومن الدلائل على هجنة ابن أبي دواد وبعده عن العرب أنه لم يستطع

---

(١) الديوان ق١٣.
(٢) الديوان ق١٠.
(٣) الديوان ق١٦٠.

التزوج من امرأة عربية، هو وابنه أحمد، وكان ابن أبي دواد على صلة حسنة بالأمير الشاعر أبي دلف العجلي، وقد استاء ابن الزيات من هذه الصلة فراح يعرِّض بأبي دُلَفٍ أيضاً وينتقص منه، وقد جَرَّ هذا على ابن الزيات هجاء الشعراء الذين يقصدون أبا دُلَف ويمدحونه، وهو الشاعر الفارس الكريم، يقول ابن الزيات في هجاء أحمد بن أبي دواد والتعريض بأبي دُلَفٍ العجلي:(١)

مـا بالُـهُ وابنُـهُ لـم   يُـزوَّجـا عَـربيَّـةْ
ولا أبـوه علـى مـا   بهـم مـن العصبيَّةْ
لكنـهـم حين صاروا   إلى الأمـور السَّنِيَّـهْ
قد أبعدوا في التَّمنِّي   وأرْغبوا في العَطيَّةْ
فلا جزى اللهُ عِجْلاً   والعُصْبَـةَ الدُّلَفيَّـةْ
خيـراً ولا تـركَ اللـ   ـه فيهُمُ من بَقِيَّـةْ

وكان علي بن جبلة العَكَوَّك من أنصار أبي دُلَفٍ العجلي، وله فيه مدائح جيدة، حتى قيل إنها أثارت حسد المأمون فنكل به، وكان ابن الزيات يبغض أبا دُلَفٍ ويعرض به ويهجو من يمدحه، وقد غضب العَكَوَّك حين وجد ابن الزيات يعرض بممدوحه أبي دُلَفٍ، فهجاه بأبيات يعيره فيها بصنعته وينتقص من نسبه، منها: (٢)

يـا بائعَ الزيتِ عَـرِّجْ غيـر مرمـوقِ   لتُشْغلنَّ عن الأرطالِ والسوقِ
من رام شتمك لم ينزعْ إلى كَـذِبٍ   في منتمـاك وأبـداهُ بتحقيقِ
أبـوك عبدٌ ولـلأمِّ التـي خُـلِقَـتْ   عن أمِّ رأسِكَ هَنٌّ غير محلوقِ

فيجيبه ابن الزيات منتقصاً منه ومهدداً، ويصفه بأنه بذيء اللسان سيئ الأدب، ويعرج على أبي دلف فيهجوه ويسخر منه: (٣)

(١) الديوان ق ١٧٢.
(٢) ديوان علي بن جبلة ص ٨٨.
(٣) الديوان ق ٢١.

اشمخْ بأنفكَ يا ذا العِرْضِ والحَسَبِ ما شئْتَ واضربْ قَذالَ الأرضِ بالذنبِ
ارفعْ بصوتِكَ تدعو من بذي عدَنٍ ومن بقالي قلا بالويلِ والحَرَبِ
ما أنتَ إلا امرؤٌ أعطى بلاغتَهُ فَضْلَ العِنانِ فلم يَرْبَعْ على أدبِ

ويمضي في هجائه حتى يتوصل إلى هجاء أبي دُلَفٍ فيقول:

صبراً أبا دُلَفٍ في كلِّ مسألةٍ كالقِدْرِ وقفاً على الجارات بالعُقَبِ
يا ربِّ إنْ كانَ ما أنشأتَ من عربٍ شروى أبي دُلَفٍ فاسْخَطْ على العربِ
أرى التعصُّبَ أبدى منكَ داهيةً كانت تَحَجَّبُ دونَ الوَهْمِ بالحُجُبِ
أزرى بك الغضبُ المُزرِي وأنت فتى لا تُصْطَلى نارُهُ فاغْضَبْ على الغَضَبِ

وكما ألحَّ ابن الزيات على هجاء ابن أبي دواد، فإنه ألحَّ أيضاً على هجاء عيسى بن زينب، واتخذ من عِظَم أنفه سبباً في هجائه والسخرية منه، وتصويره بصورة ساخرة مضحكة، وقد سبق ابن الزيات في هذا الفن ابن الرومي في براعة تصوير العيوب وتضخيمها، ولا بد أن عيسى هذا قد أساء إلى ابن الزيات الذي فرغ لهجائه واتخذ من أنفه سبيلاً للهُزْءِ والإضحاك، فهو يخاطبُ أنف عيسى ولا يخاطب عيسى نفسه، لأن عيسى فيما يزعم جزء ضئيل من الأنف الكبير، الذي هو حصن حصين:(١)

يا أنفَ عيسى جزاكَ اللهُ صالحةً وزادكَ اللهُ إشراقاً ومُتَّسَعا
حِصْنٌ حَصينٌ وعزٌ لو تناولَهُ كِسْرى الملوك أنو شروانُ لا مْتَنَعا
تركت عيسى فما عندي مُخاطبةٌ لـه وخاطَبْتُ أنفاً طالَ وارتفعا
عيسى غلامٌ ولكنْ أنفهُ رجلٌ والقرنُ يحسنُ منه كلَّ ما صنعا
رأيتُ أنفاً ولم أعلمْ بصاحِبِه فقلت: من صاحبُ الأنفِ الذي طلعا
قالوا فتى غاب فيه قلت: واعَجبي ما إنْ رأى مثلَ ذا راءٍ ولا سمعا

---

(١) الديوان ق ٨٣.

وهكذا يمضي في قصيدته هازئاً ومصوراً أنَّ عيسى سقط في جب هو أنفه، ويسأل الناس أن يلتمسوا حبلاً ليخرجوه من هذا الجب العميق الذي هو أنفه، وفي قطعة يجعل عيسى إذا نام التصق أنفه بالسقف وكاد يقلعه، وهذا الأنف العظيم لو استنشق الثورَ لدخل فيه بقرنيه وأظلافه، ولو ركب عيسى فرساً لكان الراكب هو الأنف وكان عيسى رديفاً لأنفه، والقطعة تسير على هذا المنوال: (١)

قلْ لعيسى أنْفِ أنْفِهِ ... أنفُهُ ضعْفٌ لضعْفِهْ
لم يَنَمْ مُذْ كانَ إلاّ ... ألصقَ الأنفَ بسَقْفِهْ
فترى السقفَ وقد أخـ ... ـربَهُ منهُ بحَرْفِهْ
أنتَ لو تَسْتَنْشِقُ الثو ... رَ بِقَرْنَيهِ وظِلْفِهْ
لهوى في مَنْخرٍ يَسْـ ... ـتَغْرِقُ الخَلْقَ بنصْفِهْ
لو تراهُ راكباً والتِّيـ ... ـهُ قد مالَ بعِطْفِهْ
لرأيتَ الأنفَ في السَّرْ ... جِ وعيسى رِدْفُ أنفِهْ

وأشعار الهجاء في ديوان ابن الزيات كثيرة ، فهو ـ كما قدمنا ـ رجل شديد حازم، معتد بنفسه كثير الخصوم، ولذلك كثر أعداؤه وقلَّ أنصاره وأودَّاؤهُ، فمن هجاهم ابن الزيات، غير من تقدم: إبراهيم بن المهدي، وعلي بن عثمان، وأبو سعيد الفيشي، ومحمد بن ثابت مولى نصير، وأبو دهمان المغني، والعباس بن المأمون، ورجل اسمه أبو خلف، وعلي بن سعيد، وإبراهيم بن رباح، ومجموعة من الأصحاب، وقينة من القيان، وأناس لم تُذْكَرْ أسماؤهم، وإنما ذُكرت صفاتهم، وهكذا فشعره حافل بضروب الهجاء، وهو بعامة هجاء قاس فيه هزء وإضحاك وانتقاص من المهجو.

٦ـ العتاب والإخوانيات:

ولم يعدم ابن الزيات مجموعة من الأصدقاء، الذين كانوا يداعبونه ويراسلونه، ويعاتبونه إذا أبطأ في زيارتهم أو عيادتهم، وكان يرد عليهم ويداعبهم

(١) الديوان ق ٩٧.

ويعتـذر لهم، وكان من أصدقائه الأودّاء الحسن بن وهب، وقد اعتل الحسن فتأخر عنه ابن الزيات أياماً كثيرة ولم يرسل رسوله ولا تعرف خبره، فكتب إليه الحسن يقول: (١)

أيهذا الوزيرُ أيّدكَ اللهُ وأبقاكَ لي بقاءً طويلا
أجميلاً تراه يا أكرمَ الناس لكيما أراه أيضاً جميلا
إنني قد أقمتُ عشراً عليلاً ما ترى مُرسلاً إليَّ رسولا

فرد عليه ابن الزيات يعتذر عن عدم معرفته بمرضه، ويتلطف به ويتودد إليه، وأنه يكنُّ له الود والإخلاص، ويلتمس منه العفو والصفح والتسامح، فهو خليله المخلص، وصفيه الودود: (٢)

دفعَ اللهُ عنك نائبةَ الدهْـ ـرِ وحاشاكَ أن تكونَ عليلا
أشْهدُ اللهَ ما عَلِمْتُ وماذا كَ من العذرِ جائزاً مقبولا
ولَعَمْري أنْ لو علمتُ فلازمْـ ـتُكَ حولاً لكانَ عندي قليلا

ويرجو أن يجود عليه بالصفح، صفح الخليل خليله:

فاجْعَلَنْ لي إلى التَّعلُّقِ بالعُذْ رِ سبيلاً إنْ لم أجدْ لي سبيلا
فقديماً ما جاد بالصفحِ والعفـ ـوِ وما سامح الخليلُ الخليلا

ولابن الزيات ثلاث قطع أخر في معاتبة الحسن بن وهب ومداعبته(٣)، وكما كان يراسل ويداعب الحسن بن وهب، فكذلك كان يراسل عبد الله بن طاهر، ويعتذر إليه عن تقصيره، فقد كتب عبد الله بن طاهر يعاتبه على رسالة فيها (وأمتع بك)، وأول الأبيات: (٤)

---

(١) الأغاني ٢٣ / ٧٠.
(٢) الأغاني ٢٣ / ٧٠، والديوان ق ١٢٢.
(٣) الديوان ق ٣٩، ٤٧، ٦٢.
(٤) ابن قتيبة: أدب الكاتب ١ / ٥١.

أحلت عما عهدتَ من أدبك أم نلتَ مُلْكاً فتهتَ في كتبك

أم قد ترى أنَّ في مناصفة الإخـ ـوانِ نقصاً عليك في حسبك

إنْ جفاني كتابُ ذي ثقةٍ يكون في صدره (وأمتع بك)

فأجابه ابن الزيات مادحاً ومعتذراً بأسلوب المحب المتودد:(١)

وكيف بي أنْ أحولَ يا أملي وكلَّ خيرٍ أنالُ من سبَبِكْ

أنكرْتَ شيئاً فلسْتُ فاعِلَهُ ولا تراهُ يُخَطُّ في كُتُبِكْ

إنْ كان جَهْلٌ أتاكَ مِن قِبَلي فعُدْ بِفَضْلٍ عليَّ من أَدَبِكْ

واعفُ فدتكَ النفوسُ عن رجُلٍ يعيشُ حتى المماتِ في حَسَبِكْ

وكذلك كانت بين ابن الزيات وبين راشد الكاتب (أبي حكيمة)، مودة ومباسطة، فلما حج ابن الزيات في آخر أيام المأمون، تأخر راشد عن زيارته، ثم كتب إليه يعتذر ويذكِّره بنصيبه من الهدايا، وذلك في قوله: (٢)

لا تنسَ عهدي ولا مودتيهْ واشتقْ إلى طلعتي ورؤيتيهْ

إنْ غِبْتُ عنكم فلا تغِبْ كثر ة الذكرِ ولا تغفَلَنْ هديتيهْ

فأجابه ابن الزيات بقصيدة يذكر فيها مكانته في قلبه، ومنزلة أصحابه في نفسه، وأنه لم ينسه ولم ينسَ أن يدعو له في بيت الله، وأنْ يبره ويؤثره بهداياه، ومن ذلك قوله: (٣)

إنَّكَ منِّي بحيثُ يطَّرِدُ النا ظِرُ من تحت ماءِ دَمْعَتِيَهْ

ولا ومن زادني وفضَّلني على صحابي بفضلِ صُحْبَتِيَهْ

بأبي أنت ما نسيتُكَ في يو مِ دُعائي ولا هديَّتِيَهْ

---

(١) الديوان ق ١١٣.

(٢) ابن المعتز: الطبقات ص ١٨٤.

(٣) الديوان ق ١٧٣.

ناجيتُ بالذكرِ والدعاءِ لكَ اللـ ـهَ لـدى البيـتِ رافعـاً يديَـهْ

وشعره في الإخوانيات والمعاتبات كثير، وكله على هذا النمط من المباسطة والتودد، والعتاب والاعتذار، وبأسلوب سهل عفوي لا تكلف فيه، ولكن المشكلة في هذا الضرب من الشعر أنه يتداخل شعر الإخوانيات بشعر الغزل بالمذكر، فقد يكون المقصود غلاماً ممن يحبهم فيداعبه ويعاتبه، ويصبر على غضبه، وقد يكون في أحد أصدقائه الوجهاء وأعلام العصر، وخير دليل على هذا، قوله الذي فيه عتاب وغزل:(١)

يا مَنْ يُمازِحُني في الهزلِ بالغَضَبِ فرِّقْ فديتُـكَ بين الجِـدِّ واللعِـبِ

إذا اصطلحنا منحنا بالصُّدودِ فمـا تنفك من غضبٍ يُفْضي إلى غضبِ

٧ ـ الحكمة ورثاء النفس:

إن التأمل في الحياة ومصائر الخلق، وتقلبات الزمان ونكبات الدهور، لا تتاح للإنسان إلا بعد أن يبلغ مبلغ النضج، ويجاوز سن الشباب والكهولة، ويكون في سن الشيوخ المفكرين والمسنين المتأملين، الذين عركتهم الحياة وذاقوا حلوها ومرَّها، وعرفوا الناس وخبروهم، أو أن تنزل بهم مصيبة من مصائب الزمان ويقعوا في محنة من المحن فيذوقوا عذابها ويتمنوا الخلاص والفرج القريب، أو الاستسلام للمقدور، وكل هذا قد شهده ابن الزيات، فذاق حلاوة الحياة وبهجتها وروعة سلطانها، وقاسى مرارة المحنة والعذاب القاسي الشديد الذي أودى بحياته، فصدرت عنه حِكَم هي خلاصة خبرته في الحياة الحافلة بالنعيم والبؤس، وصوَّر شعره ما نزل به من عذاب، فبكى حظه، وناح على نفسه، ووصف ما يقاسيه من آلام شديدة، وعزا كلَّ ذلك لحكْم الأقدار وأفاعيل الزمان، فالحكمة في شعر ابن الزيات مقرونة بمحنته ونكبته، ولا يعني هذا أنه لم تسقط في شعره حكم تأتي في تضاعيف الموضوعات الأخرى كالغزل والمديح والرثاء، ولكن جل ما في شعره من حكم، كان مرتبطاً بنكبته، وأنشده حين بكى على نفسه وتحسر على ما فرط من حياته.

ومن حكمه التي قالها وهو يتأمل حال الناس الذين تغرهم الدنيا، فيطغون ويبغون،

---

(١) الديوان ق ١٨.

ثم تدور عليهم الدوائر، ويتغير بهم الزمان، فيلقون مصائر السوء، قوله: (١)

نَزلَتْ بالخائنينَ سَنَة سَنَةٌ للناسِ مُمْتَحِنَهْ
خَوَّلَتْ ذا النصحِ نِعْمَتَهُ وأزلَّتْ نعمةَ الخَوَنَهْ
فترى أهلَ العفافِ بها وهُمُ في حالةٍ حَسَنَهْ
وترى مَنْ خانَ هِمَّتُهُ أنْ يؤدِّي كلَّ ما احتجَنَهْ

ويتأمل في الحياة ومصير الإنسان، والإنسان بطبعه يحب الحياة، ويأمل فيها آمالاً عريضة، ولكن الموت له بالمرصاد، ولا بد أن يطوي الموت هذه الآمال: (٢)

وللنفوسِ وإنْ كانتْ على وجَلٍ مِنَ المنيَّةِ آمالٌ تُقَوِّيها
والمرءُ يَبْسُطُها والنَّعْشُ ينشُرُها والدَّهْرُ يقْبُضُها والموتُ يطْويها

ويرى ابن الزيات في الصبر فرجاً من كل مكروه، وتغلباً على مصاعب الحياة، ونكبات الدهر، وفي الصبر جلاء للهموم وشفاء للنفس، وإذا خشي الإنسان شيئاً فليجعل الصبر جنة لما يخاف، فالصبر مفتاح الظفر: (٣)

إنَّ في الصبرِ لخيراً فاصطبرْ واستعذْ بالله من سوءِ القَدَرْ
اجعلِ الصبرَ لما تحْذَرُهُ جُنَّةً فالصبرُ مفتاحُ الظَّفَرْ
كلُّ من حُدِّثْتَ عنهُ إنَّهُ نال خيراً فاعلمنْ أنْ قد صَبَرْ
إنَّ في الصبرِ مُجيراً لك من صولةِ الهَمِّ إذا الهَمُّ حَضَرْ

وحين نزلت بابن الزيات المحنة، كان يستدعي الصبر تارة، ويجزع تارة أخرى، فقد طال عليه العذاب وأطبقت عليه الهموم، وإذا كان لا يستطيع الصبر، ولا يتحمل العذاب، فإنه يدعو ابنته أن تصبر، وتقل بكاءها إذا ما جاءها نعي أبيها، الذي طال

---

(١) الديوان ق ١٦٩ .
(٢) الديوان ق ١٧٥ .
(٣) الديوان ق ٦٩ .

عليه العذاب ويئس من النجاة، وها هو يصف حاله: [١]

لَعِبَ البِلَى بمعـالي ورسُومِي ... ودُفِنْتُ حـيّاً تحتَ رَدْمِ غُمـومِ
وشكوتُ غَمِّي حين ضِقْتُ ومَن شكا ... كَرْباً يضـيقُ به فـغـيرُ مَلومِ
لزِمَ البِلى جسمي وأوهنَ قوَّتي ... إنَّ البِلـى لَمُوكَّلٌ بلـزومِ
أبُنَيَّتي قِلِّي بُكاكِ واصـبري ... فـإذا سمِعْتِ بهـالكٍ مَغمـومِ
فـانْعي أباكِ إلى نسـائه واقْعُدي ... في مـأتَمٍ يبْكِي العيونَ وقومي
قـولي له يا غـائبـاً لا تُرْتجى ... حتى القيامة مُخْبراً بقدومي
يا عين كنتِ ومـا أُكَلِّفُكِ البُكا ... حتى ابتُليتِ فإنْ صبرتِ فدومي

وكان عند حبسه وعذابه يخاطب المتوكل، أو من أنزل به العذاب، ويصور حال القاتل والمقتول مشبهاً ذلك بعصفورة في يد طفل يلهو بها وهي تتعذب: [٢]

تمكَّنتَ من نفسي فأزمَعْتَ قَتْلَها ... وأنتَ رخيُّ البالِ والنفسُ تذهبُ
كعُصفورةٍ في كفِّ طفْلٍ يسومُها ... ورودَ حياضِ الموتِ والطفلُ يلعبُ
فلا الطفلُ يدري ما يسومُ بكفِّـهِ ... وفي كفِّـهِ عُصفورةٌ تتضـرَّبُ

وكان في عذابه يرى تغير الزمان وتقلب الدنيا، فإذا خيرُها يصير شرًّا، وإذا عامرها يكون خراباً، وينتهي إلى نتيجة حتمية إلى أن كل شيء في هذه الحياة مصيره الزوال، وزواله سريع، فالدنيا كظل زائل وليس له إلا أن يرضى بمصيره، فإن الله سبحانه قدَّر كل شيء، وهو راض بقدره: [٣]

سَلْ ديارَ الحيِّ مَن غيَّرها ... وعفاها وعَفَى منظرَهـا
وكذا الدنيا إذا ما انقَلَبَتْ ... جعلَتْ معروفَها مُنْكرَها

---

(١) البيهقي: المحاسن والمساوىء ص٥٣٣، والديوان ق١٤٣.
(٢) معجم الشعراء ص٣٦٦، أمراء البيان ص٣٠٦، والديوان ق٦.
(٣) بهجة المجالس ٣/٢٩٧، وفيات الأعيان ٥/١٠١، والديوان ق٧٣.

إنمـا الـدنيـا كـظلٍّ زائـلٍ   أحْمَدُ اللـهَ كـذا قـدَّرهـا

وهو في تأمله في هذه الحياة وتقلبها، ينتهي إلى أن كل شيء في هذه الحياة متغير ويصير إلى زوال، وأهل هذه الدنيا بين صعود ونزول، وأن السلطان ينتقل من يد إلى أخرى، وليس هناك دوام ولا بقاء، ومصير الجميع إلى الموت، فمهما بغى الإنسان وطغى، فالموت له بالمرصاد، يحوم حوله أيما حوم: (١)

هو السبيلُ فمـن يومٍ إلى يـومِ   كأنَّهُ ما تُريكَ العينُ في النـومِ

لا تعجلنَّ رويـداً إنـهـا دولٌ   دُنيا تَنَقَّلُ من قـومٍ إلى قـومِ

إنَّ المنايا وأنْ أصبحتَ في شُغُلٍ   تحـومُ حولكَ أيَّمـا حـومِ

ويبدو أن آخر ما قاله ابن الزيات في تصوير عذابه، أنه كان يتمنى أن يسعد بلحظات من النوم ـ فقد كان يُعَذَّب بالسهر ويمنع من النوم بالإضافة إلى التنور والجلد ـ فقد وُجِد مكتوباً بالفحم في جانب التنور: (٢)

مَـنْ لـهُ عَـهْـدٌ بنومٍ   يُرشِـدُ الصبَّ إليـه

رحـمَ اللـهُ رحيمـاً   دَلَّ عينـيَّ عليـهِ

سَهِرَتْ عيني ونامَت   عينُ مَنْ هُنتُ عليهِ

وهكذا فإن حِكَمَ ابن الزيات جاءت ممزوجة بالبكاء على نفسه، وما لقيه من البؤس والعذاب حتى كانت نهايته، تلك النهاية الأليمة المفزعة.

---

(١) الديوان ق١٤١.

(٢) تاريخ بغداد ٣/١٤٦، الخزانة ١/٤٥١، الديوان ق١٧٤.

نثر ابن الزيات

إن المصادر التي ذكرت ابن الزيات وترجمت له، تذكره بأنه كاتب بليغ، وأديب مجيد موهوب، نال وظيفته كاتباً في ديوان الخلافة بجدارة، بما أوتي من علم بالعربية وتاريخها ونحوها، وما له من ثقافة واسعة، وسرعة بديهة، كل ذلك أهَّلَهُ ليكون كاتباً، فرئيس كتَّاب، فوزيراً قديراً، وكان ابن الزيات يكتب للخليفة في التولية والتعزية والتهنئة ومراسلة الولاة والعمال، وفي أمور الدولة عامة، وكذلك كان يكتب لأصدقائه في أموره الخاصة، وقد شغل ابن الزيات منصبه كاتباً ووزيراً حوالي عشرين عاماً، ولابد أن تكون قد صدرت بخطه أو بإملائه مئات الرسائل، فأين هي تلك الرسائل، وما مستواها الفني؟ يذكر ابن النديم أن لابن الزيات (ديوان رسائل من أربعين ورقة)[1] ، ولم تصل هذه الرسائل، وقد حفظت الكُتُبُ بعضَ الرسائل في بضع صفحات لا تتناسب مع تراث ابن الزيات، والفترة الطويلة التي قضاها كاتباً ووزيراً، ونستطيع أن نعزو فَقْد تلك الرسائل أو طمسها وإتلافها، إلي عوامل عدة، منها : أن ابن الزيات كان من المعتزلة الجهمية، وفي خلافة المتوكل أفل نجم المعتزلة، وأمر المتوكل بالكفّ عن مساءلة الناس ومحاكمتهم في قضية القول بخلق القرآن، ونشط الأشعرية، ووصلوا إلى الحكم، وكان من الطبيعي ألا يحافظوا على كتابات المعتزلة ومن والاهم، إنْ لم يعملوا على إتلافها، والأمر الآخر أن ابن الزيات قد انتهت حياته مغضوباً عليه من قبل المتوكل، أي من قبل السلطة وأعوان السلطة، وأنه كان في عهد وزارته كثير الخصوم الناقمين عليه والحساد والمتضررين من سياسته وشدته، كل هذه الأمور ساعدت على ضياع رسائل ابن الزيات، وكذلك ضياع قسم كبير من شعره، ولكن ما بقي من أدبه شعراً ونثراً، يعطي صورةً لأدبه وموقعه بين أدب معاصريه، فما هي الخصائص والسمات العامة لنثر ابن الزيات؟.

تتضح في أسلوب ابن الزيات معالمَ أساليب العصر ومؤثراته، وقد كان كبار

---

(١) الفهرست ص ١٧٧، ط ليبسك .

كُتّاب هذا العصر من أمثال الجاحظ وإبراهيم بن العباس الصولي والحسن بن سهل والفضل بن سهل والحسن بن وهب وسليمان بن وهب، وغيرهم ممن كتبوا للمعتصم والواثق والمتوكل، كل أولئك قد تأثروا بأفكار المعتزلة والمنطق اليوناني، وما تركته حركة الترجمة والنقل من اليونانية والفارسية من آثار في أساليب الكتاب وثقافتهم، وكان قد سبق هذا الجيل من الكُتّاب، جيل آخر كان له أثره في تطور الكتابة ونضجها، مثل ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب، وقد تطور النثر في عصر ابن الزيات تطوراً ملموساً، وخاصة ما كان متصلاً بالرسائل الديوانية، والرسائل الأدبية، التي مثلت ثقافة العصر وعبرت عن حاجاته، فظهرت فيها الآثار الفلسفية، والمصطلحات التي استجدت نتيجة للترجمة والعناية بالعلوم الطبيعية والفلكية والكيماوية والرياضية وغيرها، بالإضافة إلى العلوم العربية والشرعية التي نضجت واكتملت، وقد ظهر في هذا العصر أسلوب جديد متميز يتسم بقوة التعبير، والوضوح، وسهولة الألفاظ، وجمال العبارة، فقد هجروا الألفاظ الغامضة والمعاني المبهمة، وحرصوا على الأداء البليغ الذي يروق المتكلم والكاتب، والمترجم والسامع، بعذوبة منطقه، وهو «أسلوب قام على هجر كثير من الألفاظ البدوية الحوشية الجافية، التي تنبو على ذوق أهل الحاضرة، كما قام على الارتفاع عن الألفاظ العامية المبتذلة، مع العناية بفصاحة اللفظ وجزالته ورصانته، والملاءمة الدقيقة بين الكلمة والكلمة في الجرس الصوتي، وبذلك لم يقف عند الأداء الفصيح فحسب، إذ اتخذ لنفسه أصولا بيانية تشيع فيه الرونق والجمال»(١).

وقد ظهر في أسلوب العصر الميل إلى استخدام الفِقَر القصيرة، التي تتميز بالجمل المعبرة، والألفاظ الموسيقية الموحية، وكثر في أساليبهم الترادف والازدواج، وكذلك كان أسلوب ابن الزيات، فيه فقر قصيرة وألفاظ قوية، وجمل رصينة جميلة موحية، يغلب على أسلوبه طابع الجد والقوة والحزم، مع الوضوح والإيجاز، ولا يميل إلى الإطالة والإطناب، إلا في بعض الرسائل التي يستدعي موضوعها ذلك، فيميل عندئذ إلى التكرار والمبالغة.

---

(١) شوقي ضيف: العصر العباسي الأول ص٤٤٣.

وإذا أردنا أن نجمل خصائص نثر ابن الزيات، مقروناً بالشواهد، نقول. إنه يتميز بأمور أظهرها:

١- الإيجاز: ويتضح هذا في قوله مبينا علاقة الحاكم بالمحكوم، وما يتوجب على الناس من الطاعة للخليفة، وواجب الخليفة في بسط العدل وإحياء السُّنَّة، يقول:

(إن الله أوجب لخلفائه على عباده حقّ الطاعة والنصيحة، ولعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة، وإحياء السنن الصالحة، فإذا أدى كلٌّ إلى كلٍّ حقَّه، كان ذلك سبباً لتمام المعونة، واتصال الزيادة، واتساق الكلمة، ودوام الألفة)(١).

والإيجاز هو السمة الغالبة على أسلوبه، ولكنه قد يطيل ويطنب حين يقتضي الأمر ذلك في المهام الكبيرة، والأحداث الجسام، من مثل حادثة قبض الإخشيد على بابك الخرمي سنة ٢٢٣هـ، فنرى في الرسالة تطويلاً وإطناباً، وتكراراً للعبارات والكلمات التي تؤدي معاني متشابهة أو متقاربة، وكلمات مترادفة، يقول:

(فأما اللعين بابك وكفرته، فإنهم كانوا يُغْزَون أكثر مما يَغْزون، وينالون أكثر مما يُنال منهم، ومنهم المنحرفون عن الموادعة، المتوحشون عن المراسلة، ومن أديلوا من تتابع الدول، ولم يخافوا عاقبة تدركهم، ولا دائرة تدور عليهم، وكان مما وطأ ذلك ومكَّنه لهم، أنهم قوم ابتدؤوا أمرهم على حال تشاغل السلطان، وتتابع الفتن، واضطراب من الحِيَل، فاستقبلوا أمرهم بغرة من أنفسهم وضعف، واستشارة ممن باراهم، فأجلَوْا مَن حولهم، لتخلص البلاد لهم، ثم أخربوا البلاد ليعز مطلبهم، وتشتد المؤونة، وتعظم الكلفة)(٢).

٢ ـ البساطة والوضوح: وهي صفة غالبة في أسلوبه، إذ يتجنب التكلف، والعبارات المعقدة، ويؤثر البساطة والدقة والقوة، ويجعل أفكاره تنساق متسلسلة تسلسلاً منطقياً وطبيعياً، يتضح ذلك في رسالته إلى أحد الموظفين أو الولاة:

(أما بعد، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين (كذا) فأنكره، ولا يخلو من إحدى منزلتين،

---

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٤٠ ط لجنة التأليف، القاهرة ١٩٦٥.
(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ٦ / ٤٠٠، ط دار النشر القومية، القاهرة ١٩٦٤

ليس في واحدة منهما عذر يوجب حجة، ولا يزيل لائمة، إما تقصير في عملك دعاك للإخلال بالحزم، والتفريط في الواجب، وإما مظاهرة لأهل الفساد، ومداهنة لأهل الريب، وأية هاتين كانت منك محلة للنكر بك، وموجبة العقوبة عليك)(١).

٣ ــ قلة السجع: وعلى الرغم مما كان شائعاً في العصر من استعمال السجع، واستفحال السجع في العصر اللاحق، فإن أسلوب ابن الزيات يكاد يخلو من السجع، كما يتضح من الأمثلة السابقة ، وفي أكثر رسائله، وقد يرد السجع في بعض نثره قليلاً، ويأتي عفو الخاطر، دون قصد أو تكلف، فمن السجع القليل الذي سقط في بعض نثره قوله:

(إن من حقّ الأولياء على السلطان تنفيذ أمورهم، وتقويم أودهم، ورياضة أخلاقهم، وأن يميز فيقدم محسنهم، ويؤخر مسيئهم، ليزداد هؤلاء في إحسانهم، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم)(٢).

٤ ــ الميل إلى الازدواج والترادف: وقد ظهرت هذه الميزة في أسلوب عصره، وظهرت في أسلوب ابن الزيات، ويضفي الازدواج على الأسلوب الموسيقى والتوازن وتعادل الكلمات، والانسجام بين الحروف، ويكون لكل ذلك وقع جميل معبر وموح، ونجد ذلك واضحاً في قوله:

(الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معقود النية بطاعته، منطوي القلب على مناصحته، مشحوذ السيف على عدوه، ثم وهب له الظفر، ودوخ له البلاد، وشرد به العدو، وخصه بشرف الفتوح، شرقاً وغرباً، وبراً وبحراً)(٣). وكذلك في قوله:

(إن من أعظم الحقِّ حقَّ الدين، وأوجب الحرمة حرمة المسلمين، فحقيق لمن رعى ذلك الحق، وحفظ تلك الحرمة، أن يراعي له حسب ما راعاه الله ، ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه)(٤).

---

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٤١.
(٢) العقد الفريد ٤ / ٢٤٠ .
(٣) السابق والصفحة .
(٤) العقد الفريد ٤ / ٢٤٠.

٥ ــ مراعاة مقتضى الحال: فابن الزيات حين يكتب إلى الولاة على لسان الخليفة، يتضح في أسلوبه الحزم والقوة والإيجاز، وحين يكتب إلى أصدقائه يظهر اللين والتبسط ودماثة الخلق، وحين يكتب في أمور الحرب، وما يلم بالأمة من أحداث وفتن، يطيل ويطنب، ويشتد في موضع الشدة، ويلين في موضع اللين، وحين يكتب في أمور الخلافة وواجب الرعية في الطاعة، تظهر الصبغة الدينية، ويؤكد الواجبات الشرعية، وحين يتعلق الأمر بذكر المقدسات الإسلامية، تظهر ثقافته التاريخية والدينية، في سياق الحث على الحفاظ على المقدسات، وتعظيم المواضع الإسلامية، وذلك ما ظهر واضحا في الكتاب الذي كتبه بحضور المعتصم الذي عهد فيه للواثق على مكَّة، وقد جاء فيه:

(أما بعد، فإن أمير المؤمنين قد قلَّدكَ مكة وزمزم، تُراثَ أبيك الأقدم، وجدِّك الأكرم، ورَكْضَة جبريل، وسُقْيا إسماعيل، وحَفْرَ عبد المطلب، وسِقاية العباس، فعليك بتقوى الله، والتوسعة على أهل بيته)[١].

وقد ذكر ابن الزيات في هذا العهد الموجز جملة قضايا تاريخية وإسلامية، من ذلك قصة هاجر وإبراهيم حين ولدت ابنها إسماعيل، وغارت منها زوجته الثانية سارة، فاضطرته أن يُنْزِل هاجر وابنها منزلاً بعيداً عنها في مكَّة، وكيف أن جبريل هبط ليفجر لهما الماء من بئر زمزم، فتستقي منه هاجرُ وابنُها، وبعد مرور أزمان تنطمر البئر وتمحى معالمها، فيحفرها عبد المطلب جد الرسول، ويتخذها لسقاية الحاج، وأهل الحرم، ويرث هذه المكرمة ابنه أبو طالب فتكون السقاية له من بعد أبيه، ثم ورثها أخوه العباس، وهو جد العباسيين، ومنهم المعتصم والواثق، وهكذا كان ذلك العهد الذي نال إعجاب المعتصم ومن حضر كتابته، لما فيه من مراعاة مقتضى الحال، فقد قيل إن المعتصم سأل محمد بن رباح: كيف ترى؟ قال:

كأنهما قرطان بينهما وجه حسن، ومع ذلك ذكر ابن الزيات أمر الحرم بتعظيم وتفخيم[٢].

---

(١) زهر الآداب ٤ /١٠٩٧.
(٢) زهر الآداب ٤ /١٠٩٧.

النصوص النثرية

إن ما بقي من نثر ابن الزيات مجموعة قليلة من الرسائل، منها الرسائل الرسمية التي كتبها في زمن وزارته للمعتصم أو الواثق أو المتوكل، ومنها رسائل عامة أو شخصية وجهها إلى أصدقائه أو أجاب من كتب إليه، ونحاول أن نصنف هذه الرسائل وفق أزمان كتابتها على وجه التقريب:

أولاً: الرسائل الصادرة عن ديوان الخلافة:

١ ـ عهد للواثق على مكة كتبه بحضرة المعتصم:

(أما بعد، فإن أمير المؤمنين قد قلدك مكة وزمزم، تراثَ أبيك الأقدم، وجدِّك الأكرم، وركْضَة جبريل، وسُقيا إسماعيل، وحَفْر عبد المطلب، وسِقايَةَ العباس، فعليك بتقوى الله تعالى، والتوسعة على أهل بيته)(١).

٢ ـ القبض على بابك الخرمي سنة ٢٢٣هـ، قال بعد التحميد:

(ولا يعلم أمير المؤمنين ـ مع كثرة أعداء الإسلام، وتكنفهم إياه من أقطاره، والضغائن التي في قلوبهم على أهله، وما يترصدونه من العداوة، وما ينطوون عليه من المكايدة، إذ كان هو الظاهر عليهم، والآخذ منهم ـ عدواً كان أعظم بلية، ولا أجلَّ خطباً، ولا أشدَّ كَلَباً ولا أبلغ مكايدة، ولا أرمى بمكروه، من هؤلاء الكفرة الذين يغزوهم المسلمون، فيستعلون عليهم، ويضعون أيديهم حيث شاؤوا منهم، ولا يقبلون لهم صلحاً، ولا يميلون معهم إلى موادعة، وإن كان لهم على طول الأيام، وتصرف الحالات، وبعض ما لا يزال يكون من فترات ولاة الثغور، أدنى دولة من دولات الظفر، وخُلسة من خُلَسِ الحرب، كان بما لهم من خوف العاقبة في ذلك منغصاً لما تعجلوا من سروره، وما يتوقعون من الدوائر، يعد مكدراً لما وصل إليهم من فرحة.

---

(١) زهر الآداب ص ١٠٢٦ وفيه إضافة (ولو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليه، وزيادة منتظرة له)، وانظر أمراء البيان ص ٢٩٧ـ٢٩٨.

فأما اللعين بابك وكَفَرته، فإنهم كانوا يَغزون أكثر مما يُغزَون، وينالون أكثر مما يُنالُ منهم، ومنهم المنحرفون عن الموادعة، المتوحشون عن المراسلة، وممن أديلوا[1] من تتابع الدول، ولم يخافوا عاقبة تدركهم، ولا دائرة تدور عليهم، وكان مما وطّأ ذلك ومكّنه لهم، أنهم قومٌ ابتدؤوا أمرهم على حال تشاغل السلطان، وتتابع من الفتن، واضطراب من الحيل، فاستقبلوا أمرهم بغرة من أنفسهم وضعف، واستثارة ممن باراهم، فأجلَوْا من حولهم لتخلص البلاد لهم، ثم أخربوا البلاد ليعز مطلبهم، وتشتد المؤونة، وتعظم الكلفة، ويقْوَوا في ذات أيديهم، فلم يتوافَ إليهم قواد السلطان، إلا وقد توافتْ إليهم القوة من كل جانب، فاستفحل أمرُهم، وعظمت شوكتهم، واشتدت ضراوتهم، واستجمع لهم كيدهم، وكثر عددهم واعتدادهم، وتمكنت الهيبة في صدور الناس منهم، وتحقق في نفوسهم أنَّ كلَّ ما يَعدهم الكافرُ ويُمَنِّيهم أخذٌ باليد، وكان الذي بقي عندهم منه كالذي مضى، وبدون هذا ما يُخْتَدَع الأريبُ، ويستنزل العاقل، ويُعْتَلُ الفَطِنُ، فكيف بمن لا فكرة له، ولا روية عنده.

هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حسدِ أهلِ النِّعَمِ، ومنافستهم على ما في أيديهم، وأقطعهم حسراتٍ في إثْرِ ما خُصُّوا بهِ، وأنهم إنْ لا يكونوا يرون أنفسهم أحق بذلك، فإنهم يرون أنهم فيه سواء.

وفيه: فأعدَّ أمير المؤمنين من أمواله أخطرها، ومن قواد جيشه أعلمهم بالحرب، وأنهضهم بالمعضلات، ومن أوليائه وأبناء دعوته ودعوة آبائه ـ صلوات الله عليهم ـ أحسنهم طاعة، وأشدهم نكاية، وأكثرهم عُدَّة، ثم أتبع الأموال بالأموال، والرجال بالرجال، من خاصة مواليه، وعدد غلمانه، وقبل ذلك ما اتكل عليه من صُنع الله عزَّ وجل، ووجه إليه من رعيته، فكيف رأى الكافر اللعين وأصحابه الملاعين؟ ألم يُكَذِّب الله ظنونهم، ويَشْفِ صدورَ أوليائه منهم؟ يقتلونهم كيف شاؤوا، في كل موطنٍ ومعترك، مادامت عند أنفسم مقاومة.

وفيه: فلما حصرهم الله، وحبسهم عليه، ودانتهم مصارعهم، سلطهم الله عليهم

---

(١) أديلوا: من الدولة، والإدالة: الغلبة، أدالنا الله من عدونا: مكننا منه.

كيد واحدة، يختطفونهم بسيوفهم، وينتظمونهم برماحهم، فلا يجدون ملجأً ولا مهرباً، ثم أمكنهم من أهاليهم وأولادهم ونسائهم وحُرَمهم، وصيَّروا الدارَ دارَهم، والمحلَّةَ مَحِلَّتَهم، والأموال قَسْماً بينهم، والأهلَ إماءً وعبيداً، وفوق ذلك كله ما فعل بهؤلاء، وأعطاهم من الرحمة والثواب، وما أعدَّ لأولئك من الخزي والعقاب، وصار الكافر بابك لا فيمن قُتِل فسلم من ذل الغَلَبة، ولا فيمن نجا فعاين في الحياة بعض العوض، ولا فيمن أصيب، فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه).

وجاء في خاتمته: (فالحمد لله الذي أعزَّ دينه، وأظهر حُجَّتهُ، ونصر أولياءه، وأهلك أعداءه، حمداً يُقْضى به الحقّ، وتتم به النعمة، وتتصل به الزيادة، والحمد لله الذي فتح على أمير المؤمنين وحقق ظنَّه، وأنجح سعيه، وحاز له أجر هذا الفتح وذُخْره وشرفه، وجعله خالصاً لتمامه وكماله، بأكمل الصنع وأحسن الكفاية)(١).

٣ ــ وكتب في حقِّ السلطان وحقِّ الرعية:

(إنَّ حقّ الأولياء على السلطان تنفيذ أمورهم، وتقويم أودهم، ورياضة أخلاقهم، وأنْ يميِّزَ بينهم فيقدم محسنَهم، ويؤخِّر مسيئَهم، ليزداد هؤلاء في إحسانهم، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم)(٢).

٤ ــ وكتب في حرمة المسلمين:

(إن من أعظم الحقّ حقّ الدِّين، وأوجب الحرمة حرمة المسلمين، فحقيق لمن راعى ذلك الحقّ، وحفظ تلك الحرمة، أن يراعي له حسب ما راعاه الله، ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه)(٣).

٥ ــ وكتب في علاقة الخليفة بالرعية:

(إن الله أوجب لخلفائه على عباده حقّ الطاعة والنصيحة، ولعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة، وإحياء السنن الصالحة، فإذا أدَّى كلٌّ إلى كلٍّ حقَّه، كان ذلك

---

(١) صبح الأعشى ٦/ ٤٠٠.
(٢) العقد الفريد ٣/ ٢١٣.
(٣) العقد الفريد ٤/ ٢٤٠.

سبباً لتمام المعونة، واتصال الزيادة، واتساق الكلمة، ودوام الألفة)[١].

٦ ــ وكتب في إسباغ النعم:

(ليس من نعمة يجددها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصة، إلا اتصلت برعيته عامّة، وشملت المسلمين كافّة، وعظم بلاء الله عندهم فيها، ووجب عليهم شكره عليها، لأن الله جعل بنعمته تمام نعمتهم، وبتدبيره وذبِّه عن دينه حفظ حريمهم، وبحياطته حقن دمائهم وأمن سبيلهم، فأطال الله بقاءَ أمير المؤمنين منطوي القلب على مناصحته، مؤيَّداً بالنصر، معززاً بالتمكين، موصول البقاء بالنعيم المقيم)[٢].

٧ ــ وكتب في أفعال أمير المؤمنين:

(أفعال أمير المؤمنين عندنا معسولة كالأماني، متصلة كالأيام، ونحن نواتر الشكر لكريم فعله، ونواصل الدعاء له مواصلة برِّه، إنه الناهض بكَلِّنا، والحامل لأعبائنا، والقائم بما ناب من حقوقنا)[٣].

٨ ــ وكتب في الخليفة وطاعة الله:

(الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معقود النية بطاعته، منطوي القلب على مناصحته، مستحوذ السيف على عدوه، ثم وهب له الظفر، ودوخ له البلاد، وشرَّد به العدو، وخصه بشرف الفتوح، شرقاً وغرباً، وبراً وبحراً)[٤].

٩ ــ وكتب في تنبيه العمال:

(أما بعد فقد انتهى إلى أمير المؤمنين (كذا) فأنكره، ولا يخلو من إحدى منزلتين، ليس في واحدة منهما عذر يوجب حجة، ولا يزيل لائمة : إما تقصير في عملك دعاك للإخلال بالحزم، والتفريط في الواجب، وإمَّا مظاهرة لأهل الفساد، ومداهنة لأهلِ الرِّيَب، وأيَّة هاتين كانت منك مُحلَّةُ النُّكْرِ بك، وموجِبَةُ العقوبةَ عليك، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناةِ والنَّظِرة، والأخذ بالحُجَّة، والتقدم في

---

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٤٠.
(٢) العقد الفريد ٤ / ٢٤٠.
(٣) العقد الفريد ٤ / ٢٤١.
(٤) العقد الفريد ٤ / ٢٤٠.

الإعذار والإنذار، على حسب ما أقلت من عظيم العثرة، وما يجب اجتهادك في تلافي التقصير والإضاعة، والسلام)[1].

١٠ ــ أمر الواثق ابن الزيات أن يتلطف بعبد الله بن طاهر، ويعلمه أنه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم، وفوَّض ذلك لابن عمه إسحاق بن إبراهيم، فكتب ابن الزيات:

(أما بعد، فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما في يمينك من أمر الجزائر والعواصم، فيجعله في شمالك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته)[2].

١١ ــ رسالته في البيعة للمتوكل واعتماد اللقب الذي لقب به:

(بسم الله الرحمن الرحيم، أمرَ أبقاك الله أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، أن يكون الرسم الذي يجري به ذكره على أعواد منابره، وفي كتبه إلى قضاته وكتابه وعماله وأصحاب دواوينه وغيرهم، من سائر من تجري المكاتبة بينه وبينه: « من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين »، فرأيك في العمل بذلك، وإعلامي بوصول كتابي إليك، موفق إن شاء الله)[3].

ثانيا: رسائل عامة كتبها إلى من هم تحت إمرته، أو إلى أصدقائه، أوتوقيعات له:

١٢ ــ رسالة إلى الحسن بن وهب، بين الرئيس والمرؤوس:

(يجب على المرؤوس إذا تجاوز به الرئيس حق مرتبته بعمله، وكان تفضيله إنما وقع له بخفته على القلب، ومحله من الأدب، أن يقابل ذلك بمثله، إن كان محامياً على محله، وإلا فلا يؤمن عليه)[4].

١٣ ــ رد على معاتبة الحسن بن وهب في أمر من الأمور، فكتب إليه:

(يا أخي، ما زُلتُ عن مودتك، ولا حُلْتُ عن أخوتك، ولا استبطأتُ نفسي

---

(١) العقد الفريد ٤ / ٢٤١.
(٢) زهر الآداب ص٢٧٢ و ١٠٢٦.
(٣) تاريخ الطبري ١١ / ٢٦ ــ ٢٧.
(٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار ٣ / ٣١.

لك، ولا استزدتُها في محبتك، وإن شخصك لماثلٌ نُصْبَ طَرفي، ولقلَّ ما يخلو من ذكرِكَ قلبي، ولِله درُّ الذي يقول:

أما والذي لو شاء لم يخلق النوى   لئن غِبتَ عن عيني لما غِبتَ عن قلبي
يذكرنيك الشوق حتى كأنني   أناجيك من قربٍ وإنْ لم تكنْ قربي[1]

١٤ ـ رسالته إلى الجاحظ يستحثه فيها للفراغ من كتاب الردِّ على النصارى والتعجيل به إليه:

(إن أمير المؤمنين يجد بك، ويهش عند ذكرك، ولولا عظمتك في نفسه لعلمك ومعرفتك، لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه، ولغصبك رأيك وتدبيرك، فيما أنت مشغول به ومتوفر عليه... وتنال مشاهرتك، وقد استطلقته لما مضى، واستسلفته لك، لسنة كاملة مستقبلة)[2].

١٥ ـ وقال يرد على رسالة لإبراهيم بن العباس الصولي أيام مقامه بالأهواز:

(قِلَّةُ نظرك لنفسك حرمتك سناء المنزلة، وإغفالك حظك حطك عن الدرجة، وجهلك بقدر النعمة، أحل بك اليأس والنقمة، حتى صرت من قوة الأمل، معتاضاً شدة الوجل، ومن رجاء الغد متعوضاً يأس الأبد، وركبت مطية المخافة بعد مجلس الأمن والكرامة، وصرت معرضا للرحمة بعد ما اكتنفتك الغبطة، وقد قال الشاعر:

إذا ما بدأتَ امرأً جاهلاً   ببِرٍّ فقصَّرَ عن حَمْلِهِ
ولم تره قابلاً للجَميلِ   ولا عرف الفضلَ مِن أهلِهِ
فسُمْهُ الهوانَ فإن الهوان   دواءٌ لذي الجهلِ مِن جهلِهِ

وقد فهمت كتابك، وإغراقك وإطنابك، وإضافة ما أضفت بتزويق الكتاب بالأقلام، وفي كفاية الله غنى عنك يا إبراهيم، وعوض منك، وهو حسبنا ونعم الوكيل)[3].

---

(١) الوشاء: الظرف والظرفاء ص٢٩٤.
(٢) أبو هلال الصابي: تاريخ الوزراء ص٩٧.
(٣) إعتاب الكتاب ص١٤٧ ـ ١٤٨، وانظر الديوان ق١٢٩.

١٦ ــ ومما قاله في صفة القلم:

(خير الأقلام ما استحكم نضجه، وخفَّ بزُرُهْ، قد تساعدت عليه السعود في فلك البروج حولاً كاملاً، تؤلفه بمختلف أركانها وطباعها، ومتباين أنواعها وأنحائها، حتى إذا بلغ أشدَّهُ واستوى، وشقت بوازله، ورقَّتْ شمائلُهُ، وابتسم عن غشائه، وتأدَّى من لحائه، وتعرَّى عنه ثوب المصيف بانقضاء الخريف، وكشف لون البيض المكنون، والصدف المخزون، وقطع ولم يعجل عن تمام مصلحته، ولم يؤخر إلى الأوقات المخوفة عاهاتها عليه من خضر الشتاء، وعفن الأنداء، فجاء مستوي الأنابيب معتدلها، مثقف الكعوب مقومها)(١).

١٧ ــ ومن قوله في التحذير من الصديق الجاهل:

(احذروا الصديق الجاهل أكثر من حذركم العدو العاقل، فليس من أساء وهو يعلم أنه مسيء، كمن أساء وهو يظن أنه يحسن)(٢)، ومما يلحق بهذا ما قيل إن ابن الزيات كان يأنس بأهل البلادة والغباء ويستوحش من أهل الذكاء، فسئل عن ذلك فقال: (مؤونة التحفظ شديدة)(٣).

١٨ــ توقيعاته:

ولابن الزيات جملة توقيعات حفظتها الكتب، نورد ما توافر لدينا منها:(*)

١ــ كتب ابن الزيات توقيعاً إلى عبد الله بن طاهر: قطعتُ عنكَ كُتُبي قَطْعَ إجلالٍ لا قَطْعَ إخلالٍ(٤).

٢ــ وقع إلى عامل له: توهمْتُكَ شَهْماً كافياً، فوجدتُكَ رَسْماً عافياً، لا محامياً ولا وافياً(٥).

---

(١) صبح الأعشى ٢/٤٥٣.
(٢) تاريخ الوزراء ص ٩٧.
(٣) العقد الفريد ٣/٢١٣.
(*) لأخي الدكتور محمد الدروبي مشروع كتاب عن التوقيعات العباسية، وقد زودني بتوقيعات ابن الزيات، فله مني الشكر الموصول.
(٤) تحفة الوزراء ص٩٨.
(٥) البصائر والذخائر ٨/ ٢٦-٢٧.

٣ــ وقَّعَ يوماً على رقْعَةِ رجلٍ توسلَ إليـهِ بقُرْبِ الجوارِ منه: الجِوارُ للحيطان، والتعطُّفُ للنسوانِ(١).

٤ــ كتب محمد بن خالد إلى ابن الزيات: أنَّ قوماً صاروا إليه متنصِّحين، فذكروا أنَّ رسوماً للسلطانِ قد عَفَتْ ودرستْ، وأنه قد توقف عن كشفها إلى أنْ يعرفَ موقعَ رأيهِ فيها، فوقع ابن الزيات على رقعته: قرأتُ هذه الرقعة المذمومة، وسوقُ السُّعاة تكسدُ عندنا، وألسنهم تكِلُّ في أيامِنا، فاحمل الناسَ على قانونك، وخُذْهُمْ بما في ديوانك، فلم ترد الناحية لكشف الرسوم العافية، ولا لتحيي الأعلامَ الداثرة، وجنبني وتجنب قول جرير:(٢).

وكنتَ إذا حَلَلْتَ بدارِ قومٍ رحَلْتَ بخِزْيَةٍ وتركتَ عارا

فأجْرِ الأمْرَ على ما يُكسبُنا الدعاء لنا لا علينا، واعلمْ أنَّها مدَّةٌ تنقضي، فإمَّا خزْيٌ طويل، وإمَّا ذِكْرٌ جميلٌ(٣).

٥ــ كان محمد بن المدبر، وأحمد بن إسرائيل، وسليمان بن وهب، في حبس الواثق، فلما توفي الواثق وخلفه المتوكل هربوا، ثم كتبوا إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فلما وصلت الرقعة وقع على ظهرها: لـمَ استخفيتم؟ وليس منكم إلا من عنايتي تخصه، ورأيي فيه جميل، أمَّا أبو أيوب(٤)، فقد تكلم في حقه أبو منصور إيتاخ(٥) واستوهبه فوهب له، وأمرتُ بإحضاره ليُخلَعَ عليه، فليحضر، وأما أبو جعفر(٦) فإنه طولب بما لا يلزمه، وقد وضحتْ حجته في بطلانه، فليصرْ إليَّ، وأما أبو

(١) وفيات الأعيان ٥/١٠٢.
(٢) ديوان جرير ٢/٨٨٧.
(٣) التذكرة الحمدونية ٣/١٥٥ــ١٥٦، نهاية الأرب ٣/٢٩٠.
(٤) كنية سليمان بن وهب.
(٥) إيتاخ: غلام تركي كان يعمل طباخاً، اشتراه المعتصم وصيَّرهُ قائداً من قواد جيشه، ووكل إليه عدداً من المهمات الجليلة، ولاه اليمن، ثم ولي الحجاز، ودُعي له على المنابر، غضب عليه المتوكل فقتله سنة ٢٣٥ هـ (تاريخ الطبري، وابن الأثير حوادث سنة ٢٣٥هـ).
(٦) أبو جعفر: كنية أحمد بن إسرائيل.

الحسن(1) فإنه قُذف بباطل، فاظهروا جميعاً واثقين بما عندي من حياطتكم ورعايتكم(2).

٦ـ كان أبو تمام حبيب بن أوس لما مدح أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات بقصيدته التي أولها:

لهان علينا أن نقولَ وتفعلا ونذكر بعضَ الفضلِ منكَ وتفضلا

وهي أحسن شعره، وقَّع ابن الزيات على ظهرها:

رأيْتُكَ سَمْحَ البيعِ سهلاً وإنَّما يُغالَى إذا ما ضنَّ بالشيءِ بائعُهْ

فأمَّا إذا هانتْ بضائعُ بيعِهِ فيوشكُ أن تبقى عليه بضائعُه

هو الماءُ إنْ أجْمَمْتُهُ طابَ وِرْدُهُ ويفسُدُ منه أنْ تُباحَ مشَارِعهْ(3)

٧ـ كتب أبو تمام الطائي رقعةً إلى محمد بن عبد الملك الزيات يسأله فيها مُحالاً، وكتب على عنوانها (حبيب) فأخذه محمد ونَقَطَهُ، فصارتْ (خبيث)(4).

٨ ـ كتب إليه إبراهيم بن العباس الصولي رُقْعَةً يستعطفه فيها بعد أن نكبه، وفي آخرها:(5)

وكنتَ أخي بإخاءِ الزمان فلما نبا صِرْتَ حَرْباً عَوانا

وكنتُ إليكَ أذمُّ الزمـا نَ فأصبحتُ فيكَ أذُمُّ الزمانا

وكنتُ أُعِدُّكَ للنائباتِ فها أنا أطلبُ منكَ الأمانا

فوقع ابن الزيات في آخرها: ارجَعْ مذموماً، لا حاجة بنا إلى أُخوَّتكَ، ولا صداقَتِكْ، ولا للاستعانةِ بِكَ:

(1) أبو الحسن: هو أحمد بن المدبر.
(2) الفرج بعد الشدة ٢ / ٢٥٩ ـ ٢٦١ .
(3) زهر الآداب ٢ / ٣٩٢ ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق ٤ م١ / ١٧٦ وانظر الديوان ق ٨٨.
(4) نثر الدر ٥ / ٢٦٢.
(5) الرقعة والأبيات في جمهرة رسائل العرب ٤ / ٣٩ ـ ٤٠.

إذا ما بدأتَ امرأً جاهلاً ... ببرٍّ فقصَّرَ عن حَمْلِه

ولم تُلْفِه قائلاً للجميلِ ... ولا عارفَ العِزّ من ذُلِّه

فسُمْهُ الهَوانَ فإنَّ الهَوانَ ... دواءٌ لذي الجَهْلِ من جَهْلِه

وحسبُكَ ما أخلدتَ إليه ضَعَةً ونَقْصاً، وفي كفايةِ اللهِ غنى عنكَ(١).

٩ـ حُكي عن أحمد بن المدبر أنه قال: كنتُ أكتبُ لمحمد بن عبد الملك الزيات على الجيش، واحتيجَ إلى توجيهِ بعض القواد في أمر مهم، فعملتُ باستحقاقه ورجاله عملاً مُفَصَّلاً، ثم أجملتُ التفصيلَ، فغلطتُ فيه، وصككتُ به، وحُمِلَ المالُ إلى القائد وقبضهُ وشخصَ، ثم رجعتُ إلى العمل فتتبعته فوقعتُ على الغلط، فاستحييتُ من محمد بن عبد الملك، فجلستُ ثلاثةَ أيام، فوجَّهَ إليَّ فاسْتحضرني، فكتبتُ إليه أصدقُهُ عن القصةِ، وأعترفُ بالخطأ، وأعلمتُهُ أنَّ الحياءَ منعني من الحضور، وأُحكمهُ على نفسي في العقوبة، فوقَّعَ إليَّ: لا جُرْمَ لكَ فيما لم تتعَمَّدْ، فارجعْ إلى مكانك، وتحَرَّزْ من وقوعِ ما كان منك(٢).

---

(١) إعتاب الكتاب ص١٤٧ ـ ١٤٨، والأبيات في الديوان ق ١٢٩.

(٢) إعتاب الكتاب ص ١٥٧.

ديوان محمد بن عبدالملك الزيات

تحقيق

الدكتور يحيى الجبوري

الأستاذ بجامعة آل البيت

ديوان محمد بن عبد الملك الزيات

ذكر الأقدمون أن لابن الزيات ديواناً، قال ابن النديم : إن ديوانه خمسون ورقة[١]، ووصف ابن العماد الحنبلي ديوانه بأنه رائق: «وله ديوان شعر رائق»:[٢]، ولم يصل ديوانه الذي ذكره ابن النديم ، ولكن هناك نسخة من ديوانه بخط حديث في دار الكتب المصرية رقم ٦٨ أدب ش ، تقع في إحدى وأربعين ورقة، قياس ٢٤ سم، ونسخة أخرى بالخط والقياس نفسه في مكتبة تيمور باشا بدار الكتب المصرية، ويبدو أن الأولى منسوخة عن الثانية، وصورة هذه النسخة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ٢٥٤ .

وكان أستاذنا المرحوم الدكتور جميل سعيد، قد نسخ ديوان ابن الزيات من مكتبة تيمور، وهي نسخة أنيقة بخط حديث، ولكنها ـ والكلام للدكتور جميل سعيد ـ: (قد حشيت بالأغلاط حشواً، وزاد في عسر الاهتداء إلى الصواب منها أنني كنت أقرأ فلا أدري أين موطن التصحيف والخطأ، لأن الكاتب قد رسم الحروف واضحة حتى لم يدع مجالاً لشك القارىء في كلمة بذاتها، وهكذا رأيت هذه الكتابة الجميلة الواضحة قد أشاكت طريق الصواب عليَّ)[٣].

وقد اجتهد الدكتور جميل سعيد في إصلاح النص، ورأى أن هذا الشعر لا يمثل حياة ابن الزيات كاملة، وربما كان له شعر غير هذا لم يجمعه جامعه ، وأن بعض القصائد لم تنسجم أبياتها، ولعله قد سقطت منها أبيات أحدثت هذا الخلل، أو أنه قد أُخِلَّ بترتيبها، وقد نشر الدكتور جميل سعيد الديوان بعنوان (ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات) وطبعته مطبعة نهضة مصر بالفجالة سنة ١٩٤٩م، مع مقدمة عن حياة الشاعر تقع في ست صفحات، مع زيادات في آخر الديوان عن كتاب

---

(١) الفهرست ص١٩١ ط طهران.
(٢) شذرات الذهب ٣ / ١٥٥ .
(٣) مقدمة الديوان ص أ ـ ب .

الأغاني، هي عشرة أبيات من ثلاث قطع، وقد رتب القصائد حسب الحروف الهجائية للقافية، ولكنه جعل القافية المنتهية بهاء أو ها في حرف الهاء، مع أن حرف القافية الذي التزمه الشاعر هو الحرف الذي يسبق الهاء، فالباء في مثل (عجائبه، مآربه)، والتاء في مثل (عدمته، صرمته)، والراء في مثل (أعذره ، تقهره)، و الراء مع ها في مثل (عذيرها، درورها، أديرها) فالهاء في مثل هذه القوافي ليست أصلية، وإنما هي ملحقة بحرف القافية الذي يسبقه. وليس في هذا الشعر تخريج وتوثيق في المصادر، ولو خرَّج الشعر لوجد لابن الزيات شعراً كثيراً في كتب التراث لم يحوه الديوان، وقد سقطت من مطبوعة الديوان ثلاث قطع موجودة في الأصل المخطوط، هي في هذا الديوان بترقيمنا، الرقم: ٦٩، ١٢٥، ١٢٨.

وقد مضى على صدور الديوان أكثر من نصف قرن، وأصبح نادراً، ولابد من تحقيقه وإعادة نشره بعد هذه السنين الطوال، وكنت خلال قراءتي في كتب التراث، عند الترجمة لابن الزيات ـ باعتباره من شعراء المحن ـ أقف على قطع وقصائد لم يحوها الديوان، وقد تجمعت لدي مجموعة لا بأس بها من شعر ابن الزيات الذي خلا منه ديوانه، ولذلك عمدت إلى تحقيق الديوان وإخراجه بالشكل العلمي المطلوب.

عملي في الديوان:

١ ـ أعدت تنظيم الديوان، ورتبته وفق حروف القافية، وجعلت الحرف المتصل بهاء أو ها هو الحرف الذي يسبق الهاء المضافة، ورتبت حركة القافية فقدمت المضموم ثم المفتوح ثم المكسور فالساكن، فما اتصل بهاء فما اتصل بها.

٢ـ رقمت القصائد (وقد تكون قطعة أو بيتين) لكل قصيدة رقم، ويشار في الدراسة إلى رقم القصيدة، ورقمت الأبيات في كل قصيدة أو قطعة.

٣ ـ ضبطت الشعر بالشكل الكامل تقريباً، وحرصت على ضبط الكلمات التي تلتبس أو يقع فيها الوهم.

٤ ـ بيَّنْتُ بحور الشعر.

٥ ـ خرَّجت القصائد والمقطوعات من مصادر التراث الأدبية والتاريخية وغيرها

بالقدر الذي أتيح لي، وكان التخريج قد صحح وصَوَّب كثيراً من القراء ات التي كانت مصحفة أو محرفة.

٦ ـ قابلت الروايات في المصادر علي رواية الديوان، وأثبتُّ الخلاف.

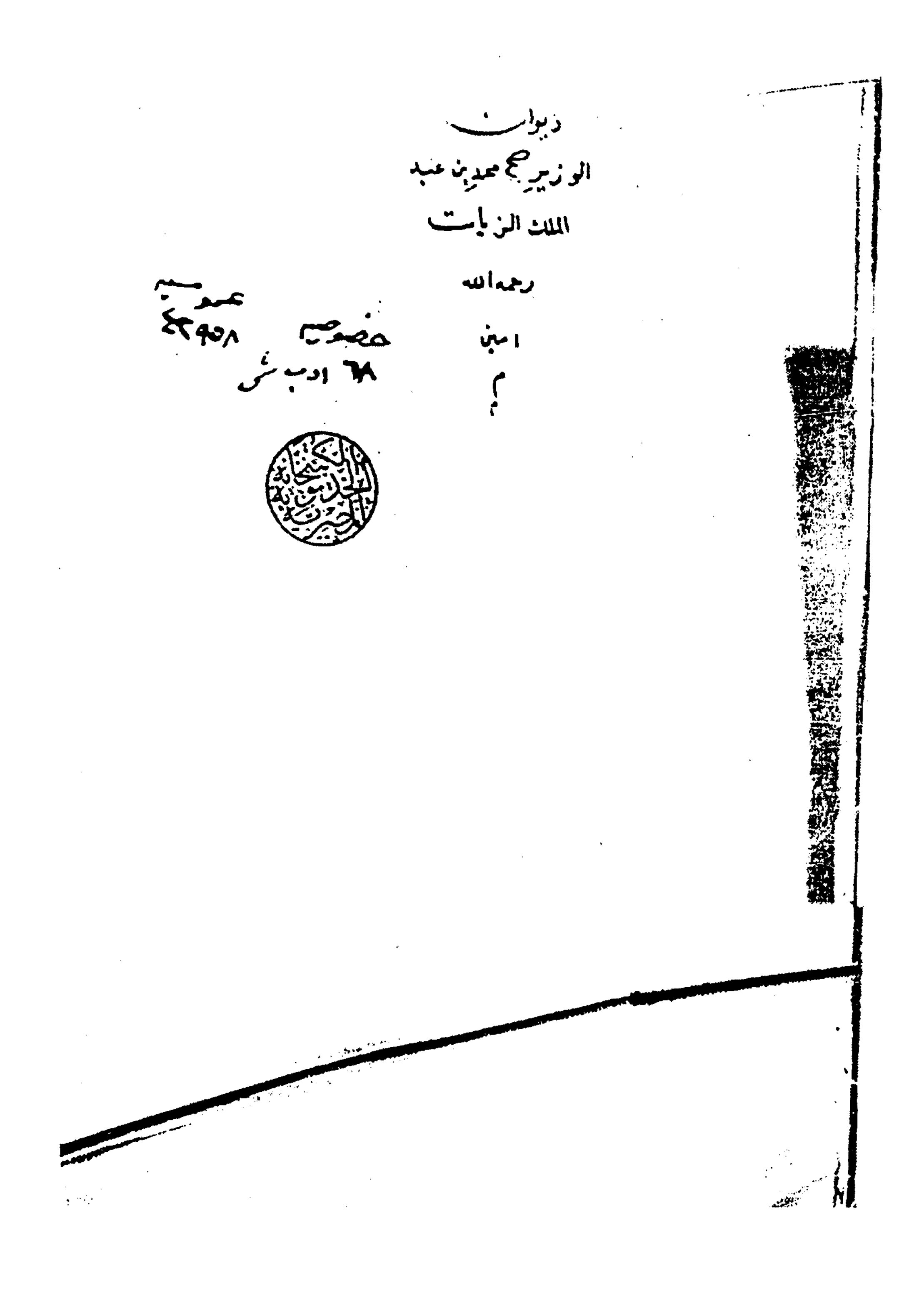
٧ـ استدركت على الديوان المطبوع حوالي سبعة وسبعين بيتاً ، وأدخلت المستدرك ضمن الديوان حسب ترتيب القوافي، لأن أصل الديوان وفق مخطوطة كتبت حديثاً ولا يعرف لها أصل معتمد، وإن كان هناك إشارة في الورقة ٢٤ من المخطوطة تشير إلى أن جامع الديوان أخذ من (اختيار الجاحظ، ومن كتاب أبي الحسين الخصيبي).

٨ ـ شرحت الألفاظ التي تحتاج إلى شرح ، وترجمت للأعلام، وبيَّنت مناسبة القطعة أو القصيدة، وما جاء حولها من خبر في المصادر.

٩ـ اجتهدت في توجيه البيت الذي فيه كلمات ناقصة أو محرَّفة اجتهادات وفق ما يقتضيه المعنى والسياق ، ووضعت ذلك بين معقوفتين.

وأرجو أن أكون قد وفِّقْتُ في إخراج هذا الديوان بالشكل الذي يرضي العلم والعلماء، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

صور من الأصل المخطوط



صورة الغلاف وفيه عنوان الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن عبد الملك الزيات يمدح الحسن بن سهل

كأنها حين تناءى خطوها ... أخنس موشي الشوى يرعى القلل

بات له من شرطي ليلة ... جادت عليه سبلا بعد سبل

ألجأه الليل إلى حقف نشزى ... وفيه صرذات حتف ووجل

يدعو بظلافه ترابها بلا ... يخلط ريّا ونقرا بعجل

يشرف أعلاه وطورا ينتحي ... العرق بالسن فما شاء فعل

حتى إذا الليل تعرّى ثوبه ... عنه غدا ينفض عطفيه البلل

كأنه مدرع قبطية ... معتجر بعضها أو مشتمل

فجال يقرو أحصبا أطاعه ... ثوا إليهما كمين نجاج زجل

إن يسترب نبأة يبعث لها ... طليعة ينفض أطراف السبل

من أذنين يطيي سمعها ... من السكون حركات تحتمل

فارتاع من قصف براعين به ... شوازب مثل قدام المشتعل

يسعى بها أطلس عار متبذل ... ليس براعي غنم ولا إبل

يرمي بها العبطات كالسيد الموك ... يشبه ما يشبهه غير الرجل

فاكتنفته فجأة يقدمها ... فاحتفلت في شدها ثم احتفل

حتى إذا كادت تنلت مهولة ... عزيمة منه وجد لم يزل

فجال فيها جولة معترضا ... فاختل بالروقين أتراب الأول

كأنه إذا فارس يحتمي ... للقرن طعنا بهز معتدل

صورة الصفحة الأولى من الديوان

غادرها تكبو على انوفها   روا ديا وانقض كالنجم المول
هاتيك بعد الاين والاين وقد   طال بها الارقال لا البول المدل
الى الوزير الحسن استنجد تها   الى مناخ ومزار ومحل
اى مزار ومناخ ومحل   لخايف او مشتريش ذى امل
دعامة الملك وحيث اعتمدت   اركانه والحرز من ريب الدول
سيف امير المؤمنين المنتضى   وحصن ذى الرياستين المعتقل
من عصبة انقذنا الله بها   وثبت الاسلام من بعد الزلل
طلبة الامال مع الفرغ لها   غصنان يهتزان فى ركن جبل
حفا فى الملك ند ودان معا   من حرمة الدين وميراث الرسل
اقسم بالله يمينا برة   والعيس تجتاب اليباب المنقل
لتى لك القول الذى يشفى العمى   ورايك الراى به قام الميل
انتم يد الملك التى صال بها   خليفة الله على حين وهل
وهضبة الدين وانصار الهدى   وعصمة الحق وفرسان الفضل
وباذلوا الخير لما يسئلوا   وباذلوا الخير اذا الخير سئل
وموقدوا الحرب لدى اطفائها   ومطفئوها وهى ترمى بالشعل
ابا ؤلك الغر الاولى جدهم   كسرى انوشروان بن ووثن الاسل
من كل ذى تاج اذا هم مضى   قدما لما هم وان قال فعل
فاين لا اين واين مثلكم   وانتم الاملاك والناس خول
وقال يهجو ابراهيم بن المهدى :.

صورة الصفحة الثانية من الورقة الأولى

يوم البذندون لا انها جاءتك في يوم البذندون

وقال ايضا في تلك الغزوة في نوفلس عظيم الروم

اسلم المدن والحصون ولا يحسب الموت تحت كل بنيام
صنع الحزم عام اول لكن جمع الحزم كله في العام

وقال ايضا فيه

ما كان اعنانك منهم خلق به فينا يخاطب قلبا كله دام
لانت في عامك الماضي اقربنا عينا وانعم بالا منك في العام

وقال ايضا في سبي عموريه

كم قطعنا من البلاد وكم جبنا طباقا موصولة بطباق
تشتكي خيلنا السنابك مما عضهن الوجى وبعد السياق
عقبات صور الظبا فكم صك طلاق يحملنه وعتاق
تقبح الحرة الكريمة قد آذن منها حليلها بفراق
املت عقبة التلاق ولم تدر بان الفراق عاق التلاق

وقال ايضا في عماس

رب من اهدى لنا شغلا لم يحق الا به الشغل
دائبا يسعى لينفعها بحذاها ينقص الدول

مضى ما اخذ من اختيار الجاحظ ومن كتاب
ابي الحسين الخصيبي قال محمد بن عبد الملك في المال
الذي كان المامون فرقه ببلاد الروم ∴ ∴ ∴ ∴

صورة من الورقة ٢٤

وفيها مصدر جامع الديوان

نعم الخليفة للرعية من اذا رقدت وطاب لها الكرى لم يرقد

وقال يرثى الواثق وقد توفى سنة اثنين وثلاثين

سقيا لقبرك الهاطل المسبل وجادت لك الديم الحفل

واسكنك الله خلد الجنان وجاورك المصطفى المرسل

فقد بنت منا على حاجة وهل يدفع القدر المنزل

وقال هو فى التنور الذى عذب فيه وكان اتخذه يعذب به

بعض الكتاب فعذب فيه ومات وهو اخر ما سمع منه

هو السبيل فمن يوم الى يوم كانه ما تريك العين فى النوم

لا تعجلن رويدا انها دول دنيا تنقل من قوم الى قوم

تم شعر محمد بن عبد الملك

الزيات باسره وصلى الله

على سيدنا محمد وعلى اله

وصحبه

وسلم



صورة الورقة الأخيرة من الديوان

وفيها ختام الديوان

مخطوطة ديوان ابن الزيات:

أصل المخطوطة محفوظ بدار الكتب المصرية رقم ٦٨ ش أدب، وصورة عنها بمعهد المخطوطات ـ جامعة الدول العربية تحت رقم ٢٥٤ أدب .

عدد أوراق الديوان ٤١ ورقة قياس ١٧X ٢٤ سم، خطه نسخ حديث جميل ومتقن، كتب حديثاً.

يخلو الديوان من الشكل خلواً تاماً، بعض الكلمات غير معجمة أو يكون إعجامها غير صحيح ، فقد تكون الياء تاءً أو نوناً، وقد تكون العين غيناً أو فاء أو قافاً.

يكثر في المخطوطة التحريف وسقوط بعض الكلمات، ويبدو أن الناسخ كان ـ على الرغم من جودة خطه ـ قليل الإلمام بالشعر لأنه نسخ بعض الأبيات أو الأشطر غير موزونة، سواء أكان ذلك بسبب النقص والحذف أم بسبب التحريف، وكثيراً ما يثبت بعض الحروف التي تحذف في الشعر لإقامة الوزن مثل التاء في (يستطيع) فتصبح (يسطيع) وبها يستقيم الوزن.

في نهاية كل صفحة على يمين الورقة تعقيبة للكلمة الأولي التي ترد في بداية الصفحة التي تليها.

لم يرتب الديوان حسب القوافي، بل رتبه حسب الموضوعات، ولكنه ترتيب غير دقيق، إذ يتداخل المدح مع الهجاء مع العتاب مع الغزل وغير ذلك، وقد يتكرر الموضوع في غير موضع، ولذلك اجتهدت ترتيب الديوان حسب القوافي.

في الصفحة أ من الورقة ٢٤ وهو أكثر من نصف الديوان تقريبا، يشير جامع الديوان إلى مصدره، قال: (مضى ما أُخذ من اختيار الجاحظ، ومن كتاب أبي الحسين الخصيبي).

جاء في صفحة الغلاف:

(ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات رحمه الله آمين)

وبجنب كلمة الوزير كلمة (صح).

يبدأ الديوان بعد البسملة بقوله:

(قال محمد بن عبد الملك الزيات يمدح الحسن بن سهل:

كـأنـهـا حـين تنـاءى خَطـوَهـا أخنس موشـيُّ الشَّوى يرعى القُلَلْ)

وينتهي الديوان في الورقة الأخيرة بقوله:

(وقال وهو في التنور الذي عذب فيه، وكان اتخذه يعذب به بعض الكُتَّاب، فعذب فيه ومات وهو آخر ما سمع منه:

هـو السبيل فمن يوم إلى يوم كأنه ما تريك العينُ في النوم

لا تعجلنَّ رويـداً إنـهـا دول دنيا تَنَقَّلُ من قوم إلى قوم)

وبعد ذلك:

(تجز شعر محمد بن عبد الملك الزيات بأسره، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، آمين).

(حرف الألف)

(١)

قال في قاضي جَبُّل: (الوافر)

١- قضى لمُخاصِمٍ يوماً فلمَّا أتاهُ خَصْمُهُ نقَضَ القضاءا

٢- دنا منكَ العدوُّ وغِبْتَ عنه فقال بحكمِه ما كانَ شاءا

(٢)

قال في حصر نسب يحيى بن معاذ، وأراد جمعه ببيتين، وكان ينساه كثيراً: (*)

(المديد)

١- من يكنْ رامَ حاجةً بَعُدَتْ عنهُ وأعيتْ عليهِ كلَّ العَيَاءِ

٢- فلها أحمدُ المُرجَّى بنُ يحـ ـيى بنِ معاذِ بنِ مسلمِ بنِ رجاء

(٣)

وقال أيضا [في المعتصم بالله]: (*) (المديد)

١- جمعَ اللهُ للخليفةِ ما كا نَ حَواهُ لسائرِ الخلفاءِ

(١)

* البيتان في الدر الفريد ٢ / ٣٢٨.

قال: «يقال في الأمثال: أجهل من قاضي جَبُّل، وجبُّل مدينة من طسوج كسكر على شاطيء دجلة، وهذا القاضي قضى لخصم جاءه وحده، ثم نقض حكمه لما جاءه الخصم الآخر، فقال فيه محمد بن عبد الملك الزيات: قضى لمخاصم... البيتان»، وانظر سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٨٤ طبعة مؤسسة الرسالة.

(٢)

* البيتان في الأصل المخطوط (وسنشير إليه بكلمة: الأصل).

(٣)

* الأبيات في الأصل المخطوط.

١- المعتصم: محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي، بويع بالخلافة سنة ٢١٨هـ، كان قوي الجسم وكره التعليم في صغره، فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أمياً، وهو فاتح عمورية وباني سامراء حين ضاقت بغداد بجنده الأتراك، توفي سنة ٢٢٧هـ. (تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٢

٢ــ فهو منصورُهمْ إذا ذُكِرَ الحَزْ مُ ومَهْـديُّـهُـمْ لفَضْـلِ السَّخَـاءِ
٣ــ والرشيـدُ الـذي يُنَكَّـرُ حتَّى كشَفَ اللـهُ عنـهُ كـلَّ غِطـاءِ
٤ــ ولـهُ من أبيهِ سُؤْدَدُهُ العالي علـى كُـلِّ سُـؤْدَدٍ وسَنَـاءِ
٥ ــ ومُساماتُـهُ الأمورَ ولو كـا نتْ جبالاً فروعُها في السَّماءِ
٦ــ ولـهُ بعدَ ذاكَ ما خصَّهُ اللـ ـهُ بـهِ مـن مَهَـابةٍ وبَهَـاءِ
٧ ــ أسْألُ اللـهَ للخليفـةِ صُنْعَاً دائـماً نامِيـاً وطُـولَ بقـاءِ
٨ ــ جمعَ الوُدَّ والـمَهَـابَةَ في النا سِ ببُعْـدِ المَدى وقُرْبِ اللِّقـاءِ

(٤)

وقـال لما بلغه نعي أبي تمـام حبيب بن أوس الطائي : (الكامل)

١ــ نبـأٌ أتـى مـن أعظـمِ الأنْبـاءِ لَمَّـا ألَـمَّ تقَلْقَلَتْ أحشائـي
٢ــ قالوا حبيبٌ قد ثـوى فأجبْتُـهمْ ناشدْتُكمْ لا تجعلـوه الطـائي

و٦/١٤٨–١٧٩، مروج الذهب ٢/٢٦٩ – ٢٧٨، الأعلام ٧/١٢٨).

٥ــ المساماة : من قولك : ساماه في الأمور إذا عالاه وباراه .

(٤)

* البيتان في الأصل، والبيتان في معاهد التنصيص١/٤٢ .

قـال : ورثاه (أي أبا تمام) الوزيرُ محـمـد بن عبـد الملك الزيات، وزير المعـتـصم، بقـوله، وهو يومئذ وزيـر، وقيل إنها لأبي الزبرقان عبد الله بن الزبرقان الكاتب، مولى بني أمية .

١ــ معاهد التنصيص : (لما ألَـمَّ مقلقِلُ الأحشاءِ).

(حرف الباء)

(٥)

وقال في برذَون أشهب كان المعتصم أخذه منه، وكان أحمد بن خالد حيلوَيْه ذكره له ووشى به إليه فيه: (*)

(الكامل)

١ـ قالوا جَزِعْتَ فقُلْتُ إنَّ مصيبةً　　جلَّتْ رزيَّتُها وضاقَ المَذْهَبُ

٢ـ كيفَ العزاءُ وقد مضى لسبيلِهِ　　عنَّا فودَّعَنا الأحَمُّ الأشْهَبُ

٣ـ دبَّ الوُشاةُ فباعدوهُ وربَّما　　بَعُدَ الفتى وهو الحبيبُ الأقربُ

٤ـ للهِ يومَ غدوتَ عنِّي ظاعِناً　　وسُلِبْتُ قُرْبَكَ أيَّ عِلْقٍ أُسْلَبُ

---

(٥)

* القصيدة في الأصل، والأبيات ٢ ـ١٣ في الأغاني ٢٣ / ٦٥، والأبيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٥، ١٦، ٢١، ٢٢ وزهر الآداب ٢ / ٥٢١ و٢ / ٤٨٧، ط٣ المكتبة التجارية. ضبط وتحقيق د. زكي المبارك، ومحمد محيي الدين عبدالحميد.

في زهر الآداب ٢ / ٥٢١. قال أبو الفرج الأصفهاني: أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد، قال: كان لمحمد بن عبد الملك برذون (*) أشهب، لم يُرَ مثلُه فراهة وحسناً، فسعى به محمد بن خالد حيْلَويه إلى المعتصم، ووصف له فراهته، فبعث المعتصم إليه فأخذه منه، فقال محمد بن عبد الملك يرثيه.

(*) البرذون ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب، عظيم الخلقة غليظ الأعضاء، والجمع: براذين. الفراهة: القوة والنشاط.

١ـ قال أبو بكر: هكذا أنشدنيه ابن المعتز على أن (إنَّ) بمعنى نعم، وأنشد النحويون:

قالوا كبرتَ فقلتُ: إنَّ وربَّما　　ذكر الكبيرُ شبابَهُ فتطَرَّبا (زهر الآداب ٢ / ٥٢١).

وتقدير الكلام من بيت ابن الزيات: فقلت: نعم، هذه مصيبة عظمت رزيتها.

٢ـ الأحم: الأسود، والأشهب الذي في لونه شهبة، أي الذي خالط بياض شعره سواد.

٣ـ الأغاني: (دب الوشاة فأبعدوك.... وهو الأحب الأقري).

٤ـ في الأصل: (أي علو أسلب)، الأغاني: (لله يوم نأيت عني ظاعنا).

العِلْق: النفيس من كل شيء.

٥- نفسي مقسَّمةٌ أقامَ فَريقُها ... وغَدا لِطيَّته فريقٌ يُجْنبُ
٦- الآنَ إذْ كَمُلَتْ أداتُكَ كلُّها ... ودعا العيونَ إليكَ لونٌ معجبُ
٧- واختيرَ من سرِّ الحَدَايدِ خَيْرُهَا ... لك خالصاً ومن الحُلِّيِّ الأقْرَبُ
٨- وغدوتَ طنَّان اللِّجامِ كأنَّما ... في كلِّ عُضْوٍ منكَ صَنْجٌ يُضْرَبُ
٩- وكأنَّ سَرْجَكَ إذْ علاكَ مَهابةً ... وكأنَّما تحتَ الغَمامَة كوكَبُ
١٠- ورأى عليَّ بكَ الصديقُ مهَابةً ... وغدا العدوُّ وصدْرُهُ يتَلهَّبُ
١١- أنساكَ! لا بَرِحَتْ إذنْ منْسيَّةً ... نفسي ولا زالتْ بمثْلكَ تُنْكَبُ
١٢- أضْمَرْتُ منكَ اليأسَ حين رأيتني ... وقُوَى حبالكَ من قُوايَ تُقَضَّبُ
١٣- ورَجَعْتُ حينَ رجعْتُ منكَ بحَسْرةٍ ... للّهِ ما صَنَعَ الأصَمُّ الأشْيَبُ
١٤- فلتَعْلَمَنَّ ألاَّ تزالَ عداوةٌ ... عندي مُرَيَّضةً وثأرٌ يُطْلَبُ
١٥- يا صاحبيَّ لمثلِ ذا من أمرِهِ ... صَحِبَ الفتى في دَهْرِهِ مَنْ يصْحَبُ

٥- الأغاني: (نفس مفرقة).

يجنب: أي يتباعد.

٦- في الأصل: (إليك ربي معجب) والتصويب من مختارات البارودي.

الأغاني: (فالآن إذ كملت)، زهر الآداب: (إليك حسن معجب).

٧- في الأصل: (الحلي الأقرب) وجعلها جميل سعيد (الحلي الأغرب) اجتهادا منه.

٨ - في الأصل: وغدوت ظنان... في كل عصر منك صبيح).

١٠- الأغاني: (بك الصديق جلالة).

١١- زهر الآداب: (.. لا زالت إذاً منسيةً نفسي ولا بَرِحَتْ بمثلك تُنْكَبُ).

الأغاني: (لا زالت إذاً منسيةً نفسي ولا زالت يميني تنكب).

١٢- الأغاني: (وقوى حبالي من قواك تقضب)، زهر الآداب: (وقوى حبالي من حبالك تقضب). تقضَّب: تقطَّعُ.

١٣- الأغاني: (لله ما فعل الأصم الأشيب).

الأصم الأشيب: يريد به محمد بن خالد حيلويه الذي رغَّبَ المعتصم بأخذ البرذون.

١٦- إنْ تُسْعِدا فصنيعةٌ مشكورةٌ أو تَخْذُلا فصَنيعَةٌ لا تذْهَبُ
١٧- عوجا نُقِّضَّ حاجةً وتجَنَّبا بَثَّ الحديثِ فإنَّ ذلك أعجَبُ
١٨- لا تُشْعِرا بكما الأصَمَّ فإنَّهُ وأبيكما الصدعُ الذي لا يُرأبُ
١٩- أو تطويا عنهُ الحديثَ فإنَّهُ أدْنى لأسبابِ الرشادِ وأقربُ
٢٠- لا تُشْعِراهُ بنا فليسَ لذي هوىً نشكو إليهِ عندَهُ مُسْتَعْتَبُ
٢١- وقفا فقولا مرحباً وتزوَّدا نظراً وقَلَّ لمنْ يُحبُّ المَرْحَبُ
٢٢- مَنَعَ الرُّقادُ جويً تضَمَّنَهُ الحَشَا وهوىً أكابدُهُ وَهَمٌّ مُنْصِبٌ
٢٣- وصَبَا إلى الحانِ الفؤادُ وشاقَهُ شخصٌ هناكَ إلى الفؤادِ مُحَبَّبُ
٢٤- فكما بقيتُ لتُبْقَيَنَّ لذكرِهِ كَبِدٌ مُغَرَّثَةٌ وعينٌ تَسْكُبُ

(٦)

وله أيضاً وهو يُعَذَّبُ في التنور، وقيل إنه آخر ما قاله: (الطويل)

١- تمكَّنْتَ من نفسي فأزْمَعْتَ قَتْلَها وأنتَ رخِيُّ البَالِ والنَّفْسُ تذْهَبُ
٢- كعُصْفورةٍ في كَفِّ طِفْلٍ يسومُها وُرودَ حياضِ المَوْتِ والطِّفْلُ يلْعَبُ

١٦- في الأصل: (أو تخذلوا).
١٧- في الأصل: (عوجا نقضي).
١٨- في الأصل: (لا تشعرا بكم) وما أثبت أنسب.
الصدع: الشق، ورأب الصدع: أصلحه.
٢١- في الأصل: (أو تزودوا). زهر الآداب: (عوجا فقولا مرحباً وتزوَّدا نظراً وقَلَّ لمنْ تُحبُّ المرحَبُ)
٢٢- الجوى: شدة الوجد من حزن أو عشق. زهر الآداب: (.... الحشا ما أكابده....)
٢٤- في الأصل: (لتبقان لذكره) وهو وهم ولا يستقيم به الوزن.
مغرثة: مجوعة، والغرث: الجوع.

(٦)

* الأبيات في المحاسن والمساوىء ص ٥٣٣، والأول والثاني في معجم الشعراء ص ٣٦٦، وأمراء البيان ص ٣٠٦.
١- معجم الشعراء: (على غير عمد منك والروح تذهب).

٣ــ فلا الطفْلُ يدْري ما يسُومُ بكَفِّهِ	وفي كَفِّهِ عُصْفورةٌ تتضَرَّبُ

(٧)

وقال: (*)	(مجزوء الكامل)

١ــ بَرُدَ الماءُ وطابَ الـ	ـليلُ والتَّذَّ الشَّرابُ
٢ــ ومضى عنكَ حَزيْرا	نُ وتَمُّوزُ وآب

(٨)

وقال أيضاً:	(الكامل)

١ــ بَعُدَ القريبُ وأعوزَ المطلوبُ	وعَدَتْكَ عنهُ حوادِثٌ وخُطوبُ
٢ــ ومُنيتَ من بُعْدِ الحبيبِ بعاذلٍ	يلحى ويَعْجَبُ أنْ يَحِنَّ كئيبُ
٣ــ قالوا أساءَ حبيبُهُ فأجَبْتُهمْ	إنَّ الحبيبَ وإنْ أساءَ حبيبُ
٤ــ إنَّ المُحِبَّ وإنْ أقامَ بأهْلِهِ	ما لم يكنْ فيمنْ يُحِبُّ غَريبُ

(٩)

وقال أيضاً:	(الطويل)

١ــ سلامٌ على الدارِ التي لا أزورُها	وإنْ حَلَّها شخصٌ إلَيَّ حبيبُ

٣ــ تتضرَّب: تتحرك وتموج من شدة العذاب.

(٧)

* البيتان في مروج الذهب ٢/٣٣٦.

(٨)

* الأبيات في الأصل.
٢ــ العاذل: اللائم، يلحى: يلوم ويعذل، فهو لاحٍ وهي لاحية.

(٩)

* الأبيات في الأصل.

٢ـ وإنْ حَجَبَتْ عن ناظريَّ ستورُها هوىً تَحْسنُ الدنيا به وتَطيبُ
٣ـ هوىً تَحْسُنُ اللذاتُ عندَ حضُورِه وتَسْخُنُ عينُ اللَّهْوِ حينَ يغيبُ
٤ـ تَثَنَّى بهِ الأعْطافُ حتّى كأنَّهُ إذا اهْتَزَّ من تحت الثيابِ قضيب
٥ـ رضيتُ بسعي الوهْمِ بيني وبينها وإنْ لم يكنْ للعينِ فيهِ نصيب
٦ـ مخافةَ أنْ تُغْرى بنا ألسنُ العِدا ويطمعَ فينا عائبٌ فَيَعِيبُ
٧ـ كأنَّ مجالَ الطَّرْفِ من كُلِّ ناظرٍ على حركاتِ العاشقينَ رقيبُ

(١٠)

وقال يرثي أبا تمام: (الوافر)

١ـ إلا للهِ ما جَنَتِ الخُطوبُ تُخُرِمَ من أحِبَّتِنا حبيب
٢ـ فباتَ الشعرُ من بعد ابن أوسٍ فلا أدبٌ يُحَسُّ ولا أديبُ
٣ـ وكنتَ ضريبَ وحدِكَ يا ابنَ أوسٍ وهذا الناسُ أخلافٌ ضروب
٤ـ لئنْ قطَعَتْكَ قاطِعَةُ المنايا لَمِنْكَ وفيكَ قُطِّعَتِ القلوبُ

٣ـ سخنت عينه: نقيض قرَّت، وسخنت كناية عن البكاء والحزن، ودموع الحزن ساخنة، ودموع الفرح باردة.

٥ـ سعي الوهم: كذا في الأصل، والوهم: ما يقع في الذهن من الخاطر. ولعله: سعي الدهر.

٦ـ تغرى بنا ألسن العدا: تولع في الإيقاع والإفساد، وأغرى العداوة: ألقاها.

(١٠)

* الأبيات في أخبار أبي تمام للصولي ص ٢٧٧.

١ـ تخرم: أخذته المنية، وفني وهلك.

٣ـ ضريب وحدك: أي لا مثيل لك.

(١١)

وقال في هجاء أحمد بن أبي دُوَاد :(*) (مجزوء الوافر)

١ـ تأيَّـدَ وادَّعَـى القُـرْبـا   وأثْـرى واستفـادَ أبـا
٢ـ لِتَـهْـنِكَ دولةٌ حدَثَـتْ   فأحدَثَ عِزُّهَـا نَسَبا
٣ـ صنـائِعُـهُ إلى الأنْــذا   لِ تُخْبِرُ أنَّـهُ كَذَبَــا

(١٢)

وقال أيضا :(*) (المتقارب)

١ـ وكنتُ أخاكَ ترى ما رأيـ   ـتَ ومهما دعوتَ إليـهِ أجابا
٢ـ فلمـا أسأتَ وكنـتَ امـرأً   إذا ما اقترضْتَ نسيتَ الحسابا
٣ـ ثنى قدماً صاعداً واطمـأنْ   نَ بأُخـرى وقـالَ لعـلَّ العِتابا
٤ـ فلمَّـا أبيـتَ إبـاءَ الحـرون   ثـنى أُختَهـا فتبَـوَّ ا السحابــا

---

(١١)

* الأبيات في الأصل .
أحمد بن أبي دُوَاد: من كبار رجال المعتزلة، حظي عند المأمون، وأوصى به أخاه المعتصم فصيَّره قاضي القضاة، وقد بقي واسع النفوذ إلى عهد الخليفة الواثق، فلما علت مكانة ابن الزيات لدى الخلفاء حسده وصار ينافسه ونشبت العداوة بينهما، وهو الذي أخذ الفقهاء بمحنة القول بخلق القرآن ، فُلج آخر عمره سنة ٢٣٣ وتوفي سنة ٢٤٠هـ.
١ـ تأيَّد : أي انتسب إلى إياد، أي أنه دعي وليس عربيا من قبيلة إياد، ويؤكد ابن الزيات هذا في هجائه بقوله :

أبلغ دعيَّ إيادٍ إنْ مـرَرْتَ بـهِ   قولَ امرىءٍ ناصحٍ للهِ والدينِ

(١٢)

* الأبيات في الأصل.
١ـ كذا البيت في الأصل، واجتهد الأستاذ جميل سعيد في طبعته أن جعله : (وكان أخاك يرى ما رأيت) ولكن لا يستقيم نحويا والوجه (وكان أخوك) .
٤ـ الحرون : من حرنت الدابة إذا وقفت ولم تنقدْ، فهي حرون .

٥ـ فكيفَ رأيتَ أخاك الذي أسأتَ بهِ ووجَدْتَ الثوابا

(١٣)

وقال أيضاً: (الوافر)

١ـ ولي طَرْفٌ يُنازِعُني إليها أُحاوِلُ صَرْفَهُ عَنِّي فيابى

٢ـ أُقاتِلُهُ لأصْرِفَهُ قِتالاً ويأبى نحوها إلا ذَهابا

٣ـ فطرْفي هكذا وإذا أرادتْ لتَصْرِفَ طَرْفَها عَنِّي أجابا

٤ـ أحينَ ملكْتَ يا إنسانُ أمْري فتَحْتَ من العَذابِ عليَّ بابا

٥ ـ أدالَ اللهُ منكَ بيومِ صدْقٍ يكونُ لِما سَبَقْتَ به عِقابا

(١٤)

وقال في أحمد بن أبي دُوَاد: (*) (الوافر)

١ـ وقالوا هل رأيتَ أبا دوادٍ فقلت: نعم رأيتُ أبا الحُبَابِ

٢ـ فقالوا: لا عليكَ رأيتَ منهُ كأشبَهِ بالغُرابِ من الغُرابِ

---

(١٣)

* الأبيات في الأصل.

(١٤)

* البيتان في الأصل. أحمد بن أبي دُوَاد بن جرير بن مالك الإيادي أحد القضاة المشهورين من المعتزلة، ورئيس فتنة القول بخلق القرآن، قال الذهبي: كان جهمياً بغيضاً حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن، اتصل بالمأمون والمعتصم وجعله هذا قاضي قضاته، وحظي عند الواثق أيضاً، أصيب بالفالج سنة ٢٤٠هـ وتوفي في بغداد.

(ابن خلكان ١ / ٢٢ تاريخ بغداد ٤ / ١٤١ ـ ١٥٦ ثمار القلوب ص١٦٣ النجوم الزاهرة ٢ / ٣٠٠ الأعلام ١ / ١٢٤).

١ـ الحُباب: كغُراب الحيَّة.

(١٥)

وقال :　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　(الوافر)

١ــ أتعـزفُ أم تُقيـمُ علـى التَّصابي　　　　فقـد كَثُرَتْ مُناقَلَـةُ العِتـابِ
٢ــ إذا ذُكِـرَ السُّلوُّ عــن التصــابـي　　　　نفـرْتَ من اسمـهِ نَفْرَ الصِّعابِ
٣ــ وكيفَ يُلامُ مثْلُكَ في التَّصـابي　　　　وأنـتَ فتـى المَجَانـةِ والشبابِ
٤ــ سأعزفُ إنْ عزَفْتَ عـن التَّصابي　　　　فأغـرتْنـي المـلامـةُ بالتَّصابـي

(١٦)

وقـال أيضـاً :　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　(الخفيف)

١ــ رُبَّ ليـلٍ أمَـدَّ من نَفَسِ العـا　　　　شِقِ طولاً قَطَعْـتُـهُ بانتحابِ
٢ــ ونعيمٍ ألـذَّ مـن وصْلِ معشـو　　　　قٍ تبدَّلْـتُـهُ ببؤسِ العِتــابِ

---

(١٥)

* الأبيات في الأصل . والأبيات مع خامس في العمدة ٢ / ٦٨٩ ، قال : ومن المعيب في التكرار قول ابن الزيات .

١ــ أتعزف : من العزوف ، عزفت نفسه عن الشيء : زهدت فيه . تصابى : مال إلى الصغر والحداثة .

٢ــ الصعاب : جمع الصعب ، وهو نقيض الذلول من الإبل . السلو : النسيان ، وأن تطيب النفس بعد الفراق .

٣ــ المجانة : من المجون وهو قلة الحياء ، وخلط الجد بالهزل ، والميل إلى اللهو .

٤ــ في العمدة صدر هذا البيت مع عجز البيت بعده ، على النحو التالي :

سأعزف إن عزفت عن التصابي　　　　إذا ما لاح شيبٌ في الغُرابِ
ألم ترني عدَلْتُ عن التصابي　　　　فأغرتني الملامةُ بالتصابـي

(١٦)

* البيتان في الأصل . والبيت الأول في العمدة ١ / ٥٠٣ .

١ــ في الأصل : (طولا لا) وهي من وهم الناسخ .

(١٧)

وقال أيضـا: (الطويل)

١ـ وحدَّثْتُ نفسي أنني غيرُ صابرٍ فهـا أنـا ذا لـم أقضِ من إثْرِهـا نحْـبي
٢ـ خليليَّ لم أصدقْ وكانَ سفاهَةً رجوعي بحسنِ الظَّنِّ منها على قلبي
٣ـ فأُقْسِمُ أنْ لو كنتُ أوَّلَ مَيِّتٍ وآخِـرَ مَنشورٍ يَهُبُّ مـن التُّـرْبِ
٤ـ لما كانَ من موتي عليها صَبَابَةً قضـاءً لمـا استَترَعْتُ من ذِمَّةِ الحُـبِّ

(١٨)

* وقال في ابن أبي دواد يُعَرِّض به، وقد أنشدتها قديماً لغيره، ومحله يرتفعُ عن مثلها: (البسيط)

١ـ دبى إلى حُرَمٍ ما كان أحمقَهُ إذْ لم يقُلْ إنَّني من سادةِ العَرَبِ
٢ـ أكانَ أعجَزَ من قومٍ رأيتُهُمُ تَسَوَّروا بعدَ ما شابوا على الحَسب

(١٩)

* وقال أيضـاً: (البسيط)

١ـ يا مَنْ يُمازِحُني في الهَزْلِ بالغَضبِ فـرِّقْ فَدَيْتُـكَ بين الجِـدِّ واللَّعِـبِ

---

(١٧)

* الأبيات في الأصل.

٤ـ في الأصل: (كان موتي من عليها) ولا يستقيم المعنى ولا الوزن.
استترعت: كذا في الأصل، بمعنى امتلأت، ترِع الشيء ونحوه: امتلأ، وترع: عجل وأسرع.

(١٨)

* البيتان في الأصل.

١ـ في الأصل: (وبي في حرم إلى ما كان أحمقه) ولا معنى له.
دبى: أي دبَّ، مشى رويداً، وسرى.

(١٩)

* البيتان في الأصل.

٢ـ إذا اصطلحْنـا مُنِحْنـا بالصّدودِ فمـا　　تنفَكُّ من غَضَبٍ يُفْضي إلى غَضَبِ

(٢٠)

وقال أيضاً في عليٍّ بن عثمـان :　　(المنسرح)

١ـ مـا جَبَـلا طَيِّـيءٍ بأمنَـعَ مـن　　زادِ عليٍّ زَميـلِ صقْـلابِ

٢ـ ذاك امـرؤٌ [إنْ] أرَدْتَ كِسْرَتَـهُ　　جـادتْ لنـا عَيْنُهُ بتَسْبابِ

٣ـ النـاسُ أصحابُـهُ فـإنْ ذِكـروا الـ　　ـخيرَ فليسوا لـهُ بأصحـابِ

٤ـ من يشتري اللَّحْـمَ ثـم يُدْخِلُـهُ　　التَّـنُّورَ والرِّفْقُ بـابُ أبوابِ

٥ـ حتـى إذا بَـلَّ حَـرْفَ كِسْرَتِـهِ　　من دَسَمٍ جـامدٍ ومُنْسابِ

٦ـ خاصَمَ في اللحمِ كي يصحَّ له الـ　　ـرِدُّ قَنوعـاً بريحِ جَوْذابِ

٧ـ مـن لؤْمِـهِ أنَّـهُ إذا مَنَـعَ النـا　　سَ لـوى شِـدْقَـهُ بإغْـرابِ

(٢١)

وقال أيضـاً :　　(مجزوء الهزج)

١ـ لقـد أخطـأتُ فـي حُبِّي　　وفـي تَـكْـرِمَـةِ الكَلْـبِ

٢ـ في الأصل : (فما ينفك) .

(٢٠)

* الأبيات في الأصـل .

١ـ جبلا طيِّيء : أجأ وسلمى ، جبلان عن يسار سُميراء ، وأجأ أحد جبلي طيِّيء وهو غربي فيد وبينهما مسيرة ليلتين ، وفيه قرى كثيرة ، ومنازل طيِّيء في الجبلين عشر ليال من دون فيد إلى أقصى أجأ ، إلى القـريات من ناحيـة الشـام ، وسـمي أجأ باسم رجل ، وسـمي سلمى باسم امـرأة ، وهمـا من العماليق ، عشق أحدهـما الآخر ، وسلمى جبلٌ وغربه وادٍ يقال له رَكٌّ ، به نخل وآبار مطوية بالصخر طيبة الماء ، وسلمى بقرب فيد عن يمين القاصد مكة (ياقوت : أجأ ، سلمى) .

٢ـ إن : زيادة يقتضيها السياق . كسرته : القطعة المكسورة من الخبز .

٦ـ الجوذاب : طعام يتخذ من اللحم والرز والسكر والبندق (المعجم الوسيط : جذب) .

٧ـ الشدق : جانب الفم مما تحت الخد . بإغراب ، أي : بتعجب .

(٢١)

* الأبيات في الأصـل .

٢ـ وقد أصبحتُ فيما جئْـ ـتُ مُحْتاجاً إلى ضَرْبِ
٣ـ ولولا أنَّني أذْنَبْـ ـتُ ما عاقبني ربِّي
٤ـ وما أعجبَ من فعلي وما أعظمَ من ذنْبي
٥ـ دعاني الجَهْلُ أنْ أقْرَرْ تُ للخنزيرِ بالحُبِّ
٦ـ ولو كنتُ تثَبَّتُّ لعوفيتُ من السَّبِّ
٧ـ ولكنْ كانَ ذنْبُ الـ ـقَلْبِ لا أفلَحَ من قلبِ
٨ ـ فإنْ عُدْتُ فإنِّي أحْـ ـوجُ الناسِ إلى صَلْبِ

(٢٢)

وقال محمد بن عبد الملك يجيب عليَّ بن جَبَلَة: (البسيط)

١ـ اشمخْ بأنْفِكَ يا ذا العِرْضِ والحَسَبِ ما شِئْتَ واضربْ قَذالَ الأرْضِ بالذَّنبِ

---

(٢٢)

* الأبيات في الأصل. والأبيات غير التاسع في الأغاني ٢٣ / ٦٦ ـ ٦٧، قال أبو الفرج: قال علي ابن جَبَلَة يهجو محمد بن عبد الملك الزيات، وكان قد قصد أبا دُلفٍ القاسم بن عيسى في بعض أمره:

يا بائعَ الزيتِ عرِّجْ غيرَ مرموقِ لتُشْغَلَنَّ عن الأرطالِ والسوقِ

.... الأبيات، فأجابه محمد بن عبد الملك: اشمخ بأنفك.... الأبيات.

** علي بن جَبَلَة بن مسلم بن عبد الرحمن الأبناوي المعروف بالعَكَوَّك، شاعر عراقي مجيد، كان أعمى أسود أبرص، وكان أحسن الناس إنشاداً، وكان الأصمعي يحسده، وهو الذي لقبه بالعَكَوَّك، أي الغليظ السمين، كان شيعياً خراسانيا، أكثر شعره في مدح أبي دُلَفٍ العجلي، قتله المأمون سنة ٢١٣هـ.

(ابن خلكان ١ /٣٤٨، السمط ٣٣٠، تاريخ بغداد ١١ /٣٥٩، نكت الهميان ٢٠٩، الأعلام ٤ /٢٦٨).

١ـ الأغاني: (اشمخ بأنفك يا ذا السيئ الأدب).

القذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس، وجماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس، فوق القفا.

٢ـ ارفعْ بصَوتكَ تدعو من بذي عَـدَنٍ ومـن بقـالـي قـلا بالويـلِ والحَـرَبِ
٣ـ مـا أنـتَ إلا امـرؤٌ أعطـى بلاغَتَـهُ فَضْلَ العنـان فلـم يَرْبَـعْ علـى أدَبِ
٤ ـ فاجمـحْ لعلَّكَ يومـاً أنْ تَعَضَّ على لُجْـمٍ دلاصِيَّـةٍ تَثْنيكَ مـن كَثَـبِ
٥ ـ إنِّي اعتذَرْتُ فما أحْسَنْتَ تسْمَعُ من عذْري ومن قَبْلُ ما أحْسَنْتَ في الطَّلبِ
٦ـ صبْراً أبـا دُلَفٍ فـي كُـلِّ مسألـةٍ كالقِدْرِ وقْفـاً على الجـاراتِ بالعُقَبِ
٧ـ يا ربِّ إنْ كـان مـا أنشأتَ من عَرَبٍ شروى أبي دُلَفٍ فاسْخَطْ على العـربِ
٨ ـ أرى التَّعَصُّبَ أبـدى منكَ داهيـةً كانتْ تحَجَّبُ دونَ الوَهْـمِ بالحُجُبِ
٩ـ أزرى بكَ الغَضبُ المُزْري وأنتَ فتى لا تُصْطَلى نارُهُ فاغْضبْ على الغَضبِ

٢ـ في الأصل: (من يثوي بذي عدن.... ومن نفا ليقلا). الأغاني: (وارفع بصوتك).
عـدن: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، وهي مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون إليه، فإنها بلدة تجارة، وبين عدن وصنعاء ثمانية وستون فرسخاً (ياقوت: عدن).
قالي قلا: بأرمينية العظمي من نواحي خلاط، ثم من نواحي منازجرد من نواحي أرمينية الرابعة، سميت باسم امرأة ملكت أرمينية اسمها قالي، فبنت مدينة وسمتها قالي قاله، ومعناه إحسان قالي، وصوَّرت نفسها على باب من أبوابها، فعربت العرب قالي قاله فقالوا: قاليقلا. (ياقوت: قاليقلا).
٣ـ في الأصل: (امرؤ ولى خليقته)، الأغاني: (فضل العذار ولم يربع).
يربع: يقف وينتظر ويتحبس.
٤ـ في الأصل: (لجم دلاصية تنبيك).
دلاصية: لينة ملساء براقة.
٦ـ الأغاني: (صبرا أبا دُلَف في كل قافية).
العُقَب: جمع عقبة، وهي شيء من المرق يرده مستعير القدر في القدر المستعارة.
٧ـ شروى: المثل والنظير، يقال: ما له شروي، أي: ما له نظير.
أبو دُلَف: هو القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بني عجل، كان فارساً شجاعاً كريماً شاعراً، وهو صديق أحمد بن أبي دُوَاد. انظر أخباره في الأغاني ٧ / ١٥٠.
٨ـ الأغاني: (إن التعصب أبدى).

(٢٣)

وقال أيضاً: (الوافر)

١ـ فديتُكَ قد كففتُ عن العِتابِ لِما حاذَرْتُ من سُوءِ الجوابِ

٢ـ ولم أرَ حيلةً تُجْدي لنفْعٍ لديكُمْ غيرَ صبري واحتسابي

٣ـ وأعملتُ الأماني فيكَ حتى كأني قد ملكْتُكَ في الحسابِ

٤ ـ أعاتبُ في الهوى وأقلُّ وجدي بِمَنْ أهوى يجلُّ عن العِتابِ

(٢٤)

وقال: (الوافر)

١ـ دعا شجْوي دُموع العَيْنِ منِّي فبادَرَتِ الدُّموعُ على ثيابي

٢ـ وقال القلْبُ سَمْعُكَ ساقَ حَتْفي على عَمْدٍ وأغْرَقَ في عذابي

٣ـ فقالتْ سَمْعُكَ الجاني هلاكي بأغلظَ ما يكونُ من العِقابِ

٤ـ ولا تفعَلْ فتفقدُني فأبقى بلا قلْبٍ إلى يوم الحسابِ

٥ـ فإني بينَ أطباقِ المنايا مقيمٌ بينَ أظفارٍ وناب

٦ـ فقال السَّمْعُ حينَ عَتَبْتُ لُمْهُ على حُبِّ الخَدَلَّجةِ الكَعَاب

٧ـ وعِبْتُ كلامَ مُكْتَحِلٍ غَريرٍ فأعياني لهُ رَجْعُ الجَواب

٨ـ فأدَّيْتُ الكلامَ ولم أُجِبْهُ إلى القلْبِ المولَعِ بالتَّصابي

٩ـ فعاقِبْ قَلْبَكَ الملجاجَ فيه ودعني لا تَنطَعْ في عقابي

---

(٢٣)

* الأبيات في الأصل.

(٢٤)

* القصيدة في الأصل.

٦ـ الخدلجة: المرأة الممتلئة التامة. الكعاب: الناهدة الثديين.

٩ـ تنطع في العقاب: تفنن فيه، وهو من قولهم: تنطع في الكلام، إذا تفصَّح فيه، ورمى بلسانه إلى نطع الفم.

١٠- فقلتُ صدَقْتني وعَذَلْتُ قلبي ... ولم أحـمِلْ على عـيني عـتـابي
١١- فـقـالَ القلبُ ثمَّ أقرَّ هَا قَدْ ... عَشقْتَ أمـيـرةً تهـوى اجـتنابي
١٢- تصبَّرْ قد سَقَيْنَكَ كأسَ عِشْقٍ ... حُمَيَّاها تجـولُ على الحـجـابِ
١٣- تُنَغِّصُكَ الطعـامَ وكُلَّ عـيشٍ ... وتمزُجُ مـا يسـوؤكَ بالشـرابِ
١٤- فقلتُ لهُ قطَّعْتَ الصُّلْبَ منِّي ... وقـد ألصَقْتَ خَدِّي بالتُّرابِ
١٥- لعلَّكَ قد كلِفْتَ بحُبِّ قَصْفٍ ... فـقـالَ القَلْبُ قـد قَرْطَسْتَ مـا بي
١٦- فقلتُ قتلْتَني وأذَبْتَ جِسْمي ... وقـد آذَنْتَ روحي بالذَّهابِ
١٧- كـأني عن قليلٍ غـيـرَ شَكٍّ ... مُسَجًّى بين أصـحـابي لما بي
١٨- ومـا لي لا أموتُ وهَمٌّ نفسي ... يُبـاعِدُني ويَزْهَدُ في اقـترابي
١٩- إذا عـاهَدْتُهُ عَهْدَ التَّصابي ... يُصَيِّرُ عَهْدَهُ لَمْعَ السَّرابِ
٢٠- يُريدُ بذاك تعـذيبي وغَيْظي ... وتَصْيـيـرَ الوِصالِ إلى تَبابِ
٢١- ولم يرحَمْ مطالبتي وجَهْدي ... ومـا لاقيتُ من طولِ اكتئابِ
٢٢- أصـابَ جـفـاؤهُ قلبي بضُرٍّ ... وأخلَقَ مـا لَبِسْتُ من الثـيـابِ
٢٣- ونـاولـنـي وراءَ الظَّهْرِ منِّي ... بيُسْرى الكَفِّ عن غلَطٍ كـتـابي
٢٤- فكيفَ تلَطُّفي لأغَرَّ أحـوى ... إذا مـا زِرْتُ أسْرَفَ في سِبابي

١٢ـ الحُمَيَّا: حُمَيَّا كل شيء، شدته وحدته، وحميا الخمر: شدتها وسورتها، والخمر نفسها تسمى الحميا.

١٥ـ القصف: اللهو واللعب والافتتان بالطعام والشراب، والقصف هنا أراد به الشخص الرشيق الأهيف المتكسر.

قرطست: أصبت القرطاس، أي: الغرض، يقال: رمى فقرطس، إذا أصاب الغرض.

٢٠ـ التباب: الخسران والهلاك.

٢٣ـ وناولني بيسرى الكف كتابي: كناية عن الفشل والخسران، وهو من قوله تعالى: ﴿ **وأما من أُوتي كتابه بشماله، فيقول يا ليتني لم أوتَ كتابيه، ولم أدرِ ما حسابيه** ﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٦].

٢٥- لقــد كُنْتُ الغَنيَّ فلم يُجِرْني   شــــقـــــاءُ الجَدِّ من حُبٍّ الخِلابِ

(٢٥)

وقـال أيضاً : (الخفيف)

١- رُبَّ لَحْظٍ يكـونُ أبْيَـنَ من   لفظٍ وأبدى لمضمراتِ القلوبِ

(٢٦)

وقال يجيب ابن دنقش : (الكامل)

١- وكمـا اللـواطُ سجيَّةُ الكُتَّابِ   فكـذا الحُلاقُ سَجِيَّةُ الحُجَّابِ

٢٥- الجَد : الحظ، الخِلاب : من خلبه، أي : أمال قلبه بألطف القول وخدعه.

(٢٥)

* البيت في الأصل.

(٢٦)

* البيت في الأغاني٢٣ / ٥٨، والهفوات النادرة ص٣٨٨.

جاء في الأغاني : أخبرني الصولي، قال : حدثني أبو ذكوان، قال : حدثني طماس قال : « جاء ابن دنقش الحاجب إلى محمد بن عبد الملك برسالة من المعتصم ليحضر، فدخل ليلبس ثيابه، ورأى ابن دنقش الحاجب غلماناً لهم روقة، فقال وهو يظن أنه لا يسمع :

وعلى اللواط فلا تلومَنَّ كاتباً   إنَّ اللواطَ سجيَّةُ الكُتَّابِ

فقال له محمد :

وكما اللواط سجية الكتاب   فكذا الحُلاق سجية الحُجَّابِ

فاستحيا ابن دنقش واعتذر إليه، فقال له : إنما يقع العُذر لو لم يقع الاقتصاص، فأما وقد كافأتك فلا »

١- غلمان روق : فائقو الجمال، تقول غلام روقة وفتاة روقة، وكذلك للمثنى والجمع.
الحُلاق : الأُبنة والعيب.

(٢٧)

(وقـال) : (المنسرح)

١– مـا أعـجبَ الحبَّ في مـذاهبهِ — مـا يَنْقَضي القـولُ في عـجـائبـهِ
٢– يُفْسِدُ ذا الدِّيـنِ بعـد عفَّتهِ — ويُذْهِلُ المـرءَ عـن مـآربهِ
٣– الحُبُّ نارٌ ولا خُمـودَ لهـا — تتـركُ ذا اللُّبِّ جـدَّ عـازبهِ
٤– ثُمَّتَ ترفَضُّ في مفـاصلهِ — فـتُشْعِلُ السُّقْمَ في جـوانبهِ
٥– ليس أخـو الحُبِّ مَنْ لا يَملُّ ولا — من يطرحُ الحـبْلَ فـوقَ غـاربهِ
٦– يأخـذُ منه الذي يطيبُ لهُ — غـيـرَ صـبـورٍ على نوائبهِ
٧– لـم أرَ داءً ولا دواءَ لـهُ — إلا وفي الحُبِّ مـا يُقـاس بهِ
٨– سـائلْ عن الحُبِّ مَنْ تضَمَّنَهُ — مـا شـاهدُ الأمـرِ مـثلُ غـائبهِ
٩– مـا جـرَّبَ الحُبَّ فـوقَهـا أحَدٌ — إلاّ رأى المـوتَ فـي تجـاربهِ
١٠– ولا رأى الموتَ في تجـاربهِ — إلاّ فـتى مُخْلصٌ لصـاحـبهِ
١١– انظرْ إلى المؤمنِ الذي اجتمعتْ — ألـسـنةُ الـناسِ في مناقـبهِ
١٢– من بعـدِ سـجَّادةٍ مُركَّبَةٍ — تلوحُ للعينِ فـوق حـاجبهِ
١٣– ولِحْيَةٍ كـالمِجَنِّ وافِرَةٍ — ألـيَقُ شـيءٍ بِحَفِّ شـاربهِ
١٤– لا يرفعُ الطَّرْفَ في السماءِ من الـ — إشـفـاقِ والخـوفِ من مُحـاسبهِ
١٥– أُتيحَ للحَيْنِ والقـضـاءِ لَهُ — مَنْ قَصَّرَتْ عـنـهُ كَفُّ طـالـبهِ

---

(٢٧)

* القصيدة في الأصل.

٤– ترفضُّ في مفاصله: تسيل وتنتشر، يقال: ارفضَّ الدمع وارفضَّ العرق، إذا ظهر وسال.

٥– طرح الحبل فوق غاربه: كناية عن الإهمال وعدم المبالاة، والغارب: الكاهل، ومن البعير ما بين السنام والعنق، وهو الذي يلقى عليه خطام البعير إذا أرسل ليرعى حيث شاء، ويقال للإنسان: حبلك على غاربك، أي اذهب حيث شئت.

١٣– المجن: الترس، حفَّ شاربه: أحفاه وخففه.

١٦- انسكبَ الحُسْنُ فـوقَ جَبْهَتِهِ ... قَمَرٌ يجـــري إلى ترائبِهِ

١٧- ثـم تـوافى إلى أظافرِهِ ... فانطمستْ ثَمَّ عينُ عائبِهِ

١٨- ثم أعادتْ عليه ثانيةً ... فثبَّتَ الحُسْنَ كَفُّ ساكبِهِ

١٩- فالحُسْنُ فيه مضاعَفٌ ولَهُ ... شيمَةُ بُخْلٍ على مُطالبِهِ

٢٠- لم يخلُقِ اللهُ مثلَهُ أحداً ... في مشرقِ الأرضِ أو مغاربِهِ

٢١- كأنَّهُ دُمْيَةٌ مُصوَّرَةٌ ... يَعْبُدُها القَسُّ في محاربِهِ

٢٢- صوَّرَها راهبٌ وزَخْرَفَها ... فابْتَزَّها القَسُّ دونَ راهبِهِ

٢٣- تنازَعاها كلاهُما حَنِقٌ ... يفْقَأُ بالسِّنِّ عَيْنَ صاحبِهِ

٢٤- وأجْلَبَ القَسُّ أهلَ بِيْعَتِهِ ... وجاءَ يختالُ في كتائبِهِ

٢٥- فصانها دونَ ما حَوَتْ يدُهُ ... من جُلِّ مالٍ ومن رغائبِهِ

٢٦- يسطو على أهْلِ بِيْعَتِهِ ... كسَطْوِ كسْرى على مرازبِهِ

٢٧- تبكي ابنَ عبَّادَ إنَّ لَهُ ... فضْلاً سأبْديه غيرَ كاذبِهِ

٢٨- في لفْظِهِ غُنَّةٌ يخالُ بها ... دُرّاً جرى من سُلوكِ ثاقبِهِ

٢٩- إذا علا موضعَ الحقابِ وقد ... ضمَّ يديه على مناكبِهِ

٣٠- واهاً لهُ مركباً لراكبِهِ ... لا خَيَّبَ اللَّهُ سَعْيَ جالبِهِ

١٦- الترائب: عظام الصدر مما يلي الترقوتين، والترائب: موضع القلادة، الواحدة: تريبة.

٢١- الدمية: الصورة الممثلة من العاج وغيره، يضرب بها المثل في الحسن، والدمية: الصنم المزين. المحارب: جمع محراب: الغرفة، والقصر، وموضع العبادة.

٢٢- ابتزه: غصبه وغلبه وسلبه، وأخذه بجفاء وقهر.

٢٤- أجلب: من الجَلَبَة، الصياح والصخب. البيعة: معبد النصارى، جمعها: بِيَع.

٢٦- في الأصل: (بها كسطو كسرى).

المرازبة: جمع المرزبان، وهو رئيس الفرس، والفارس الشجاع المقدم على القوم، وهو دون الملك في الرتبة.

٢٧- في الأصل: (تيك ابن عباد).

٢٨- السلوك: جمع سلك، وهو خيط القلادة.

٢٩- الحقاب: جمع الحقب، وهو العجز هنا.

٣٠- واهاً له: كلمة تعجب من طيب كل شيء، يقال: واها له، وبه: ما أطيبه، وتأتي للتلهف فيقال: واها على ما فات، ويقال في التفجع: واهاً وواهَ (المعجم الوسيط: وهه).

(حرف التاء)

(٢٨)

وقـال أيضـاً: (الخفيف)

١ـ لي حبيبٌ تفرَّعَ الحُسْنُ فيهِ ليسَ فيهِ لا ولا فيهِ ليتُ
٢ـ أنا أفديهِ من حبيبٍ لهُ الفضْـ ـلُ على منْ أرى ومنْ قد رأيْتُ
٣ـ طالَ ما كُنْتُ سالكاً سُبُلَ الحُبْـ ـبِ بجَهْدي وطالَ ما قد سَعَيْتُ
٤ـ في ارتيادي لمن يليقُ بهِ العِشْـ ـقُ فلمَّا انتهى إليهِ انتهيْتُ

(٢٩)

وقـال أيضاً: (البسيط)

١ـ ما كنتُ أبكي على مَنْ فاتَ من سَلَفي وأهلُ وُدِّي جميعاً غيرُ أشْتاتِ
٢ـ فاليومَ إذْ فَرَّقَتْ بيني وبينَهُمُ نوىً بكيتُ على أهلِ المودّاتِ
٣ـ ماذا حياةُ امرىءٍ أضحتْ منيَّتُهُ مقسومةً بينَ أحياءٍ وأمواتِ

(٣٠)

* وقال أيضاً في راشد: (الطويل)

---

(٢٨)

* الأبيات في الأصل.

(٢٩)

* الأبيات في الأصل.
٢ـ النوى: البعد، والوجه الذي يذهب فيه وينويه المسافر من قرب أو بعد، والنوى مؤنثة.

(٣٠)

* البيتان في الأصل.
راشد: هو راشد بن إسحاق بن راشد أبو حكيمة الكاتب، كان أديباً كاتباً شاعراً، كان أكثر شعره في رثاء متاعه، وكان صديقاً ودوداً لابن الزيات وبينهما مراسلات ومداعبات، مرض وتوفي وهو في طريق مكة (له بعض الأشعار في معجم الأدباء ٣/١٢٩٨ـ١٢٩٩، وطبقات ابن المعتز ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠).

١ـ وكُنّا ارتقينا في صعودٍ من الهوى فلمَّا توافينا ثَبَتُّ وزَلَّتِ

٢ـ وكنا عقَدْنا عُقْدَةَ الوَصْلِ بيننا فلمَّا تواثَقْنا شدَدْتُ وحَلَّتِ

(٣١)

قال محمد بن عبد الملك يجيب أبا سعيد الفيشي : (السريع)

١ـ يا أيُّها المأفونُ رأياً لقد تَعَرَّضْتَ نفسُكَ للموتِ

٢ـ قيَّرتُمُ المُلْكَ فلم تنتهوا حتى غسَلْنا القارَ بالزَّيتِ

٣ـ الزيتُ لا يُزْري بأحسابِنا أحسابُنا معروفَةُ البيتِ

(٣٢)

وقال محمد : أنشدها ابنه (أبو) مروان : (مخلع البسيط)

---

(٣١)

* الأبيات في الأصل، والعقد الفريد ٣ / ١٤٤ قال : اتصل بأحمد بن أبي دُوَاد أن محمد ابن عبد الملك هجاه بقصيدة فيها تسعون بيتاً فقال :

أحسن من تسعين بيتاً سدى جمعُك معناهن في بيتِ
ما أحوجَ الناسَ إلى مطرةٍ تزيل عنهم وَضَرَ الزيتِ

فبلغ قوله محمداً فقال : يا أيها المأفون . . . الأبيات، ونُسب البيتان في هجاء ابن الزيات إلى علي بن الجهم في العقد الفريد٦ / ١٥١ ، وهما في الأغاني لابن أبي دُوَاد ٢٠ / ٥١ ط ساسي، ولعل ابن أبي دُوَاد استعان بشعر علي بن الجهم لأن ابن أبي دُوَاد لم يكن شاعراً، والبيتان في ديوان علي بن الجهم (التكملة) ص١٢٠ ، قال ابن خلكان : نسب صاحب العقد هذين البيتين إلى علي بن الجهم، ونسبهما صاحب الأغاني إلى القاضي أحمد بن أبي دُوَاد (وفيات الأعيان ٢ / ٧٣) .

١ـ العقد الفريد : (عرَّضت في نفسك للموت) .

٢ـ العقد : (قيَّرتم المُلْكَ فلم ننقِه) .

(٣٢)

* البيتان في الأصل ، وهما في الأغاني ٢٣ / ٦٠ ، وبهجة المجالس ٣ / ٢٠٩ ، ومعجم الشعراء ص ٣٦٦ ، والزهرة ١ / ٤٤٩ ، والثاني في الدر الفريد ٢ / ٢٠٥ ، جاء في الأغاني : « أخبرني الأخفش عن المبرد، قال : نظر رجل كان يُعادي يونس النحوي، وهو يُهادى بين اثنين من الكِبَر، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، أبلغت ما أرى؟ فعلم يونس أنه قال له ذلك شامتاً، فقال : هذا الذي كنت أرجو فلا بلغته، فأخذه محمد بن عبد الملك الزيات، فجعله في شعر ، فقال : وعائب عابني . . . . البيتان » .

١ـ وعـائـبٍ عابني بشيـبٍ   لـم يُفْـدَ لَمّـا أَلَـمَّ وقْتَـهْ
٢ـ فقلْتُ إذْ عـابَني سَفَاهاً   يا عائِبَ الشَّيْبِ لا بَلَغْتَهْ

(٣٣)

وقال أيضـاً:   (مجزوء الخفيف)

١ـ ظـالـمٌ مـــا عَلِمْتُهُ   مـــعـــتَدٍ لا عَدِمْتُهُ
٢ـ زاهـــدٌ إنْ وصَلْتُهُ   غـــافِلٌ إنْ صَرَمْتُهُ
٣ـ مـرصـدٌ بالخلوفِ والمَنْـ   ـعِ من حـيـثُ رُمْتُهُ
٤ـ لامـنـي حـينَ لُمْتُهُ   ظَنَّ أنّي ظـلـمـتُهُ
٥ـ قـلـتُ لا عُدْتَ هـاكَ   هذا فـمي قـد خـتـمْتُهُ
٦ـ كَمْ وكمْ قـد طويتُ مـا   بي وكـم قـد كـتَمْتُهُ
٧ـ قـال مـا شـاء فليـقلْ   كل ذا (قـد) فـهـمـتُهُ

١ـ الأغاني: (لم يعدُ لما)، معجم الشعراء: (بشيبي لن يعد لما ألمَّ وقته)، الزهرة: (لم يألُ لما ألمَّ وقته).

ألمَّ وقته: قرب.

٢ـ الأغاني: (فقلت إذ عابني بشيبي يا عائب الشيب)، الدر الفريد: (فقل لمن عابني سفاها).

معجم الشعراء: (فقلت إذ عابني بشيبي). الزهرة: (فقل لمن عابني سفاها).

(٣٣)

* القصيدة في الأصل، والأبيات: ١، ٢، ٣، ٦، ٨ ، ٩، ١٠، ١٤ مع خلاف في الترتيب وزيادة بيتين آخرين في الأغاني ٢٣ / ٧٤ ، قال: « ومما يغنى فيه من شعر محمد بن عبد الملك الزيات: ظالم ما علمته ..... الأبيات »

١ـ الأغاني: (ظالمي ما علمته)، وبعده بيت هو:

مطمعي بالوصال مُمـ   ـتنعٌ حينَ رُمْتُهُ

٢ـ الأغاني: (هاجرٌ إنْ وصَلْتُهُ   صابرٌ إنْ صَرَمْتُهُ

٣ـ الأغاني: (مرصدٌ بالخلافِ والـ   ـمَنْعِ من حيثُ سُمْتُهُ)

٥ـ في الأصل: (هذا فمن قد ختمته).

٨– لـو بـكـى عُمْرَهُ مـن الـــ ـــوَجْدِ مـــــا إنْ رَحِمْتُهُ
٩– قـــلـــتُ شـــيءٌ حُرِمْتُهُ لـيس لـي مـــــا حُرِمْتُهُ
١٠– رُبَّ هَمٍّ طويْتُ فـــيـــ ـــكَ وغـــــيظٍ كَظَمْتُهُ
١١– وعَنَاءٍ مـــن الـــعَنَا ءِ طـــويـــلٍ جَشَمْتُهُ
١٢– وأمـــورٍ خَضَعْتُ فـــيـــ ـــهـــــا وضَيْمٍ رَمَمْتُهُ
١٣– ومـــقـــامٍ على الهَوا نِ طـــويـــلٍ أقَمْتُهُ
١٤– وحـــيـــاتي سَئِمْتُهـــا والـهَوى مـــــا سئِمْتُهُ

٨ـ الأغاني: (لو بكى طولَ دهره بـدمٍ مـا رحمْتُـهُ).
٩ـ الأغاني: (رمتُ شيئاً هويتهُ ليس لي ما حُرِمْتُهُ).
وبعده في الأغاني بيت هو:
نالَ إذْ صَرَّحَ البُكا ءُ بما قد سَتَرْتُهُ
١٤ـ الأغاني: (وحياة سَئِمْتُها).

(حرف الجيم)

(٣٤)

وقال في أحمد بن أبي دواد: (الخفيف)

١ـ فَرَجٌ قالوا اسمُ والـدِ مَـنْ ... يتعاطى الفِقْهَ والحِجَجا

٢ـ إنْ يكُنْ هذا اسمُ ذي حَسَبٍ ... فمُنِعْتُ الروحَ والفَرَجا

(٣٥)

وقال أيضاً: (البسيط)

١ـ ما أسرعَ البينَ بلْ ما أسرعَ الفَرَجا ... إنْ كُنْتَ أرجو كما أخشى فلا حَرَجا

٢ـ مـا أمٌّ واحدٍ أمٍّ لا أنيسَ لهـا ... ألا الذي رسَخَتْ بالأمسِ فاختلجا

٣ـ باتتْ وباتَ لهـا هَمٌّ يؤرِّقُها ... من عالجٍ في بناتِ القَلْبِ قد وشَجَا

٤ـ إلاّ كمثلي وإنْ جلّتْ رَزيَّتُها ... إذْ أزعَجَ البينُ مَنْ أهواهُ فانزعجَا

٥ـ نظرْتُ يومَ تولّتْ نظرةً عَرَضاً ... وجدْتُ في كَبدي من حَرِّها وَهَجا

٦ـ بمُقْلَةٍ كُلّما كَفْكَفْتُ دمعَتَها ... هاجَتْ مساربُها بالدَّمْعِ فاعْتَلَجا

٧ـ كأنَّها عارِضٌ مخضوضِلٌ هزِجٌ ... هاجَتْ لهُ حَرْجَفٌ حصباءُ فانبعجا

---

(٣٤)

* البيتان في الأصل.

(٣٥)

* الأبيات في الأصل.

٢ـ اختلج: تحرك واضطرب.

٣ـ العالج: ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض، وأراد هنا الهموم المجتمعة المتراكمة.

٤ـ الرزيـة: المصيبة والأمر العظيم.

٦ـ في الأصل: (هاجت مذاوبها) وهي محرفة ولا معنى لها، اعتلج: اصطرع واقتتل.

٧ـ العارض: السحاب المعترض في الأفق. المخضوضل: الندي المبتل. هزج: له صوت، أي الرعد. الحرجف الحصباء: الريح الباردة الشديدة التي تحمل البرد وصغار الحجارة. انبعج: اتسع وانفرجت جوانبه، وبعج المطر الأرض: شقها لشدته.

٨- تالله ما عَصَفَتْ ريْحٌ شآمِيةٌ إلاّ تَنَسَّمْتُ منها ريحَكِ الأرجا
٩- ولا سنا البرقُ لي من نحو دارِكُمُ إلاّ تنعَّشْتُ واستقبَلْتُهُ بَهِجا

(٣٦)

وقال أيضاً : (الرمل)

١ـ يا لبَانُ اللهَ فيَّ اللهَ بي حَرَجاً من قطْعِ حبلي حَرَجا
٢ـ قد رأيتُ الموت أو أسبابه فادنيَنْ (لي) الآنَ منكَ الفَرَجا

(٣٧)

وقال في محمد بن ثابت مولى نصير : (المتقارب)

١ـ أقولُ إذا ما بدا طالعاً وقد كانَ إذْ هَمَّ أو قد وَلَجْ
٢ـ من الناسِ مَنْ ليس حتى المـ ـاتِ منهُ ولا من أذاهُ فَرَجْ
٣ ـ يَبيتُ فلو كنتَ ساهَرْتَهُ إلى الصُّبحِ لم يرضَ أو يَدَّلِجْ
٤ـ ولو كان ذا من أحَبِّ العِبا دِ إليكَ لكانَ بغيضاً سَمِجْ
٥ـ فكيفَ إذا كان ممَّنْ يكا دُ صدْرُكَ من بُغْضِهِ ينْفرِجْ

---

٨ ـ في الأصل : (فلا ما عصفت) .
٩ـ سنا البرق : أضاء .

(٣٦)

* البيتان في الأصل .
١ـ في الأصل : (جرحا .... جرحا) ولا يستقيم والقافية جيم . لبان : لعله علم امرأة ، واللبانة : الحاجة .
٢ـ في الأصل : (لو رأيت الموت وأسبابه) .

(٣٧)

* الأبيات في الأصل .
٣ـ ادلج : سار في الظلام .
٤ـ السمج : القبيح البغيض .

(حرف الحاء)

(٣٨)

وقال ابن الزيات: (الوافر)

١ــ سَماعاً يا عِبادَ اللهِ مني وكُفُّوا عن ملاحظةِ المِلاحِ
٢ــ فإنَّ الحُبَّ آخِرُهُ المنايا وأولُهُ يُهَيَّجُ بالمِزاحِ
٣ــ وقالوا دعْ مراقَبَةَ الثُّرَيَّا ونَمْ فالليلُ مسودُّ الجَناحِ
٤ــ فقلتُ وهل أفاقَ القلبُ حتى أُفَرِّقُ بين ليلى والصباحِ

(٣٩)

وقال: (البسيط)

كُنَّا وقُضْبانُ وهي تُسْمِعُنا والقومُ من مُطْرِقٍ ومُقْتَرِحْ
٢ــ نشربُ صِرْفاً كأنَّ مِسْكَتَها نارٌ بكَفَّيْ مُلاعِبٍ مَرِحْ
٣ــ حاضِرُنا نَرْجِسٌ كأنْ بِهِ عِتاقَ خيلٍ سَفَرتْ عن قُرَّحْ
٤ــ والقومُ كُلٌّ أعدَّ زِينَتَهُ تَسْحَبُ عِطْفاهُ أذْيُلَ الفَرَحْ
٥ــ حتى إذا الكأسُ باحَ بما أخفوا لحيٍّ الصِّبا ولم أبُحْ
٦ــ فانتصَحَتْ رأيَها فكانَ لها شرُّ مشيرٍ وشَرُّ مُنْتَصِحْ

---

(٣٨)

* الأبيات لابن الزيات في وفيات الأعيان ٥ / ٩٥ ــ ٩٦ ط إحسان عباس.

(٣٩)

* الأبيات في الأصل.

١ــ قضبان: اسم جارية مغنية.

٣ــ قرح الفرس: صار قارحا، وهو أن ينتهي سنه، وقيل هو وقوع السن التي تلي الرباعية.

٤ ــ العطف: الجانب، وسحب عطفه: كناية عن التبختر والإعجاب بالنفس.

٧- لو تعلمُ العِلْمَ كنتَ أول مـــا مُتَبَذِّلٍ عــــنــــدهـــا ومُطَّرَحْ

٨- صاحتْ فقالوا العفافُ نَفَّرَها مـــا بالُهـــا قَبْلَ ذاكَ لم تَصِحْ

٩- راحـوا براءً ورُحْتُ أسحَبُ من ذيلِ امـــرئٍ للذنوبِ مُجْتَرِحْ

ـ مجترح: مقترف للذنوب، واجترح: اكتسب، وأكثر ما تستعمل في الجرائم، وفي القرآن: ﴿**أم حسب الذين اجترحوا السيئات**﴾ (الجاثية: ٢١).

(حرف الدال)

(٤٠)

وقال في أبي دهمان المغني: (الوافر)

١- أبودهمانَ داهيةٌ فسادُ ... له في كلِّ منتجعٍ مصادُ
٢- إذا غنّى وهَزْهَزَ مَنْكِبَيْهِ ... وأعجَبَ واطمأنَّ بهِ الوسادُ
٣- وساقَ حديثَ مصرَ وساكنيها ... وما صنعَ الخصيبُ وما أفادوا
٤- وقال أنا ابنُ حِمْيَرَ ورَّثَتْني ... مكارِمَها وأخوالي مُرادُ
٥- دعاكَ بفضْلِ ثوبكَ مُسْتَعيراً ... لهُ فإذا انطوى فالثوبُ رادُ
٦- وأنْكَرَ بَعْدُ مُعْتَذراً بسُكْرٍ ... وبعضُ القولِ ليس لهُ انقيادُ
٧- فما لكَ إذْ سَكِرْتَ أخذْتَ ثوبي ... وثوبُكَ دونَهُ الحتفُ المُقادُ
٨- فأقسمُ لو سرقْتَ عصيَّ بيتي ... تشكي الكِبرَ فهي لهُ عِمادُ
٩- وجاءتْكَ الملائكُ شافِعاتٍ ... مع الأرَضينَ والسَّبْعُ الشِّدادُ

---

(٤٠)

* القطعة في الأصل.

١- المنتجع: الموضع الذي يقصده الناس للماء والكلأ.

٣- الخصيب: هو الخصيب بن عبد الحميد والي مصر، وهو الذي قال لأبي نواس: «ألا تنشدنا يا أبا علي؟ قال: أنشدتك أيها الأمير قصيدة هي بمنزلة عصا موسى تلقف ما يأفكون» قال: هات، فأنشده قصيدته التي أولها:

تقول التي عن بيتها خفَّ مركبي ... عزيز علينا أن نراك تسيرُ
فقلتُ لها واستعجلَتْها بوادرٌ ... جرت فجرى في جريهنَّ عبيرُ
ذريني أكَثِّرْ حاسديك برحلةٍ ... إلى بلدٍ فيه الخصيبُ أميرُ

٤- حمير ومراد: قبيلتان من قبائل اليمن.

٥- الراد: الرائد، وهو الرسول الذي يتقدم في طلب شيء.

٨- في الأصل: (عصي بنتي).

٩- السبع الشداد، أي: سبع سنين مجدبة إشارة إلى الآية ٤٨ من سورة يوسف: ﴿**ثم يأتي من بعد ذلك سَبْعٌ شِدادٌ يأكلن ما قدمتُم لهنَّ إلا قليلا مما تُحْصِنونَ**﴾.

١٠- لما اسـتَعْطَفْتَ وُدَّهُمُ بغـيظٍ ولـو سـلَقْتـكَ ألـسِنَةٌ حِدادُ

(٤١)

وقال: حدثني البحتري عن الحسن بن وهب، قال: كتبت إليه أستهديه ـ ونحن في بلاد الروم ـ مطبوخ العراق، فبعث إليَّ خُماسيَّتين، وكتب إليَّ ببعض هذا الشعر وهو (اسقي الصديق ...) وبيتان آخران. (مجزوء الكامل)

١- لم تلقَ مـثلي صـاحـبـاً أنـدى يـداً وأعـزَّ جـودا
٢- أسـقي الصـديقَ بمنزلٍ لـم يروِ فـيـهِ الماءُ عـودا
٣- صـهـبـاءَ صـافـيـةً كـأنْ نَ على جـوانبـهـا العـقـودا
٤- فـإذا اسـتـقلَّ بِشُكْرِها أوجَبْتُ بـالـشُّكْرِ المـزيـدا
٥- وأمُنُّ حـيـن أمُنُّ لا حَصِراً بـذاكَ ولا بـلـيـدا
٦- وإذا خـشـيتُ على الصنيـ ـعـةِ بالتـقـادُمِ أنْ تبـيـدا
٧- أنشـأتُ ذكْرَ صنيـعـتي فـرددْتُهـا غَضّاً جـديـدا
٨- ومـدحتُ نفـسي مُبْدِياً بالقـولِ فـيـهـا أو مُعـيـدا
٩- خُذْها إليـكَ كـأنَّمـا كُسِيَتْ زُجـاجَتُهـا عُقـودا

١٠- في الأصل: (لما استعطفت ردهم). سلقه بلسانه أو بكلامه: آذاه، والشطر مقتبس من الآية الكريمة: (فإذا ذهبَ الخوفُ سلقوكم بألسنةٍ حدادٍ) (الأحزاب ١٩).

(٤١)

* القطعة في الأصل. والأبيات: ١ـ٥ و ٩، ١٢٠، في الأغاني ٢٣/٧٢، قال: استسقى الحسن ابن وهب من محمد بن عبد الملك نبيذاً ببلد الروم، وهو مع المعتصم، فسقاه وكتب إليه.
خُماسية: أي خمرة معتقة بنت خمس سنوات.
١ـ الأغاني: (أندى يداً وأعمَّ جودا).
٢ـ الأغاني: (يسقي النديم بقفرة لم يسقِ فيها الماء عودا).
٣ـ الأغاني: (صفراء صافية كأن بكأسها درّاً نضيدا).
٤ـ الأغاني: (وإذا استقل)، جاء هذا البيت في الأغاني بعد البيت الذي يليه.
٥ـ الأغاني: (وأجود حين أجود لا).

١٠- واجعلْ عليكَ بأنْ تقو م بشُكْرِها أبداً عُهُودا

(٤٢)

وقال محمد بن عبد الملك الزيات: (الكامل)

١- كتبتْ على فَصٍّ لخاتَمِها مَنْ مَلَّ من أحبابِه رَقَدا

٢- فكتبْتُ في فَصِّي لِيَبْلُغَها من نامَ لم يَشْعُرْ بمَنْ سَهِدا

٣- فمحَتْهُ واكتَتَبتْ ليَبلُغَني: ما نامَ من يهوى ولا هَجَدا

٤- فمحوتُهُ ثم اكتَتَبْتُ: أنا واللهِ أولُ مَيِّتٍ كَمَدا

٥- قالتْ يُعارِضُني بخاتَمِهِ واللهِ لا كَلَّمْتُهُ أبدا

(٤٣)

وقال في الخليفة المعتصم: (الخفيف)

١- يا جمال الدنيا ويا زينة الديـ ـنِ ويا عِصْمَةَ التُّقى والرشادِ

٢- ما رأينا سِواكَ منْذُ عَرَفْنا النا سَ بَدْراً أوْفى على الأعوادِ

٣- أُشْهِدُ اللهَ أنَّ وجهَكَ يومَ الـ ـعيدِ عيدٌ لنا من الأعيادِ

(٤٤)

وقال أيضاً: (البسيط)

---

(٤٢)

* الأبيات لابن الزيات في الظرف والظرفاء - الوشاء ص ٣١٤، والأبيات ١، ٢، ٥ في الزهرة ١ / ٣٩٠، وسرور النفس - التيفاشي ص٣٢، ونسبت الأبيات كلها لأبي نواس في ديوانه ص٢٦٠ط الغزالي، وثلاثة أبيات منها في مصارع العشاق باختلاف الشطور.

(٤٣)

* الأبيات في الأصل.

(٤٤)

* الأبيات في الأصل. البيتان ٣، ٤ في الأغاني ٢٣ / ٦٠، والعمدة ٢ / ٧٤٠، والدر الفريد ٥ / ٨٠ و٤١، وفي الأغاني قال: «كنت عند أبي الحسين بن أبي البغل لما انصرف عن بغداد بعد إشخاصه إليها للوزارة وبطلان ما نذره من ذلك ورجوعه، فجعل يحدثنا بخبره، ثم قال: لله در محمد بن عبد الملك الزيات حيث يقول: ما أعجب الشيء ......»

١ـ لو كان يمنعُ حُسْنُ الوجهِ صاحِبَهُ   مِنْ أنْ يكونَ لهُ ذنْبٌ إلى أحَدِ
٢ـ كانتْ عُلَيْمُ أبَرَّ الناسِ كلِّهمُ   مِنْ أنْ تُكافا بسوءٍ آخِرَ الأبَدِ
٣ـ ما لي إذا غِبْتُ لم أُذْكَرْ بواحِدةٍ   فإنْ مَرِضْتُ فطالَ السُّقْمُ لم أُعَدِ
٤ـ ما أعجَبَ الشيءَ ترجوهُ فَتُحْرِمَهُ   قد كنتُ أحْسِبُ أني (قد) ملأتُ يدي

(٤٥)

وقال أيضاً: (الطويل)

١ـ إذا الناسُ كانوا في الأحاديثِ والمُنى   خلوتُ بنفسي فيكِ من بينهم وحدي
٢ـ أحيدُ بنفسي عنكِ عَمْداً وفي الحشا   إليكِ عُيونٌ ما بَرِحْنَ عن القَصْدِ
٣ـ فيا مَنْ بكفَّيْهِ حياتي ومِيْتَتي   ومَنْ ليس لي منهُ وإنْ مُتُّ من بُدِّ
٤ـ أرِحْنيَ من نَفْسي بموتٍ مُعَجَّلٍ   فديتُكَ أو نائي الفؤادِ من الجَهْدِ

(٤٦)

وقال أيضاً: (الكامل)

١ـ أقسى من الحجرِ الأصَمِّ فؤادُهُ   وأرَقُّ من عَزْفِ الرياحِ فؤادي

٣ـ الأغاني: (لم أذكر بصالحة وإن مرضت). العمدة: (وإن مرضت).
١ـ في الأصل: (يكون له ذنبا) وهو لحن.
٣ـ لم أُعد: من عيادة المريض، زيارته.
٤ـ في الدر الفريد: (ما أعجب الشيء أرجوه فأحرمه).

(٤٥)

* الأبيات في الأصل.
٤ـ في الأصل: (فديتك أدنك الفؤاد) وليس لها معنى.

(٤٦)

* الأبيات في الأصل.
١ـ عزف الرياح: صوتُها.

٢ـ أشكو إليـه وقـد تبَيَّنَ فاقَتـي   فيصُـدُّ صَـدَّ غَـريبـةِ الأذْوادِ
٣ـ غازَلْتُــهُ بتَضَـرُّعٍ وتَخَشُّــعٍ   فنـأى ونازَعَـني هـواهُ قيـادي
٤ـ فأجبتُ حاجتهُ وأخَّرَ حاجَتي   شَتَّـانَ بـينَ مُبَخَّـلٍ وجَـوادِ

(٤٧)

وقال أيضاً: (الخفيف)

١ـ إنّا إلى اللهِ أخلفتْ ميـعـادي   وجَفَتْني فـأثْكَلَتْني فـؤادي
٢ـ مـا جزائي مِمَّنْ جعلتُ بكَفَّيْـ   ـهِ عِناني فيـمـا هوى وقِيـادي
٣ـ أنْ جفاني بعدَ الوِصالِ وقد كا   نَ حـيـاتي ومُنْيَتي وسَدادي
٤ـ أحمـدُ اللهَ ذا الجَلالِ على إسْخا   نِ عـيـني وكُرْبَتي وسُهـادي
٥ـ قطَّعَتْني قَصْفٌ قسمتُ لِحَيْني   بعـدَ وَصْلٍ مـثلِ الظلومِ المعـادي
٦ـ إذْ ونارُ الهـوى على القلبِ منِّي   تتـلظَّى عليـه ذاتُ اتِّقـادِ
٧ـ أحرَقَتْ صحَّتي بسُقْمي ورُشْدي   بضَلالي وأسْرَعَتْ في فَسـادي
٨ـ تركْتني صَبّاً بهـا مُسْتـهـامـا   سـاهِراً مـا ألذُّ طَعْمَ الرُّقـادِ
٩ـ تـركْتـني كـأنَّ الجَفْنِ منِّي   وعلى مـا افـترشْتُ شـوكَ القَتـادِ
١٠ـ تركَتْني إلى الممـاتِ قـريحـاً   تـركَتْني أهـذي بهـا وأنـادي

٢ـ الأذواد: جمع ذود، القطيع من الإبل بين الثلاثة إلى العشرة، وأراد بغريبة الأذواد الناقة من قطيع آخر تدخل ضمن القطيع، فتضرب وتطرد بشدة.
٣ـ القياد: ما يُقاد به من حبل ونحوه، يقال: فلان سلس القياد، أي: يتابعك في هواه، وأعطى فلان القياد: أذعن.

(٤٧)

* القصيدة في الأصل.
٣ـ في الأصل: (وميتتي وسدادي).
٥ـ القصف والقصفة: المرأة الضخمة المتكسرة عند المشي.
٨ ـ الصب: المشتاق، من الصبابة الشوق ورقة الهوى.
٩ـ القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر، وفي المثل: (من دونه خرط القتاد).

١١- تـركَتْنـي ولـيس بـي مـن حَراكٍ كـاسِفَ البـالِ شـهـرةً في بلادي
١٢- كم إلى كم أقولُ إنْ ظهَرتْ لي قلتُ جِدِّي الوِصالَ حـتى التنادي
١٣- فـإذا مـا بدَتْ تغَيَّرَ لوني لشـفـائي فـصـارَ مـثْلَ الرَّمـادِ
١٤- وأراها عليَّ قـد رفـعَتْ ظلمـاً فَدَتْهـا أترابُهـا بسـوادِ

(٤٨)

* وقـال أيضـاً: (مجزوء الهزج)

١- أمـا مـن حَكَـمٍ يُعْـدي على مَنْ سامَني جَهْدي
٢- أمَا مـن حَكَـمٍ يقضـي علـى المـولاةِ للعَبْـدِ
٣- فقـد حالـتْ عـن العَهْـدِ ومـا حُلْـتُ عـن العَهْـدِ
٤- عَصَيْتُ الناسَ في حُبِّي كـأنّـي أُمَّـةٌ وَحْـدي

(٤٩)

وكتب إلى الحسن بن وهب رحمه الله، جواب شعره الذي أوله:

(ليت شعري يا أملح الناسِ عندي هل تعالَجْتَ بالحِجامَةِ بعدي)**

---

(٤٨)

* الأبيات في الأصل.
٢- المولاة: هنا السيدة الحرة.
٣- حالت عن العهد: تغيرت.

(٤٩)

* القطعة في الأصل. وهي مع خلاف في الترتيب في العقد الفريد ٨/١٠٧.
** في الأصل: (ياليت شعري) وهي من وهم الناسخ.
الحسن بن وهب: ابن سعيد بن عمرو الحارثي، كاتب من الشعراء، كان معاصراً لأبي تمام، وله معه أخبار، وكان وجيهاً استكتبه الخلفاء، ومدحه أبو تمام، وهو أخو سليمان بن وهب، وزير المعتز والمهتدي، ولما توفي الحسن رثاه البحتري سنة ٢٥٠هـ.
(السمط ٥٠٦، فوات الوفيات ١/١٣٦، الأعلام ٢/٢٢٦).

قــال :   (الخفيف)

١ـ ليت شعري عن ليتَ شعرِكَ هذا ... أبِهَزْلٍ تقـولُهُ أمْ بِجِدٍّ
٢ـ فَلَعْمـري إنْ كـان قـولُكَ فـيمـا ... قلتَ حـقـاً لقـد تَفَتـيْتَ بعـدي
٣ـ وتشـبَّهْتَ بي وكُنْتُ أرى أنْـ ... ـنيَ العـاشقُ المُتَيَّمُ وحْدي
٤ـ أتركُ القَصْدَ من الأمـورِ ولولا ... غَمَراتُ الـهَوى لأبْصَرْتُ قَصْدي
٥ـ لا أُحِبُّ الذي يلومُ وإنْ كـا ... نَ حَريصـاً على صـلاحي ورُشْدي
٦ـ وأُحِبُّ الأخَ المُشـارِكَ في الحُبْـ ... ـبِ وإنْ لم يكُنْ به مـثلُ وَجْدي
٧ـ كـصـديقي أبي عليٍّ وحـاشـا ... لصـديقي من مـثْلِ شُقْوَةِ جَدّي
٨ـ إنَّ مـولاي عـبـدُ غـيـري ولولا ... شُؤْمُ جَدّي لكانَ مـولاي عـبـدي
٩ـ سيدي سيدي ومولاي مَنْ ألْـ ... ـبَسَنـي ذلَّةً وأضْرَعَ خَدّي

(٥٠)

وقـال أيضـاً :   (الطويل)

١ـ ولـيلٍ كلونِ الطَّيْلسـانِ سَرَيْتُهُ ... عـلـى بـطـنِ خَوْدٍ بَضَّةِ المُتَجَرِّدِ

٢ـ في الديوان المطبوع : (تعتيت بعدي) بالعين، والصواب : (تفتيت) بالفاء كما في العقد الفريد.
العقد الفريد : (فلئن كان ما تقول بجد ... يابن وهب لقد تفتيت بعدي).
تفتيت : أي تصابيت، تعتيت : من العتو، الاستكبار ومجاوزة الحد، وتعتيت : عصيت ولم تطع.
٣ـ العقد الفريد : (أني أنا الهائم المتيم وحدي).
٤ ـ العقد : (لا أرى القصد .... غمرات الصبا لأبصرت قصدي).
٩ـ العقد : (وألبسني ذلة وأخلف وعدي).
أضرع : من الضراعة وهي الذلة.

(٥١)

* القصيدة في الأصل.
١ـ الطيلسان : ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف، أو يُحيط بالبدن، خال من التفصيل والخياطة، وهو ما يعرف بالعامية الشال، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ، وهو من لباس العجم، ومن شتم العرب : (يا ابن الطيلسان) يريدون يا عجمي. (المعجم الوسيط : طلس).
الخود : المرأة الشابة. البضَّة : الرخصة الجسد الناعمة.

٢- جَزوعٍ على الإدْلاجِ أعجَلُ سيرِها الوقوفُ إذا استعجلْتُ والضَّمُّ باليدِ

٣- يقولُ ويشكو الأيرَ: أتعبني السُّرى وأنصبني قَطْعُ الفراشِ المُمَهَّدِ

٤- أجدُّ وما لي حاجةٌ حينن أسْتوي عليها سواها بالنَّجاءِ العَمَرَّدِ

٥- إذا أعملتْ في السَّيْرِ كان خِطامُها التثامي بما يُشْفي بريقَتها الصَّدى

٦- أخُبُّ عليها وهي تحتَ مقَرِّه وأرْقُدُ منها بينَ بَطْنٍ ومِجْسَدِ

٧- حُوارِيَّةٌ زَيْنُ النِّقابِ انتقابُها وإنْ سَفَرَتْ فالشمسُ وافَتْ بأسْعَدِ

٨- وإنْ قَعَدَتْ زانَ القُعودَ قعودُها وإنْ تَمْشِ لا يَعْدِمْكَ حُسْنُ التَّأوُّدِ

٩- فهاتيكَ أقري طارقَ الهَمِّ لا التي تروحُ بأحْنَاءِ الرِّجالِ وتغْتدي

١٠- فداءٌ لوصفِ الحُورِ وصْفُ ابنِ ناقةٍ ويفدي الحدا لَحْنَ الغَريضِ ومَعْبدِ

٢- الإدلاج: السير بالليل، أوله أو آخره.

٣- في الأصل: (يقول ويشكو)، والوصف لأنثى، لعلها: (تقول وتشكو).
السرى: سير الليل. أنصبنى: أتعبني، النصب: التعب والإعياء.

٤- العمرَّد: الطويل من كل شيء، والشرس الخلق، والخبيث الداهية.

٥- الصدي: الشديد العطش.

٦- أخُبُّ: أسرع، وخب: هاج واضطرب، وهو المعنى المراد هنا، وأصل الخبب: العدو ونقل الفرس أيامنه وأياسره جميعاً عند العدو. المجسد: الثوب الملامس للجسد.

٧- في الأصل: (جوارية زين النقاة). حوارية: بيضاء ناعمة.
وافت بأسعد: كناية عن الفرح والبهجة، وأصله من سعود النجوم، وهي عدة كواكب، يقال لكل واحد منه سعد، ومنها سعد السعود، وهو أحدها.

٨ - في الأصل: (نزان). التأود: التعوّج.

١٠- الغريض: عبد الملك مولى العبلات كنيته أبو يزيد أو أبو مروان، لقب بالغريض لجماله ونضارة وجهه، من مولدي البربر، كان مملوكاً للثريا وأختها عائشة بنتي علي بن عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر، وقيل: كان مملوكاً لسكينة بنت الحسين، من أشهر المغنين في صدر الإسلام، ومن أحذقهم في صناعة الغناء، كان يضرب بالعود وينقر بالدف ويوقع بالقضيب، توفي بمكة نحو سنة ٩٥هـ. (الأغاني ٢ / ٣٥٩، رغبة الآمل ٥ / ٢٣٣، الأعلام ٤ / ١٥٦).
معبد: معبد بن وهب أبو عباد المدني المغني، كان مولى لبني مخزوم، نشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه، وربما اشتغل بالتجارة، ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة، ثم رحل إلى

١١– وتفْدى لنا في جانبِ الكَرْخِ منزلاً رســـــومٌ وأطـلالٌ بـبُرقَة ثَـهْمَدِ
١٢– ألمْ تَرَني أعْمَلْتُ نفسيَ في الصِّبا ولا أتـوقَّى اليـــومَ نـائبـــةَ الغَدِ
١٣– أعـاذلَ لا أُدعى المُقَصِّرَ في الصِّبـا ولا أتـوقَّى اليـــومَ نـائبـــةَ الغَدِ
١٤– أْعاذِلَ لـم أبلغْ فـأصحو وأرْتدعْ أشُدِّي ولا مـا جـاوزَ النِّصْفَ مـولدي
١٥– لَعَلِّي إذا جـاوزْتُ خـمسينَ حِجَّةً وعـــشْراً وتِسْعـــاً بعـــدَ حَوْلٍ مُجَرَّدِ
١٦– أُراجعُ سُلْوانـاً وإِنِّي لَخـــــائـفٌ فـإِنْ حَقَّ خَوْفي فـالثـمـانونَ مـوعـدي

(٥١)

وقال يهجو إبراهيم بن المهـدي **: (الطويل)

١– ألـم تـرَ أنَّ الـشيءَ لـلـشيءِ عِلَّةً يـكـونُ لـهـــا كـــالنارِ تُقْدَحُ بـالزَّنْدِ

الشام فارتفع شأنه لدى أمرائها، كان أديباً فصيحاً، وعاش طويلاً إلى أن انقطع صوته، توفي سنة ١٢٦ هـ. (الأغـاني ١ / ٣٦ ـ ٥٩، تاريخ الإسـلام ٥ / ١٦٥ رغبـة الآمل ٦ / ١٧ـ٤٢، الأعلام ٧ / ٢٦٤).

١١ـ الكرخ: الجانب الغربي من بغداد، وهناك أكثر من مدينة في العراق تعرف باسم الكرخ، منها كرخ البصرة، وكرخ جُدان، وكرخ الرقة، وكرخ سامرا، وكرخ ميسان، وغيرها (ياقوت: كرخ).

برقة ثهمد: قال نصر: ثهمد جبل أحمر فاردٌ من أخيلة الحمى، حوله أبارقُ كثيرةٌ في ديار غَنيٍّ، وقال غيره: ثهمد موضع في ديار بني عامر، قال طرفة: لخولة أطلال ببرقة ثهمد، وقال الأعشى:

هل تذكرين العهد يا ابنة مالك أيام نرتبع السِّتارَ فثهمدا (ياقوت: ثهمد)

(٥١)

* القصيدة في الأصل، والقصيدة في الأغاني ٢٣ / ٥٤ـ٥٧، والأبيات: ١٢، ١٤، ١٥، ٢٠، ٢١، ٢٢، في العمدة ١ / ١٥٢، والأبيات: ١، ٢، ٣، ١٢، ١٤ في مروج الذهب ٥ / ٨، والبيت الأول في الدر الفريد ٢ / ٢٣٤.

جاء في الأغاني: عن عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال: « لما وثب إبراهيم بن المهدي على الخلافة، اقترض من مياسير التجار مالاً، فأخذ من جدي عبد الملك عشرة آلاف درهم،

٢- كــذلك جــرَّبْنا الأمــورَ وإنَّمــا يـدُلُّكَ مـا قـد كـان قَبْلُ على البُعْدِ
٣- وظَنِّي بــإبــراهــيــم أنَّ مــكــانَهُ ســيــبْعَثُ يومــاً مــثلَ أيامــه النُّكْدِ
٤- رأيْتُ حُسَيْناً حينَ صارَ محـمـدٌ بغـيــرِ أمــانٍ في يديه ولا عَقْدِ
٥- فلو كان أمضى السيفَ فيه بضَرْبةٍ تُصَيِّرُهُ بـالـقــــــاعِ مُنْعَفِرَ الخَدِّ

وقال له: أنا أردها إذا جاءني مال، ولم يتم أمره فاستخفى، ثم ظهر ورضي عنه المأمون، فطالبه الناس بأموالهم، فقال: إنما أخذتها للمسلمين، وأردت قضاءها من فيئهم، والأمر الآن إلى غيري، فعمل أبي محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهدي، فأقرأه إياها، وقال: والله لئن لم تعطني المال الذي اقترضته من أبي لأوصلنَّ هذه القصيدة إلى المأمون، فخاف أن يقرأها المأمون فيتدبر ما قاله، فيوقع به، فقال له: خذ مني بعض المال، ونجِّم عليَّ بعضه، ففعل أبي ذلك بعد أنْ حلَّفهُ إبراهيم بأوكد الأيمان ألا يظهر القصيدة في حياة المأمون، فوفَّى له أبي بذلك، ووفَّى إبراهيم بأداء المال كله» (الأغاني٢٣ /٥٣_٥٤).

** إبراهيم بن المهدي: هو إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي، أبو إسحاق، ويقال له: ابن شكلة، الأمير أخو هارون الرشيد، ولد ونشأ ببغداد، ولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها، ولما انتهت الخلافة إلى المأمون، كان إبراهيم اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون فاستتر، فأهدر دمه، فجاء مستسلماً، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله فاعتذر، فعفا عنه، وكانت خلافته ببغداد سنتين ، وتغلب على الكوفة والسواد، وكان إبراهيم أسود حالك اللون عظيم الجثة فصيح اللسان جيد الشعر واسع الصدر، وكان حازماً سخياً حاذقاً بصنعة الغناء، وأمه جارية سوداء اسمها شكلة ، مات بسامراء وصلى عليه المعتصم سنة ٢٢٤هـ .
(ابن خلكان ١ /٨، الأغاني ١٠ /٦٩، ٩٤، تاريخ بغداد ٦ /١٤٢، أشعار أولاد الخلفاء ص١٧_١٩، الأعلام ١ /٥٩) ١_الأغاني ومروج الذهب: (تكون له كالنار).
٢_الأغاني: (كذلك جربت الأمور).
٣_أيامه النكد: المشؤومة القليلة الخير.
٤_محمد: هو محمد الأمين ابن هارون الرشيد، والحسين: هو طاهر بن الحسين الذي حاصر بغداد وانتهى بقتل الأمين سنة ١٩٨هـ/٨١٣م.
٥_الأغاني: (فصيره بالقاع). منعفر الخد: متمرغ في التراب.

٦- إذا لم تكُنْ للجُنْد فيه بقيَّةٌ ... فقد كان ما بُلِّغْتُ من خَبَرِ الجُنْدِ

٧- هُمُ قتلوهُ بعد أن قتلوا لهُ ... ثلاثين ألفاً من كُهولٍ ومن مُرْدِ

٨- وما نصروهُ عن يدٍ سَلَفَتْ لَهُ ... ولا قتلوهُ يومَ ذلك عن حقْدِ

٩- ولكنَّهُ الغدْرُ الصُّراحُ وخِفَّةُ الـ ... ـحُلومِ وبُعْدُ الرأي عن سُنَنِ القَصْدِ

١٠- فذلك يومٌ كان للناسِ عِبْرَةٌ ... سيبْقى بقاءَ الوحْيِ في الحَجَرِ الصَّلْدِ

١١- وما يومُ إبراهيمَ إنْ طالَ عُمْرُهُ ... بأبْعَدَ في المكْروهِ من يومه عندي

١٢- تذكَّرْ أميرَ المومنينَ قيامَهُ ... وأيمانَهُ في الهَزْلِ منهُ وفي الجِدِّ

١٣- أما والذي أصبحتُ عبداً خليفةً ... لهُ خيرُ أيمانِ الخليفةِ والعَبْدِ

١٤- إذا هزَّ أعوادَ المنابرِ باسْته ... تَغَنَّى بليلى أو بمَيَّةَ أو هنْدِ

١٥- ووالله ما من توبةٍ نَزَعَتْ به ... إليكَ ولا ميلٍ إليكَ ولا وُدِّ

١٦- ولكنَّ إخلاصَ الضميرِ مُقَرِّبٌ ... إلى اللهِ زُلْفى لا تخيبُ ولا تُكْدي

١٧- أتاكَ به طَوْعاً إليكَ بأنْفه ... على رُغْمِه واستأثَرَ اللهُ بالحمدِ

١٨- فلا تَتْرُكَنْ للناسِ موضعَ شُبْهَةٍ ... فإنَّكَ مَجْزِيٌّ بحَسْبِ الذي تُسْدي

١٩- فقد غَلِطُوا للناسِ في نَصْبِ مثله ... ومن ليس للمنصورِ بابنٍ ولا المهدي

٦ـ الأغاني: (فقد كان ما خبِّرْتُ).

٩ـ الصُّراح: الخالص من كل شيء.

١٠ـ الوحي: الكتابة والنقش.

١٢ـ العمدة: (بإيمانه في الهزل)، مروج الذهب: (وأيامه في الهزل).

١٣ـ الأغاني: (له شرُّ أيمان الخليفة والعبد). في المطبوع: (عبدَ خليفةٍ).

١٤ـ يشير هنا إلى صناعة إبراهيم بن المهدي في الغناء وبراعته فيه.

١٥ـ الأغاني: (فوالله ما من).

١٦ـ زلفى: قربى، تكدي: تخيب ولا تظفر.

١٧ـ على رغمه: على كره منه.

١٨ـ تسدي: تحسن وتصلح.

٢٠- فكيف بمن قد بايعَ الناسَ والتقَتْ ببيعَتهِ رُكْبانُ غورٍ إلى نَجْدِ
٢١- ومن صكَّ تسليمُ الخلافة سَمْعَهُ يُنادى [بها] بين السِّماطين من بُعْدِ
٢٢- وأيُّ امرئٍ سامى بها قَطُّ نفْسَهُ ففارَقَها حتى تغَيَّبَ في اللَّحْدِ
٢٣- وترجمُ هذي النابتيَّةُ أنَّهُ إمامٌ لها فيما تُجنُّ وما تُبْدي
٢٤- يقولون سُنِّيٌّ وأيَّةُ سُنَّةٍ تقومُ بجونِ اللونِ صَعْلِ القفا جَعْدِ
٢٥- وقد جعلوا رُخْصَ الطعام بعَهْدِه زعيماً لهم باليُمْنِ والكوكبِ السَّعْدِ
٢٦- إذا ما رأوا يوماً غلاءً رأيتَهُمْ يحنونَ تَحْناناً إلى ذلك العَهْدِ
٢٧- وأقْبَلَ يومَ العيدِ يوجِفُ حَوْلَهُ وجَيفَ الجيادِ واصطكاكَ القَنا الجُرْدِ
٢٨- ورجَّالةٌ يمشونَ في البيضِ دونَهُ وقد تبِعوهُ بالقضيبِ وبالبُرْدِ

٢٠- في الأصل: (فكيف بمن بايع)، الأغاني والعمدة: (الركبان غوراً إلى نجد).
الغور: المنخفض من الأرض، والغور أصله ما تداخل وما هبط، فمن ذلك غور تهامة، ويقال للرجل: قد أغار إذا دخل تهامة، وغور كل شيء قعره، والغور تهامة وما يلي اليمن، قال الأصمعي: ما بين ذات عرق إلى البحر غور تهامة. (ياقوت: الغور)
٢١- في الأصل: (ينادى بين السماطين)، الأغاني: (ومن سكَّ تسليم الخلافة سمعه).
العمدة: (ينادى به بين السماطين عن بعد). صك: ضربه ضرباً شديداً. السماطان: الصفَّان من الناس، وسماط القوم: صفهم.
٢٢- الأغاني والعمدة: (سمَّى بها قط نفسه)، الأغاني والعمدة: (حتى يغيب في اللحد).
٢٣- الأغاني: (وتزعم هذي النابتية أنه إمام لها فيما تسر وما تبدي).
النابتية: طائفة من الحشوية أحدثوا بدعا غريبة في الإسلام.
٢٤- سني: قيل إن أهل بغداد سموا إبراهيم بن المهدي (الخليفة السني)، وانهم يتهمون المأمون بالرفض لمكان علي بن موسى منه (ابن الأثير ٥ / ١٩١).
الجون: الأسود، وكان إبراهيم بن المهدي أسود اللون، وأمه جارية سوداء تسمى (شكلة)، ويقال: إبراهيم بن شكلة.
الجعد من الشعر: خلاف المسترسل، والجعد: البخيل اللئيم، وجعد القفا، وصعل القفا: لئيم الحسب، والجعد من الأضداد، ويطلق على الكريم، وأراد هنا المعنى الأول.
٢٥: يشير في هذا البيت إلى تعلق الناس بالتنجيم.
٢٧- الأغاني: (وإقباله في العيد يوجف حوله وجيف الجياد واصطفاق القنا الجرد).
يوجف: يسرع، ووجف الفرس: عدا وسار العَنَق. الاصطفاق: الاهتزاز

٢٩- فإنْ قلتَ قد رامَ الخلافةَ غيرُهُ فلم يوتَ فيما كان حاولَ من جَدٍّ
٣٠- فلم أجْزِه إذْ خيَّبَ اللهُ سَعْيَهُ على خطأٍ إذْ كان منهُ على عَمْدِ
٣١- ولم أرضَ بَعْدَ العَفْوِ حتى رفدْتَهُ ولَلْعَمُّ أولى بالتَّغَمُّدِ والرِّفْدِ
٣٢- فليس سواءً خارجيٌّ رمى بِهِ إليكَ سَفَاهُ الرأي والرأيُ قد يُرْدي
٣٣- تعاوتْ لهُ من كلِّ أوْبٍ عِصابةٌ متى يوردوا لا يُصْدِروهُ عن الوِرْدِ
٣٤- وآخرُ في بيتِ الخليفةِ يلتقي بهِ وبكَ الآباءُ في ذِرْوَةِ المَجْدِ
٣٥- فمولاكَ مولاهُ وجُنْدُكَ جُنْدُهُ وهل يجمعُ القَيْنُ الحُسامينِ في غِمْدِ
٣٦- وقد رابني من أهلِ بيتِكَ أنَّني رأيتُ لهم وَجْداً بهِ أيَّما وَجْدِ
٣٧- يقولونَ لا تَبْعَدْ من ابنِ مُلِمَّةٍ صَبورٍ عليها النفس ذي مِرَّةٍ جَلْدِ
٣٨- فَدانا فهانَتْ نفسُهُ دونَ مُلْكِنا عليه على الحين الذي قَلَّ من يَفْدي
٣٩- على حينِ أعطى الناسَ صَفْوَ أكُفِّهِمْ عليُّ بن موسى بالولايةِ للعَهْدِ

٢٨- الأغاني: (في البيض قبله).
٣٠- الأغاني: (إذ كان منه ولا عمد).
٣١- الأغاني: (بعد العفو حتى حتى رفعته وللعم أولى بالتعهد والرفد).
الرفد: العطاء.
٣٣- في الأصل: (تفاوت له)، الأغاني: (تعادت).
تعاوت عصابة: اجتمعوا عليه. من كل أوب: من كل جهة وناحية.
٣٤- الأغاني: (ومن هو في بيت الخلافة تلتقي).
٣٥- القين: الحداد، وقد يطلق على كل صائغ.
٣٦- في الأصل: (وقدرابني منه) ولا يستقيم الوزن. الوجد: الحب.
٣٧- في الأصل: (من أين ملمة).
ذو مِرَّةٍ: ذو قوة، والمِرَّة: العقل أو شدته، والمرة: الأصالة والإحكام (المعجم الوسيط: مرر).
٣٨- الأغاني: (فدانا وهانت... عليه لذي الحال التي قل من يفدي).
٣٩- الأغاني: (صفق أكفهم.... بالولاية والعهد).
علي بن موسى: الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن الملقب بالرضا، ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، من أجلاء السادة أهل البيت، ولد في المدينة وكان أسود اللون، أمه حبشية، أحبه المأمون العباسي فعهد إليه بالخلافة بعده، وزوجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغيَّر

٤٠ - فما كان منَّا من أبَى الضَّيْمَ غيرُهُ ... ولكنْ كفانا في القَبول وفي الرَّدِّ
٤١ - وجَرَّدَ إبراهيمُ للموتِ نَفْسَهُ ... وأبدى سلاحاً فوقَ ذي مَيْعَةٍ نَهْدِ
٤٢ - فأبلى ومنْ يبلُغْ من الأمْرِ جَهْدَهُ ... فليسَ بمذمومٍ وإنْ كانَ لم يُجْدِ
٤٣ - فهذي أمورٌ قد يخافُ ذوو النُّهى ... مَغَبَّتَها واللهُ يَهديكَ للرُّشْدِ

(٥٢)

وقال يمدح المعتصم : (الكامل)

١ - قَسَمَ الزمانَ على البلادِ ولم يُقِمْ ... للوقْتِ يرصُدُهُ ويحسُبُ باليدِ
٢ - لمَّا حوى الرومَ الشتاءُ رمى بها ... عُرْضَ الفجاجِ إلى المغارِ الأبْعَدِ
٣ - يأوي إلى قُطْبِ الجنوبِ إذا شتا ... ويصيفُ حينَ يصيفُ تحتَ الفَرْقَدِ
٤ - نِعْمَ الخليفةُ للرَّعيَّةِ مَنْ إذا ... رقَدَتْ وطابَ لها الكرى لم يَرْقُدِ

من أجله الزي العباسي الذي هو السواد، فجعله أخضر، وكان هذا شعار أهل البيت، فاضطرب العراق، وثار أهل بغداد، فخلعوا المأمون وهو في (طوس)، وبايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي فقصدهم المأمون بجيشه، فاختبأ إبراهيم ثم استسلم وعفا عنه المأمون، ومات علي الرضا في حياة المأمون بطوس فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد، ولم تتم له الخلافة، وعاد المأمون إلى السواد، فرضي عنه الناس. (ابن الأثير ٦ / ١١٦، الطبري ١٠ / ٢٥١، اليعقوبي ٣ / ١٨٠، ابن خلكان ١ / ٣٢١، نزهة الجليس ٢ / ٦٥، الأعلام ٥ / ٢٦).

٤٠ - الأغاني : (فما كان فينا من أبَى الضيمَ غيرُه ... كريم كفى ما في القبول وفي الرد).

٤١ - ذو ميعة : ذو نشاط وميعة كل شيء أوله، وميعة الفرس : أول جريه وأنشطه. النهد : الفرس الجسيم المشرف الحسن الجسم.

٤٢ - في الأصل : (لم يجدي)، الأغاني : (وأبلى ومن يبلغ).

٤٣ - ذوو النهى : ذوو العقول الراجحة. المغبة : العاقبة.

(٥٢)

* الأبيات في الأصل.

٢ - المغار : موضع الغارة. الفجاج : الطرق الواسعة.

٣ - في الأصل : (تحد الفرقد)، الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي، يهتدى به، وهما فرقدان، وجاء في الشعر مثنى ومفرداً، وذلك لشدة اتصالهما.

(٥٣)

وكتب إلى عبد الله بن طاهر: ** (الوافر)

١ـ أتزعُمُ أنَّني أهوى خليلاً سواكَ على التداني والبِعادِ

٢ـ جحدْتُ إذاً موالاتي عليّاً وقلتُ بأنَّني مولى زيادِ

(٥٤)

وقال ابن الزيات: [البسيط]

١ـ اصبرْ لها صَبْرَ أقوامٍ نفوسُهُمُ لا تستريحُ إلى عقلٍ ولا قودِ

٢ـ لم ينْجُ من خيرها أو شرها أحدٌ فاذكُرْ شوائبَها إنْ منتَ من أحدِ

٣ـ خاضَتْ بكَ المنْيةُ الحمقاءُ غَمْرَتها فتلك أمواجُها ترميكَ بالزَّبَدِ

---

(٥٣)

* البيتان في الأغاني ٢٣ / ٥٩ قال: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني عبد الرحمن بن سعيد الأزرقي قال: «استبطأ عبدُ الله بن طاهر محمدَ بن عبد الملك في بعض أموره، واتهمه بعدوله عن شيء أراده إلى سواه، فكتب إليه محمد بن عبد الملك يعتذر من ذلك، وكتب في آخر الكتاب يقول: أتزعم .....».

** عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالولاء، أبو العباس، أمير خراسان، ومن أشهر الولاة، أصله من (باذغيس) بخراسان، وكان جده زريق من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات، ولي عبد الله إمرة الشام، ثم نقل إلى الشام، ثم نقل إلى مصر سنة ٢١١ هـ ثم إلى الدينور، ثم ولاه المأمون خراسان، وأبدى كفاءة وحزما، وقد أعجب المؤرخون بأعماله فأثنوا عليه، كان سخياً مع علم ومعرفة، وللشعراء فيه مراث كثيرة، وقال الشابشتي: كان المأمون تبناه وربَّاه، توفي بنيسابور سنة ٢٣٠ هـ.

(المحبر ص٣٧٦، ابن الأثير ٧ / ٥، الطبري ١١ / ١٣، ابن خلكان ١ / ٢٦٠، تاريخ بغداد ٩ / ٤٨٣، الولاة والقضاة ص١٨٠، الأعلام ٤ / ٩٤).

(٥٤)

* الأبيات في المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ ص ٣٣، قالها حين دخل على الإفشين وهو محبوس.

١ـ العقل: دية القتيل. القود: القصاص.

(٥٥)

وقال: (مجزوء الرجز)

١ـ قام بقلبي وقَعَدْ ظبيٌ نفى عنِّي الجَلَدْ
٢ـ يا صاحبَ القَصْرِ الذي أرَّقَ عيني ورَقَدْ
٣ـ واعَطشي إلى فمٍ يَمُجُّ خَمْراً مِنْ بَرَدْ
٤ـ إنْ قُسِّمَ الرزقُ فَحَسْـ ـبي بكَ من كُلِّ أحدْ

(٥٦)

وكتب إلى الحسن بن سهل: [المجتث]

١ـ أبا عليٍّ أراكَ الإلـ ـهُ في الأمرِ رُشْدَكْ
٢ـ إنْ لم تكنْ عنديَ اليو مَ كنتُ بالشوق عندَكْ
٣ـ فاهدمْ محلَّكَ عندي واجْهَدْ لذلكَ جَهْدكْ
٤ـ فلسْتُ أزدادُ إلا رعايةً لك ودَّكْ
٥ـ وانعَمْ بمنْ قُلْتَ فيها عبدَ الرجاءِ وعبْدَكْ
٦ـ أزيلَ نحْسُكَ فيها وأطْلَعَ اللهُ سَعْدَكْ

---

(٥٥)

* الأبيات في الأصل، وفي العمدة ٢ / ٧٣٩ ـ ٧٤٠.
٤ـ العمدة: (إنْ قسم الناس فحسبي).

(٥٦)

* القطعة في الأغاني ٢٣ / ١١٣ط بيروت ١٩٩٢، عن أبي العيناء، قال: طلب محمد بن عبد الملك الزيات الحسنَ بنَ سهل، وكان قد اصطبح مع بنات، فكتب إليه: يا سيدي أنا في مجلس بهي، وطعام هني، وشراب شهي، وغناء رضي، أفتأحولُ عنه إلى كدٍّ شقي، ووثبت بنت لتقوم، فردها وكتب:

ما بان عنك الذي بنـ ـتَ عنه لا عاشَ بعدَكْ
إنْ لم يكُنْ عندهُ الصَّبـ ـرُ والسُّلُوُّ فعندَكْ
وما وجَدتـه إلا عبدَ الرجاءِ وعبدَكْ

فاستلبها الرسول، ومضى بها إلى محمد، فوقع فيها: أبا علي.... الأبيات.

(٥٧)

وقــال : (مجزوء الرجـز)

١ــ يا يُمْــنَ يومي وغَــدِهْ ويُمْنَ مــا بَعْــدَ غَــدِهْ

٢ــ ليس لمــن يحســدُ إلاَّ حــظـهُ مــن حَسَــدِهْ

٣ــ وابـأبــي مُخْتَـضِــبٍ أومــا إلينــا بيـــدِهْ

٤ــ أومــا بــهــا ثــمَّ ثنـــى راحَتَــهُ فــي كَبِـــدِهْ

٥ــ إنَّ الضَّنى في جَسدي يُخْبِرُني عن جَسَدِهْ

٦ــ يُخْبِرُنــي عنـــهُ بمـــا أعْرِفُــهُ مــن كَمَـــدِهْ

---

(٥٧)

* الأبيات في الأصل.

٣ــ المختضب : الذي صبغ يده بالحناء.

٥ــ الضنى : المرض أو الهزال الشديد.

(حـرف الـراء)

(٥٨)

وقـال يرثـي : (الطويل)

١ـ يقولُ لي الخُلاَّنُ لو زُرْتَ قَبْرَهـا فقلـتُ وهـلْ غيرُ الفـؤادِ لهـا قَبْرُ

٢ـ على حين لم أُحْدِثْ فأجْهل فَقْدَها ولـم أبلغِ السِّنَّ التي معهـا الصَّبْرُ

(٥٩)

وقـال : (المنسرح)

١ـ يا أيهـا العـائبي ولم يَرَ لي عَيْبـاً أمـا تنْتـهي فـتَزْدَجِرُ

٢ـ هـلْ لـكَ وِتْرٌ لـديَّ تـطْلُبُهُ أمْ أنتَ فـيمَنْ يبـيتُ يَعْتَذِرُ

٣ـ إنْ كـانَ قَسْمُ الإِلهِ فـضَّلني وأنتَ صَلْدٌ مـا فـيك مُعْتَصَرُ

٤ـ فـالحَمْدُ والمَجْدُ والثناءُ لَهُ وللحـسودِ التـرابُ والحَجَرُ

---

(٥٨)

* البيتان في الأصل، وفي العمدة ٢ / ٧٤٠، و الأغاني ٢٣ / ٥٨، وفي الأغاني : أنشدني الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتاً يرثي بها سكرانة أم ابنه عمر، وجعل الحسن يتعجب من جودتها.

٢ـ الأغاني والعمدة : (فأجهل قدرها) . أحدث : من الحداثة زمن الصبا والشباب .

(٥٩)

* القصيدة في الأصل ، والقصيدة في معجم الأدباء مع بيت آخر زيادة ١ / ٣٣ ط إحسان عباس، وفيه : قال محمد بن عبد الملك الزيات في رجل خلو من الأدب، والأبيات : ١، ٢، ٤، ١٤، ١٥ في الأغاني ٢٣ / ٦٨، قال : وهي طويلة، وفيه : قال يجيب علي بن جَبَلة العَكَوَّك، وكان هجاه بقوله :

نبهت عن سِنَةٍ عينيك فاصْطَبرِ واسحبْ بذيلك هل تقفو على أثرِ

١ـ معجم الأدباء : (ولم تر بي عيباً ألا تنتهي وتزدجر) .

٢ـ في الأصل : (فيمن أبيت)، معجم الأدباء : (أم لست مما أتيت تعتذر) .

٣ـ الأغاني : (فأنت صلدٌ ما فيك معتصرُ)، الصلد : الصخر .

٤ـ الأغاني : (والثناء لنا)، معجم الأدباء : (فالحمد والشكر والثناء له) .

٥ـ اقْرأْ لــــنـــا سُورةً تُخَوِّفُنـــا فـــــإنَّ خـــــيْرَ المواعظُ السُّوَرُ
٦ـ أو ارْوِ فِقْهـاً تَحْيـا القُلُوب لَهُ جــــــاءَ لـهُ عـن نـبيِّنـا خَبَرُ
٧ـ أو هاتِ مـا الحُكْمُ في فـرائِضِنا مـــــا تَسْتَحِقُّ الإنـاثُ والـذَّكَرُ
٨ـ أو ارو عن فـارسٍ لنا مـثـلاً فـــإنَّ أمـــثـــالَ فـــارسٍ عِبَرُ
٩ـ [أو من أحـاديث جـاهليـتنا فــــإنَّهـــــا عِبْرَةٌ ومُعْتَبَرُ]
١٠ـ أو هاتِ كـيفَ الإعرابُ في الرَّفْـ ـعِ والخَفْضِ وكيفَ التصريفُ والصَّدَرُ
١١ـ أو ارو شـعـراً أو صِفْ عـروضـاً بـه يُبْلي صـحـيحٌ منهُ ومُنْكَسِرُ
١٢ـ فـإنْ جَهِلْتَ الآدابَ مُرْتَغِبـاً عنهـــا وخِلْتَ العَمَى هو البَصَرُ
١٣ـ ومَنْ يُعَرِّضْ من ذاكَ ميـسـرةً عليك منهـا لبـهـجـةِ الشَّبَرُ
١٤ـ فـغَنِّ صـوتاً تلهـو الغُواةُ لَهُ وكـلُّ مــا قـــد جَهِلْتَ يُغْتَفَرُ
١٥ـ تعـيشُ فـينا ولا تلائمُنا فـاذهـبْ ودَعْنا حـتـامَ تنتظِرُ
١٦ـ تُغْلي علينا الأشْعارَ أنَّى وما عـنـدَكَ نـفـعٌ يُرْجـى ولا ضَرَرُ
١٧ـ هَمُّكَ مـــن مَرْتَعٍ ومُغْتَبَقٍ كـمـا تعـيشُ الحـميـرُ والبَقَرُ

٦ـ في الأصل: (تحيى القلوب)، معجم الأدباء:
(أو اروِ فقها تحي القلوب به جاء به عن نبينا أثر)
٩ـ البيت إضافة من معجم الأدباء.
١٠ـ معجم الأدباء: (أو هات كيف الصواب ... التصريف والصور).
١١ـ معجم الأدباء: (أو صف لنا غرضا يبلى صحيح منه ومنكسر).
١٣ـ معجم الأدباء: (ولم تعوض من ذاك ميسرة .... لبهجة أثر).
الشبر: كذا في الأصل، والشَّبِرُ: البَطِر الزاهي المرِحُ.
١٤ـ معجم الأدباء: (تلهي الفؤاد به .... جهلت مغتفر).
١٥ـ الأغاني: (ولا تلائمنا .... كما تعيش الحمير والبقر).
وعجز البيت في الأغاني هو عجز البيت الأخير في الأصل.
١٦ـ الأغاني: (الأشعار منك وما)، معجم الأدباء: (الأسعار أنَّى وما).

(٦٠)

وقــال أيضــاً: (المتقـارب)

١ــ من العينِ واقفَـةٌ دَمْعَــةٌ فلا هـي تَجِفُّ ولا تَقْطُـرُ
٢ــ ومن تحت أحشائها لوعةٌ إليكَ على كَبِـدي تَـزفُـرُ
٣ــ فيا رامياً في حشا نفسِهِ بسَهْمِ الفِراقِ ومـا يَشْعُرُ
٤ــ ببغـداد تتركُ مَنْ قد هَـويـ ـتَ وأنتَ غداً مُزْمِعٌ مُبكِـرُ
٥ــ فكـلٌّ لكُـلِّكَ منـهُ مُـدا مٌ وكُـلُّكَ مـن كُلِّـهِ يسْكَـرُ

(٦١)

وقــال: (الكامـل)

١ــ هـل أنـتَ صـاحٍ أو مُراجِـعُ صَبْوَةٍ أم أنـتَ فيمـا بينَ ذاكَ تُفَكِّـرُ
٢ــ لا بلْ أظُنُّـكَ قد جَنَحْـتَ إلى الصِّبا وإذا صبوتَ فليسَ مثلكَ يُعْذَرُ
٣ــ إنـي خَدَشْـتُ وقـد نظَـرْتُ بفكـرةٍ ولعلَّ مـا أُخْطي إذا مـا أنظـرُ

(٦٢)

وقال في جارية كان يهواها اسمها عذر: (السريـع)

---

(٦٠)

الأبيات في الأصل.

(٦١)

* الأبيـات في الأصـل.
١ــ الصبـوة: جهلـة الفتـوة.
٢ــ جنحت إلى الصبـا: ملت نحو جهالة الفتوة.

(٦٢)

* الأبيات في الأصـل.

١ـ يا عُـذْ رُ زُيِّـنَ باسمِـكَ العُـذْرُ   وأسا ولـم يُحْسِـنْ بـكِ الدَّهْـرُ
٢ـ وهـي التي قالتْ وقد جعَلَتْ   تنسَلُّ من وَجْناتِـهـا الجَمْـرُ
٣ـ اكمِدْ بـدائكَ هل رأيْـتَ كـذا   بـدراً يـلـوحُ بخَـدِّهِ البَـدْرُ

(٦٣)

وقال: (الخفيف)

١ـ ليتَ شِعْري وذاكَ عندي عيبٌ   كيـف يحيـا مبـاعَـدٌ مهجـورُ
٢ـ عاقَبْتَني على الذي اجْتَرَمَتْـهُ   وتولَّـتْ وذنْبُـهـا مَغْـفُـورُ
٣ـ جعلتْ بيننا الوِصـالَ ونـادتْ   باختيـالٍ يـا هجْرَنـا منصـورُ
٤ ـ لـو بِنا قـوَّةٌ سَعَيْنـا عليهـا   كيفَ والقَلْبُ عندها محصورُ

(٦٤)

وقال أيضا في الواثق ** أيام النجف، ولم يكـن دخل إليه أربعين ليلة: (البسيط)

١ـ في الأصل والمطبوعة: (وأساء) بالهمز، ولا يستقيم بها الوزن.

(٦٣)

* الأبيات في الأصل.
١ـ في الأصل: (وذاك عني عيب).
٢ـ اجترمته: جنته واقترفته.

(٦٤)

* الأبيات في الأصل.
** الواثق: هارون (الواثق بالله) ابن محمد (المعتصم بالله) ابن هارون الرشيد العباسي، أبو جعفر من خلفاء الدولة العباسية بالعراق، ولد ببغداد وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧ هـ فامتحن الناس بخلق القرآن، وسجن جماعة وقتل في ذلك أحمد بن نصر الخزاعي بيده، شغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد قلوبهم، ومات في سامراء بعلة الاستسقاء، قيل كان مسرفاً في حب النساء ووصف له دواء للتقوية فمرض منه وعولج بالنار فمات محترقاً، كان كريماً عارفاً بالآداب والأنساب طروباً يميل إلى السماع عالما بالموسيقى، وكان كثير الإحسان لأهل الحرمين، توفي سنة ٢٣٢ هـ.
(ابن الأثير ٧ / ١٠، الطبري، ١١ / ٢٤، اليعقوبي٣ / ٢٠٤، الأغاني ٩ / ٢٧٦ ـ ٣٠٠، مروج الذهب ٢ / ٢٧٨ ـ ٢٨٨، تاريخ بغداد ١٤ / ١٥، الأعلام ٨ / ٦٢ ـ ٦٣).

١ـ خليفةَ اللهِ طالتْ عنك غيْبَتُنا عَشْراً وعشراً بعدها أُخَرا
٢ـ فالعَبْدُ يشكو إلى مولاهُ وَحْشَتَهُ لو كان بالعَبْدِ صَبْرٌ بعدَ ذا صَبَرا
٣ـ جَدِّدْ لعَبْدِكَ نوراً يستَضيءُ به من نورِ وَجْهِكَ يجلو السَّمعَ والبصرا
٤ـ لا يَهْتدي لطَريقِ القَصدِ يَسْلُكُهُ من لا تَرى عَيْنُهُ شَمْساً ولا قَمَرا

(٦٥)

وقال في الفضل بن سهل**: (البسيط)

١ـ قِفْ بالمنازلِ والرَّبْعِ الذي دَثَرا فسَقِّها الماءَ من عينيكَ والمطرا
٢ـ بل ما بكاؤكَ في دارٍ تَضَمَّنَها ريْبُ الزمانِ فأجلى أهلَها زُمَرا
٣ـ بلى وجَدْتُ البُكا يشفي إذا طرقَتْ طوارقُ الهَمِّ إنْ سَحّاً وإنْ دَرَرا
٤ـ ما أحسنَ الصبْرَ لو كانَ المُحبُّ إذا حَلَّتْ به نوبَةٌ من دهْرِه صَبَرا
٥ـ كيف العزاءُ ولم يترِكْ له كَبِداً يومُ الفراقِ ولم يتركْ له بصَرا
٦ـ ما زالَ يُشْعِلُ ناراً في جوانحه ويُجْشِمُ المُقْلَتينِ الدمْعَ والسَّهَرا
٧ـ يا دارُ دارُ الأُلى ولَّتْ حُمولُهُمُ لو شئتِ خَبَّرْتِنا عن أهْلِكِ الخَبَرا
٨ـ أينَ الذينَ عَهِدْنا لا نُحِسُّهُمُ ولا نرى منهُمُ عَيْناً ولا أثَرَا
٩ـ قاظوا ربيعَهُمُ في خِصْبِ باديةٍ حتى إذا القَيْظُ ولَّى آثَروا الحَضَرا

---

(٦٥)

* القصيدة في الأصل ، والبيتان ٢٤ ، ٢٨ في الأغاني ٢٣/٥٢، وزهر الآداب٢/٣٩٣ .

** الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس، وزير المأمون وصاحب تدبيره، اتصل به في صباه وأسلم على يده سنة ١٩٠ هـ، وكان مجوسياً، وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً، فكان يلقب بذي الرياستين (الحرب والسياسة)، مولده ووفاته في سرخس (بخراسان)، قتله جماعة بينما كان في الحمام، وقيل: إن المأمون دسهم عليه، وقد ثقل عليه أمره، وكان حازماً عاقلاً فصيحاً من الأكفاء، أخباره كثيرة .

(ابن خلكان ١/٤١٣، الوزراء والكتاب ينظر (الفهرس)، الكامل ٦/٨٥ و١١٨، تاريخ بغداد ١٢/٣٣٩، اللباب ١/٤٤٥، الأعلام ٥/١٤٩).

١٠- فـــقَرَّبوا كلَّ شِمْلالٍ مُخَيَّسَةٍ قـد شـذَّبَ النَّيَّ عن أصْلابِهـا الوبَرا
١١- وكُلَّ قَرْمٍ إذا الحـــادي أرنَّ بهِ ســارَ العِرَضْنَةَ بعــدَ الأيْنِ أو خَطَرا
١٢- يا حاديَ العيْسِ لا تَرْبَعْ فإنَّ لنا بهـا لِحـاقـاً قُبَيْلَ الصُّبْحِ أو سَحَرا
١٣- أمِّمْ بلادَكَ إنَّا قـاصدونَ لهـا ولو نـزلتَ ببطْنِ السِّيْفِ من هَجَرا
١٤- تقولُ والبَيْنُ قد شُدَّتْ ركائبُهُ من شـاءَ هذا لبينٍ أو [به] أمـرا
١٥- احفَظْ مغيبي فإني غيرُ غادرَةٍ أمـا حـفظتَ ولا حُسْنى لمنْ غَدَرا
١٦- فقلتُ والعَيْنُ قد جادتْ مسارِبُها يكادُ يمنَعُ منهـا دمـعُها النَّظَرا
١٧- أنتِ التي سُمْتِني سلمَ العُداةِ وقد يُســالِمُ المرءُ أعــداءً وإنْ وُتِرا
١٨- لولاكِ لم تَسِرِ الوَجْناءُ في بلدٍ لم ألقَ فيـهِ إذا استَنْصَرْتُ مُنْتَصِرا

١٠- في الأصل: (عن أصلابها الوترا).
الشملال: الناقة الخفيفة السريعة. الإبل المخيَّسة: التي خيست للنحر أو القسم. النيُّ: الشحم.
١١- في الأصل: (سار العريضة) وهو وهم.
القرم: فحل الإبل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للضراب، والقرم من الرجال: السيد المعظم.
أرنَّ الحادي: صوَّت وصاح. سار العرضنة: إذا سار بهمة ونشاط. الأين: التعب. خطر في مشيه: اهتز وتبختر.
١٢- في الأصل: (حادي العين) وهو تحريف من الناسخ.
العيس: الإبل التي يخالط بياضها شقرة. لا تربع: أي لا تتوقف، ربع بالمكان: أقام واطمأنَّ وانتظر وتحبَّس.
١٣- أمم بلادك: اقصدها. السيف: ساحل البحر.
هجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وقصبة بلاد البحرين هجر (ياقوت: هجر).
١٦- في الأصل: (دمعها المطرا).
١٧- في الأصل: (سميتني ..... الغداة).
١٨- الوجناء: الناقة العظيمة الوجنتين، أو هي الصلبة، من الوجين وهو الأرض الغليظة.

١٩- بلا دليلٍ ولا عَقْدٍ يُشَكُّ لهــا إلاّ تَعَسُّفَهــــا والصـــــارمُ الذَّكَرا
٢٠- يا ناصرَ الدينِ إذْ رَثَّتْ حبائلُهُ لأنْتَ أكـــــرمُ من آوى ومَنْ نَصَرا
٢١- أعطاكَ ربُّكَ من أفْضالِ نعْمتِه رياســـتينِ ولم تظلمْ بهـــا بَشَرا
٢٢- لو كان خَلْقٌ ينالُ النَّجْمَ من كَرَمٍ إذنْ لنالتْ يداكَ الشـــمسَ والقَمَرا
٢٣- إني شَعَرْتُ فلم أمدَحْ سواكَ ولم أُعْمِلْ إلى غَيـــرِك الإدلاجَ والبُكَرا
٢٤- مـا كـان ذلك إلاّ أنّني رجلٌ لا أقربُ الوِرْدَ حتى أعْرِفَ الصَّدَرا
٢٥- إني متى أظْمَ لا أجْهَرْ براحلتي سَدْمَ المياهِ ولا أطْرُقْ بهـــا الكَدِرا
٢٦- إلاّ مواردَ لا يلقى الغريبُ بها من دونِها ذا يدٍ يهدي لَهُ الحَجَرا
٢٧- إئْتِ المياهَ التي تسقي إذا طُرِقَتْ عَذْباً وتَسْتُرُ من ذي الفـــاقَةِ العَوَرا
٢٨- لم أمتَدِحْكَ رجاءَ المالِ أطْلُبُهُ لكنْ لِتُلْبِسَني التحجيلَ والغُررا
٢٩- إليكَ أعْمَلْتُها تَدْمى مناسِمُها من مَسْحِهـــا المَرْوِ والكَدَّانَ والبَهَرا
٣٠- لم يُبْقِ من نَيِّها عَضُّ النُّسوعِ بها إلاّ تعَسُّفَهـــــــا والناظرَ الحَذِرا
٣١- تخْدي على ثَفِناتٍ يرتَمينَ بها إذا المطِيُّ وَنَى لم تعـــرفِ الخَوَرا
٣٢- لأياً أُنيْخَتْ قليلاً ثم أزعَجَها حـــادٍ إذا مـا وَنَى أمثـــالُهُ انشَمَرا

٢٤- الأغاني: (وليس ذلك إلا أنني رجل لا أطلب الورد) .
٢٥- أجهر: من جهر الأرض، سلكها من غير معرفة .
السدم من المياه: المتغير لطول المكث، والسدم : الماء المتدفق أيضاً .
٢٩- المناسم: جمع مَنْسِم ، وهو طرف خُفِّ البعير.
المرو: حجارة بيض رقاق، وهي ضرب من الصوان. الكدَّان: الحجارة الرخوة النخرة.
البَهَر: انقطاع النفس من الإعياء.
٣٠- النسوع: جمع النسع، وهو سير أو حبل من أدم يكون عريضاً على هيئة أعنَّة النعال تشد بها الرحال.
٣١- تخدي: خدى البعير يخدي، أسرع وزجَّ بقوائمه.
الثفنات: جمع الثفنة وهي من البعير ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ.
ونى: ضعف وتعب وفتر. الخور: الضعف والانكسار.

٣٣– في مَهْمَهٍ لا ترى عَيْنُ البصيرِ به إلاّ حـــواسرَ صَرْعى غُودِرَتْ جَزَرا
٣٤– يعَضُّ من هَوْلِهِ الحادي بأُصْبَعِه ويجـــعَلُ الماءَ دونَ الزَّادِ مُدَّخَرا
٣٥– حتى أُنيخَتْ بأعلى الناسِ منزلةً عندَ الإمـامِ وأعـفـاهم إذا قَدَرا
٣٦– هو الذي فُقِئتْ عينُ الضَّلالِ به لَمَّا تفـاقَمَ أمْرُ الناسِ وانتــشـرا
٣٧– ما زالَ يُلْحِقُها ضَرْماً مُضَرَّمَةً في حومَةِ الموتِ حتى استَنْتَجَ الطهرا
٣٨– قادَ الأعاديَ كُرْهاً خاضعينَ لهُ حـتى أمَرَّ على مـا سـاءهُ المِرَرا
٣٩– أبدى محـارَبَةً ثم انبرى لهُمُ بـالمَكْرِ إنَّ ابـنَ أمِّ الحَرْبِ مَنْ مَكَرا
٤٠– ساقَ الكتائبَ من مَرْوٍ فأوْرَدَها بَطْنَ السوادِ يَجُرُّ الشوكَ والشجرا
٤١– حتى أحَلَّتْ بدارِ المُلْكِ داهيةً شابَ ابنُ عشرينَ منها واشتكى الكِبَرا
٤٢– وابتـزَّتِ الناكثَ المخلوعَ بزَّتَهُ وأوطأتْهُ بسـاطَ الذُّلِّ مُقْتَسَرا
٤٣– وفَرَّقَتْ بـينَ ذي زَوْجٍ وزَوْجَتِه وأنْسَتْ أُمّاً طُفَيْلَيْهـا وإنْ صَغُرا
٤٤– من كُلِّ سابِحَةٍ أو سابحٍ عَنِدٍ نَهْدٍ مـراكِلُهُ من بعـدما ضَـمُرا
٤٥– يظلُّ من وَقْعِ أطرافِ الرماحِ به كـأنَّ فيـها إذا استَعْرَضْتَها زَوَرا
٤٦– لا يتَّقي الطَّعْنَ إلاّ أنْ يَصُدَّكُما صـدَّتْ كريمةُ قومٍ أُسْمِعَتْ هَجَرا

٣٢– في الأصل: (لأيا أتيحت .... ما دوني).
انشمر: جَدَّ وأعجَل.
٣٧– في الأصل: (صما مصرمة).
٤٠– مرو: بلد بخراسان كان المأمون قد وجه جيوشه منها لحرب الأمين، ثم اتخذها عاصمة في أول خلافته.
السواد: سواد العراق وهو ما بين البصرة والكوفة وما حولهما من القرى والرساتيق.
٤١– يشير هنا إلى الحرب التي قامت بين الأمين والمأمون، وما حل ببغداد بسببها.
٤٣ – في الأصل: (أم طفليها).
٤٤– السابح: الفرس السريع. نهد مراكله: واسع الجوف، والمراكل من الدابة: حيث يركلها الراكب، إذا استحثها.
٤٦– في الأصل: (لا يبقى .... تصدكما).
اُسمعت هجرا: أُسمعت الكلام الفاحش.

٤٧- قُبٌّ خِفافُ العُجى تَبْلى فوارسُها قــد صَيَّرَ الطَّعْنُ من لَبَّاتِهــا وقــرا
٤٨- بــكــلِّ أروَعَ خَطَّارٍ بِشِكَّتِه في كــفِّه صــارِمٌ يُفْري بهِ القَصَرا
٤٩- لا يَطْعَنونَ إذا جالتْ خيولُهُمُ إلاّ الحــــوافِرَ واللَّبَّاتِ والثُّغَرا
٥٠- كمْ قدْ تداركْتَنا من قَعْرِ مُظْلِمَةٍ وكم جَبَرْتَ كسيرَ العَظْمِ فانجَبَرا
٥١- وكم سَنَنْتُ لنا في الخيرِ من سُنَنٍ أمــثــالهــا مــا عَلِمْنا تُنْبِتُ الشَّعَرا
٥٢- أنتَ المدَبِّرُ لولا مــا تداركنا مــن يُمْنِ رأيــكَ كُنَّا لــلــردى جَزَرا
٥٣- لم يشْكُرِ الفَضْلَ كُنْهَ الشُّكْرِ إنَّ لَهُ فــضــلاً يُضَاعِفُ أضْعــافــاً إذا شَكَرا
٥٤- لا يجــمعُ المالَ إلاّ رَيْثَ يُتْلِفُهُ ولا يُزَهِّدُهُ فــي الــعُرْفِ مــن كَفَرا
٥٥- لا يقطَعُ الأمْرَ إلاّ من مفاصِله سيَّانَ مــا غــابَ منهُ عنهُ أو حَضَرا
٥٦- كُنَّا نقولُ ألا [يا] ليتَ باقينا والحَيُّ مِنَّا كــمــثلِ المَيْتِ إذْ قُبِرا
٥٧- فالأرضُ بالذَّرِّ من طيبِ الزمانِ لنا تقــولُ يا ليتَ إنَّ المَيْتَ قــد نُشِرا
٥٨- يا ليتَ أنَّا نقيهِ السوْءَ أنْفُسَنا بل ليتَ أعــمــارَنا كــانت لهُ عُمُرا

٤٧- قُبٌّ: جمع أقبّ، وهو من الخيل الضامر البطن الدقيق الخصر. العجى: الجلود.
اللبات: جمع اللبب وموضع القلادة من العنق، أراد صدور الخيل. الوقر: هنا الجروح.
٤٨- الأروع: الفارس الشجاع الذكي الفؤاد والمعجب بحسنه وجهارة منظره.
الشكة: السلاح. يفري: يشق. القَصَر: جمع القَصْرة، وهي أصل العنق.
٤٩- الثُّغَر: جمع ثغرة، وهي نقرة النحر.
٥٢- جزرا: من اجتزروهم في القتال، تركوهم جَزَرا للسباع.
٥٤- في الأصل: (في العرق).
العُرْف: المعروف، وهو خلاف النُّكْر.
٥٥- في الأصل: (شتان ما غاب). وسيان هنا أنسب وأصح.
٥٦ - في الأصل: (ألا ليت).
٥٧- الذر: من ذرت الأرض النبات، أطلعته.
٥٨- في الأصل: (إنا نفيد السوء) وهو تحريف ظاهر.

وقال لي أحمد بن عبد الوهاب** والجاحظ ، وقد ذكرا أن الحسن بن وهب كتب إلى محمد [بن عبد الملك الزيات] وعنده ابن عبد الوهاب، يعتذر من تأخره بتتابع المطر، شعراً أوله:

(أيا ثقةَ الخلائفِ من نِزارِ ... ومن هو للمُلِّماتِ الكِبارِ)

فقال ابن عبد الوهاب: أنا أجيبه، فأجاب بما لم يرضه محمد، وقال: (الوافر)

١- رجَوْنا في التَّحاورِ أنْ تصيرا ... إلى بعضِ التعابثُ والغِفارِ
٢- فلم أرَ فيكم إلاّ سريعاً ... إلى التسليم طَبّاً بالفرارِ
٣- يُزكِّي ذاك عند الوصفِ هذا ... وذا من نحوَ صاحبِه يُداري
٤- فما يدري أضاعَ الحزمُ عندي ... فقَلَّ تَحَفُّظي وفَشا سِراري
٥- أم الأخرى التي لا ذَنْبَ فيها ... فقد يقعُ الجدارُ على الجِدارِ
٦- وإنَّكَ في اجتهادكَ حينَ ترجو ... سقاطاً من خليلكَ ذو اغترارِ
٧- عداكَ بما يقولُ الناسُ فيه ... شطاطُ القولِ عن فَتْلِ القصارِ
٨- فلم تَحْوِ التي خاتَلْتَ عنها ... وأبْتَ وأنتَ مطلوبٌ بثارِ
٩- وقالا ثم قلتُ وذاكَ أيضاً ... إذا ذُكِرَ الذِّمارُ من الذِّمارِ

---

(٦٦)

* القصيدة في الأصل.

** أحمد بن عبد الوهاب: هو صديق الجاحظ، الذي كتب له رسالة التربيع والتدوير، وقد مزج الجاحظ الجد والهزل فيها، وهي أعجب ما كتب في هذا الباب.

٢- الطبُّ: الحاذق الماهر في عمله، يقال: هو طَبٌّ بهذا الأمر، عالم فيه.

٦- السقاط: العثرة والزلَّة.

٧- شطاط القول: بُعده، والفتل: من فتل الحبل إذا لواه.

٨- خاتله مخاتلة: خدعه عن غفلة وراوغه.

٩- الذمار: كل ما يلزمك حفظه وحياطته والدفع عنه.

١٠- خَلَتْ لهما بسَبْقِهما القوافي | مُوَقَّرةً فـفـازا بـالخِيـارِ
١١- ولم تحصَلْ من الألفـاظِ إلاّ | إلى مُسْتَرْذَلٍ أو مُسْتـعـارِ
١٢- جَرَتْ بكما العِتاقُ ففقْتُماني | فـهـا أنا ذا أدبٌّ على حِمـارِ

(٦٧)

وقال أيضاً: (الوافر)

١- ألم تعْجَبْ لُمكْتَئبٍ حَزينٍ | حليفِ صَبابَةٍ وخَدينِ صَبْرِ
٢- يقولُ إذا سألْتَ بهِ بخيرٍ | وكيفَ يكونُ مهجورٌ بخيرِ

(٦٨)

وقال أيضاً: (السريع)

١- بدرٌ بدا في ليلةِ البَدْرِ | في ليلةِ الأرْبَعِ والعَشْرِ

١٠- الخيار: الاسم من الاختيار، ومنه: خيار البيع وغيره عند الفقهاء، وخيار المال: أفضله وأحسنه.

١٢- في الأصل: (العتاق فقسماني) ولا معنى لها.

العتاق من الخيل: النجائب الأصيلة السبَّاقة، واحدها عتيق.

(٦٧)

* البيتان في الأصل. وهما في الأغاني ٢٣ / ٦١.

قال الأصفهاني: أخبرني الصولي، قال: حدثني عون بن محمد الكندي، قال: حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع: وصفني محمد بن عبد الملك للمعتصم، وقال: ما له نظير في ملاحة الشعر والغناء والعلم بأمور الملوك، فلقيته فشكرته، وقلت: جُعلت فداك، أتصف شعري وأنت أشعر الناس؟ ألست القائل: ألم تعجب..... البيتان.

١- الأغاني: (خدين صبابة وحليف صبر).

الخدين: الصديق، والخِدن: الصديق للمذكر والمؤنث، ومنه الآية: ﴿**ولا متخذات أخدان**﴾ [النساء ٢٥]، ﴿**ولا متخذي أخدان**﴾ [المائدة ٥].

(٦٨)

* الأبيات في الأصل.

٢ـ لـذلـك الشَّهْـرِ لـديَّ يــدٌ   لا ينقضي الدهرَ لها شكـري

٣ـ أطلعَ بـدريـنِ وما عَـهْـدُنـا   بـأنْ نـرى بـدرَيْـنِ في شـهْـرِ

٤ـ [رأيـتُ] بـدريـنِ في ليلـةٍ   كلاهُـمـا في ضـوئـهِ يسـري

(٦٩)

وقال أيضاً : (الطويل)

١ـ لَسُكْرُ الهَـوى أروى لعَظْمـي ومَفْصِلـي   إذا ظَميا يا رَوْحُ من سَكْرَةِ الخَمْـرِ

٢ـ وأحسَنُ منـهُ رَجْـعُ المثانـي رفعتـهـــا   مـراجيعُ نغْـمِ الثَّغْـرِ يُقْـرَعُ بالنَّضرِ

(٧٠)

وقــال أيضــاً : حـدثني بعض أصحابنا، أنه استعار كتابا جيدا، كانت منه عنده نسخة جيدة، فكسره**، وردَّ نسخته مكانـه : (الكامـل)

١ـ إنـي نظـرتُ ولا صَوابَ لعـــاقلٍ   فـــيـــمـــا يَهُـمُّ بـهِ إذا لـم يـنظُرِ

٢ـ فــإذا كــتــابُك قــد تُخُيِّرَ خَطُّهُ   وإذا كـــتـــابي لـيس بـالمُتَخَيَّرِ

٣ـ وإذا رسـومٌ في كـتـابِكَ لم تـدَعْ   شـــــــكّاً لُمعْتَنِفٍ ولا لِمُفَكِّرِ

٤ـ نُقَطٌ وأشْكـالٌ تَبيـنُ كــأنَّهــا   نَدْبَ الخُدوشِ تـلـوحُ بـينَ الأسْطُرِ

٤ـ في الأصل : (يا من بدرين) وهو تحريف .

(٦٩)

* البيتان في الأصـل . وهما ساقطان من المطبوعة .

٢ـ يصف غناء المغنية، ولعله أراد بالنضر الشفاه مشبهة بالنضار وهو الذهب، أو الأسنان مشبهة بالفضة . المثاني : من أوتار العود، بعد الأول، واحدها مثنى .

(٧٠)

* الأبيات في الأصـل .

** كسر الكتاب : فرَّق بين أجزائـه، ورتبه على فصـول، ولعل المراد : عبث بالكتاب فأخذ منه الفصول الجيدة وجعل مكانها فصولاً وأوراقاً غيرها غير متقنة من نسخة أخرى .

٣ـ المعتنف : من اعتنف الشيء، جهله، وأتاه ولم يكن له به علم .

٤ـ الندب : أثر الجراح، الخدوش : جمع خدش، وهو الجرح لا يسيل دمه .

٥ـ تُنبِيْكَ عن رَفْعِ الكلامِ وخَفْضه والنَّصْبِ منهُ لحـــاله أو مَصْدَر
٦ـ وتُريكَ ما يُعْيا به فبعيدُهُ كـــقــريبه ومُقَدَّمٌ كَمُؤخَّرِ
٧ـ وإذا كتابُ أخيكَ من ذاكُلِّه عـــارٍ فبِئْسَ لبائعٍ ولِمُشْتَري
٨ـ فاقْبِضْ كتابَ أخيك غيرَ مُنافسٍ فيه وخَلِّ لهُ كتابَكَ واعْذُرِ
٩ـ واعلَمْ بأنَّكَ لا تزالُ مُؤَخَّراً مُسْتأخِراً في العِلْمِ ما لم تُكْسَرِ
١٠ـ إنِّي أرى حَبسَ السَّماعِ على الذي شاركْتُهُ فيه وكَسْرِ الدَّفْتَرِ

(٧١)

وقال أيضاً : (البسيط)

١ـ يا مَنْ رأى صورةً فاقتْ على الصُّوَرِ يا مَنْ رأى قَمَراً أبْهى من القَمَرِ
٢ـ تُخُيِّلَتْ حاسِراً حتى إذا حَسَرَتْ قالَ الصُّدودُ لها : يا هذه استَتري
٣ـ فأبرزتْ ردَناً وارتْ محاسِنَها بفَضْلِه وأزاحتْ عازِبَ الخصرِ
٤ـ نامتْ وبتُّ أُراعي النَّجْمَ مرتَفِقاً يا نومُ حَمِّلْ أما اسْتَحْيَيْتَ من سَهَري

(٧٢)

وقال أيضاً : (الخفيف)

١ـ انْفِ بالخَمْرِ نَعْسَةَ المَخْمورِ واسْقِ يحيى كبيرَنا بالكبيرِ
٢ـ من سُلافٍ تُديرُ طوْقاً من الدُّرْ رِ عليها مُفَصَّلاً بشذورِ

٩ـ في الأصل : (علم بأنك لا نراك) .

(٧١)

* الأبيات في الأصل .
٣ـ الردن : ما غزل من القز أو الخز، والردن : الكُم . عازب الخصر : ما خفي منه .

(٧٢)

* الأبيات في الأصل .
٢ـ السلاف : أفضل الخمر وأخلصها .

٣ـ عَمَرتْ والزمانُ من حِجْرِ أُمٍّ فَضَّلَتْها بالبِرِّ والتَّوْقيرِ
٤ـ فدَّمَتْها المرابياتُ من الدَّهْـ ـرِ فأبقَتْ قليلةً من كثيرِ
٥ـ لستُ في وصْفِها ببالغِ شيءٍ غيرَ أنِّي أُقِرُّ بالتقصيرِ
٦ـ فإذا الكأسُ أقْبَلَتْ فَبنَوْعَيـ ـنِ سُلافٍ مُعَتَّقٍ وسُرورِ
٧ـ غيرَ أنَّ السُّلافَ تُبْصِرُهُ العَيـ ـنُ وهذا يرى بعَينِ الضَّميرِ

(٧٣)

وقال أيضاً: (الرمل)

١ـ إنَّ في الصَّبْرِ لخيراً فاصْطَبِرْ واستَعِذْ باللَّه من سوءِ القَدَرِ
٢ـ اجعَلِ الصَّبْرَ لما تحْذرُهُ جُنَّةً فالصبرُ مفتاحُ الظَّفَرْ
٣ـ كُلُّ مَنْ حُدِّثْتَ عنهُ إنَّهُ نالَ خَيْراً فاعْلَمْنْ أن قد صَبَرْ
٤ـ إنَّ في الصَّبْرِ مُجيراً لك من صولةِ الهَمِّ إذا الهَمُّ حَضَرْ
٥ـ عادَ بالسُّوءِ عليَّ حَذَري ربَّما أدَّى إلى السُّوءِ الحَذَرْ
٦ـ قدَّرَ اللهُ عليَّ أنَّني لا أرى يومَ سرورٍ فأُسَرْ
٧ـ أتجافى عن هَنَاتٍ لو بها مُنِيَ الخَلْقُ جميعاً لانْتَحَرْ

٤ـ في الأصل: (قدمتها المرابيات).
فدمتها: وضعت الفِدام على فم الإبريق، والفدام: ما يوضع على فم الإبريق ونحوه لتصفية ما فيه.
٥ـ في الأصل: (ببالغ يثني) وهو تحريف.

(٧٣)

* القصيدة في الأصل.
٢ـ الجنة: السترة، واستجن: استتر
٥ـ في الأصل: (علي جذري .... السوء الجذر) وهو تصحيف.
٧ـ أتجافى: أصد وأبتعد، تجافى: لم يلزم مكانه. الهنات: السقطات، والشرور والفساد.

٨– إنَّ فـي قَلْبـي ولا ذَنْبَ لـكـم حُرْقَةً أثبـتَهـا فـيـه النَّظَرْ
٩– بصـري جَرَّ على قلبي الشَّقـا فـأراحَ اللـهُ قلـبي مـن بَصَرْ
١٠– زادني شـوقـاً إليكم هَجْرُكم ربَّمـا يـزدادُ شـوقـاً مَنْ هَجَرْ
١١– وعـجـيبٌ أنَّ حُبّي لكمُ صـار ذَنْبـاً عندكم لا يُغْتَفَرْ
١٢– لا يَضِقْ عفوُكَ ما بي [جَلَدٌ] واغْفِري ذنبي وإنْ كـان كَبُرْ
١٣– إنَّ لـلـمـوتِ إلـيَّ سُبُلاً غـيـرَ أنَّ الموتَ يأتي بِقَدَرْ
١٤– لامـنـي النـاسُ عـلى حُبِّكُمُ خـابَ من عَنَّفَ فـيكُمْ وخَسِرْ
١٥– ولكـمْ نَبْلٌ حـدادٌ صُيَّبٌ نَبْلُ حُبٍّ لـم تُفَوَّقْ بوَتَر
١٦– فـإذا مـا شِئْتِ أنْ تَسْتَعْبدي أحـداً أرسَلْتِ سَهْمـاً فَعَقَرْ
١٧– فـهـو عَبْدٌ ليس يَعْدو كُلَّما أوجَبَ المولى عـليـه وأمَرْ
١٨– إنَّني أصـبـحْتُ في حُبِّكُمُ بـينَ حـالينِ كلا الحـالَين شَرْ
١٩– إنَّنـي هِجْرانٍ وبُعْدٍ أجَّجـا فـي بـنـاتِ الـقـلـبِ نـاراً تَسْتَعِرْ
٢٠– اجـعـلي نفـسَكِ لي ناصِرةً لـسـتُ إلاّ بـكِ مـنـكـم انْتَصَرْ
٢١– إنَّ فـي الـهَجْرِ لـداءً مُعْضِـلاً ولَداءُ الحُـبِّ أدْهـى وأمَرّ

(٧٤)

وقـال أيضـاً : (الطويل)

١٠– في الأصل : (وبما يزداد) وهو تحريف من الناسخ .
١٢– كذا جاء صدر البيت في الأصل وهو غير مستقيم .
١٥– تفوق بوتر : يوضع فيه السهم عند الرمي ، والفُوق من السهم : حيث يثبت الوتر منه وهما فوقان .
١٩– بنات القلب : الهموم والأشواق .
٢٠– في الأصل : (اجعلي نفسك لي باصرة) وهي تصحيف ناصرة .
(٧٤)
* الأبيات في الأصل .

١ــ لعمــري لقــد قَرَّتْ عُيونٌ رأيْتُهــا ولكنَّ عيني لـم تُمَتَّعْ من النَّظَـرْ
٢ــ إذا سَخِطتْ أومتْ إلى الدهرِ بالذي تحاوِلُـهُ فـيَّ فلـم يَعْصِهـا القَـدرُ
٣ــ ولا عَيْـبَ إلا أنَّهــا بَشَـرِيَّـــةٌ فلولاهُ كانتْ ثالثَ الشَّمسِ والقمرْ
٤ــ لئنْ كـانَ أشقى اللهُ قوماً بحبِّهِمْ فقـد أسعـدَ اللـهُ المُحِـبَّ إذا قَــدَرْ

(٧٥)

وقــال أيضــاً: (مجزوء الكامل)

١ــ يـــا ذا الـــذي لا أهــجُرُهْ وعـــلـــى الـــقِلـــى لا أعْذُرُهْ
٢ــ مـــاذا يـرِيبُكَ مـن فـــتى يـهـــــوى هَواكَ وتَـقْهَرُهْ
٣ــ أمـــسَيْتَ عـنـهُ مُعْرِضـــاً مـن غـــيـــرِ ذنْبٍ يـذْكُرُهْ
٤ــ فـــبكـى فـــبَلَّ جُيُوبَهُ دَمْعٌ عـلـيـــهِ يُحَدِّرُهْ
٥ــ وأتـاهُ مـن إعـــراضِكُمْ مـــا كــان منـهُ يَحْذَرُهْ
٦ــ أمــسى قــتـيـلاً للهــوى مُتَعَفِّـــراً لا يَقْـــبُـــرُهْ
٧ــ فـــإلى مـــتى وإلى مـــتى مـــوجُ الـصَّبـــابَةِ يَطْمُرُهْ
٨ــ ســألتْ عليــهِ بُحــورُ غُدْ رٍ مـن حـــبـــيبٍ يـقْهَرُهْ
٩ــ فـــيظلُّ يطفـــو وسطَهـــا طَوْراً وطـــوراً تَغْمُرُهْ

٣ــ في الأصل: (ولا عيت) وهو تصحيف.

(٧٥)

* القصيدة في الأصـل.
١ــ القـلى: الكره والبغض
٢ــ في الأصل: (هواك ويقهره).
٤ــ الجيوب: جمع جيب وهو فتحة القميص الذي يدخل منه الرأس عند لبسه.
٧ــ الصبابـة: الشوق والحنين والميل إلى الفتوة.
٩ــ في الأصل: (فيظل يسطو) وهو تحريف لا يناسب المعنى المراد.

١٠– قـــد قـــالَ لمّا شَفَّهُ	منكَ الجـفـاء وأضـمَرَهُ
١١– إنْ كنتُ قـد أذنَبْتُ ذَنْـ	ـبـاً نورَ عـيني فـاغْفِرهْ
١٢– ولقـد صَنَعْتَ إليَّ فـيـ	ـمـا فـاتَ مـا لا أكْفُرُهْ
١٣– وشكَرْتُ مـا أوْلَيْتَني	والحَقَّ مـثلي يَشْكُرُهْ
١٤– فـارحَمْ أسـيرَكَ إذْ دعـا	كَ نصـيـرُهُ لا تَنْهَرُهْ
١٥– إنْ كنتَ مـالِكَ رِقِّه	فـالطُفْ بِـه لا تـغْدِرُهْ
١٦– لا تَجْفُهُ فـيسـوؤهُ	وإذا دعـا لا تَزْجُرُهْ
١٧– إنَّ الفُؤاد عليـه كَـ	ـفٌّ هوى لِحُبِّكَ تَعْصِرُهْ
١٨– يدمـيـه منهـا ظفرُها	وإذا تـضَرَّعَ تَقْشُرُهْ
١٩– وبطَرْفِ عـينكَ سـاحِرٌ	فـفُتـورُ عَيْنكَ يَسْحُرُهْ
٢٠– ولكأسِ عُذْرِكَ شـربةٌ	فـيـهـا تصولُ فـتُسْكِرُهْ
٢١– قـد كـادَ يظهَرُ سِرُّهُ	لـولا الحِفـاظُ يُغَيِّرُهْ
٢٢– اذْكُرْ جـمـيلَ حِفـاظِه	ووفَـائِـه لا تَكْفُرُهْ
٢٣– بـالـلـه لا تُغْلِظْ لَهُ	في القـولِ منكَ فـتَكْسِرُهْ
٢٤– ولقـد كسـرتَ نشـاطَهُ	وأذَقْتَهُ مـا أسْهَرَهْ

(٧٦)

وقال، وكتب إلى الحسين بن المرزبان النحاس: (المتقارب)

١٠ـ شفه الجفاء: أنحله الصدود وأسقمه.

١٢ـ لا أكفره: لا أجحده وأنكره، وأصل الكفر: التغطية والستر، ومنه كفر الزارع الحب إذا غطاه وأخفاه.

١٨ـ كذا في الأصل: (تقشره)، ولعلها: تقسره، من القسر، الغلبة والقهر.

٢٠ـ تصول: من الصولة السطوة في الحرب ونحوها.

٢٢ـ لا تكفره: لا تنكره.

(٧٦)

* الأبيات في الأصل.

١ـ فديتُـكَ إنَّ انبساطـي إليــ ـكَ عِلْمي بأخلاقكَ الطاهرهْ
٢ـ وإنَّ يميني على كلِّ ما حَـ ـويـتَ مُسَلَّطـةٌ قـادرهْ
٣ـ وقد أسْرَفَتْ هذهِ في المجو نِ ولا بُدَّ من نَيْكها الفاجِرهْ
٤ـ فسَبِّبْ فديتُكَ في نيكها فإني أرى رِجْلَها شاغِرهْ
٥ـ وقَدِّرْ لها تِسْعَةً عندنا ونأتيكَ في الليلةِ العاشِرهْ

(٧٧)

وقال محمد بن عبد الملك الزيات : (الرمل)

١ـ سَلْ دِيارَ الحَيِّ مَنْ غَيَّرَها وعفاها وعَفَى منظَرَها
٢ـ وكذا الدنيا إذا ما انقلبَتْ جعلَتْ معْروفَها مُنْكَرَها
٣ـ إنَّما الدنْيا كظِلٍّ زائلٍ أحْمَدُ اللهَ كذا قَدَّرَها

(٧٨)

وقال أيضاً : (الطويل)

٣ـ في الأصل: (أشرفت هذه في المجوت) وهو تحريف واضح.

(٧٧)

* الأبيات في بهجة المجالس٣/٢٩٧، ووفيات الأعيان ٥/١٠١، والأغاني ٢٣/٧٤ وتاريخ بغداد ٣/١٤٦، وورد البيت الثالث في ديوان أبي العتاهية ص١٨١ ط بيروت ١٩٩٧ من قطعة.

** قال أحمد الأحول: لما قبض على محمد بن عبد الملك، تلطفت في أن وصلت إليه فرأيته في حديد ثقيل، فقلت : أعزز عليَّ ما أرى ، فقال: سل ديار الحي.... الأبيات.

١ـ الأغاني وتاريخ بغداد: (ما غيرها.... ومحا منظرها).

٢ـ تاريخ بغداد: (وهي الدنيا)، الأغاني: (وهي اللاتي).

٣ـ الأغاني وتاريخ بغداد: (نحمد الله كذا قدرها).

(٧٨)

* القصيدة في الأصل.

١- ألا مَنْ عـذيرُ النفسِ مِمَّنْ يلومُها ... على حُبِّهـا جَهْلاً ألا مَنْ عـذيرُها
٢- تذكَّرْتُ أيامـاً تولَّى سُرُورُها ... فـدَرَّ لعَيْني عندَ ذاكَ دَرورُها
٣- فـبِتُّ كـأنِّي بالنجـومِ مُوكَّلٌ ... أُقلِّبُ منهـا مُقْلَتي وأديرُها
٤- كـأنَّ بناتِ النَّعْشِ باسِطُ كَفِّه ... وقـد مَدَّ كَفّاً للسؤالِ فـقيرُها
٥- كأنَّ الثُّرَيَّا في الدَّجى واجتماعَها ... عـصـابةُ طَيْرٍ فَزَعَتْهـا صُقُورُها
٦- يخالُ بها النَّسْرُ الذي هو واقِعٌ ... أثافيَّ لم يُنْصَبْ عليـها قُدورُها
٧- ألا يا لها من ليلةٍ حارَ نجمُها ... وغابَ الكرى فيها وطالَ قصيرُها
٨- تذكَّرْتُ أياماً تولَّتْ حميدةً ... فـعـادَ لنفـسي بثُّها وزفيرُها
٩- ليـاليَ كـانت من تُحبُّ أميرةً ... عليكَ ومـولاةً وأنتَ أميرُها
١٠-وكانت أسيراً في وِثاقكَ ينتهي ... إلى كلِّ مَنْ تهوى وأنتَ أسيرُها
١١- فأعقَبْتُ أياماً جَرَتْ بمساءتي ... قـر [يبةَ بؤسٍ] واستشاطَ غيورُها
١٢- وفي الصَّدْرِ مني غُصَّةٌ لا أحيرُها ... وفي الصَّدْرِ منها غُصَّةٌ لا تحيرُها
١٣- دهاني وأياها العُداةُ فأصبحتْ ... وقد أُسْبِلَتْ دوني عليها ستورُها

١- في الأصل: (من عذرها).

٤- بنات نعش: سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالي، شبهت بحملة النعش.

٥- الثريا: مجموعة من النجوم في صورة الثور، وكلمة النجم علم عليها.

٦- النسر: ويسمى النسر الطائر، مجموعة من النجوم معروفة بمشابهتها للنسر، والنجم ذو القدر الأول منها يسمى الطائر، والنسر الواقع: النجم ذو القدرالأول في مجموعة النجوم التي تسمى الشِّلياق، وكلا النسرين في النصف الشمالي من القبة السماوية.

٨- البث: الحال، وأشد الحزن الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه، والمرض الشديد لا يصبر عليه صاحبه.

١١- في الأصل: (قريب واستشاط).
استشاط غيورها: اشتد غضبه.

١٢- الغصة: ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب. وحارت الغصة: انحدرت كأنها رجعت من موضعها، وحارت: ترددت وتحدرت.

١٤- وكانت وأبوابٌ لها خمس عشرة ... تطولُ عليـهـا ليلةً لا أزورُها
١٥- وكنتُ أثيـراً عندهنَّ يَرَيْنَني ... كتُفاحةٍ قد فُضَّ فيها عبيرُها
١٦- وكانتْ علاماتي إليها تنَحْنُحي ... ويُنذِرُها من حسِّ نَعْلي صريرُها
١٧- وكانتْ إذا ما جاء غيري تستَّرَتْ ... وكـان لديَّ بذْلُها وسُتُورُها
١٨- فأصبحتُ أرضى بالقليلِ وربَّما ... طلبتُ فلم يَعْسُرْ عليَّ كثيرُها
١٩- وأعْزِزْ عليها أنْ تكونَ إشارتي ... إليها بطُهْرٍ لا يُجابُ مُشيرُها
٢٠- تطاولتِ الأيامُ منذُ رأيْتُها ... فكانتْ عليَّ كالسنين شُهورُها
٢١- ولو أنَّ ما ألقى من الوَجْدِ ساعَةً ... بأجْبالِ رَضْوى هُدَّ منها صُخُورُها
٢٢- ولو أنَّ ما ألقى من الوجْدِ ساعةً ... برُكْنَي ثَبيرٍ ما أقامَ ثَبيرُها
٢٣- ولو أنَّني أُدْعى لدى الموتِ باسمِها ... لعاد لنفسي - باذن ربي - نشورُها
٢٤- أعَلِّلَ نفسي بالأماني مخافَةً ... عليها إذا ما الشوقُ كادَ يُطيرُها
٢٥- وأدعو إذا ما خِفْتُ أنْ يَغْلبَ الهوى ... عليها غرامي باسْمها وسميرُها
٢٦- فإنْ تكنِ الأيامُ أعشَتْكَ نقمَةً ... فقد أدبَرَتْ أعجازُها وصُدُورُها
٢٧- وإني لآتي الشيءَ من غيرِ علْمِها ... فيُخْبِرُها عنِّي بذاكَ ضميرُها
٢٨- وقد زعمتْ أني سمحْتُ لغيرها ... بوصْلٍ ولا والبُدْنِ تَدْمى نُحورُها
٢٩- ورَبِّ المنايا لا أميلُ زيارتي ... إلى غيرِها أُنْثى ولا أسْتَزيرُها

١٥- فض فيها عبيرها: انتشر فيها العبير وتفرق.

٢١- رضوى: جبل بالمدينة قال عرام بن الأصبغ السلمي: رضوى جبل، وهو من ينبع على مسيرة يوم، ومن المدينة على سبع مراحل، ميامنه طريق مكة، ومياسره طريق البريراء لمن كان مصعدا إلى مكة، وهو على ليلتين من البحر ويتلوه عزور (ياقوت: رضوى).

٢٢- ثبير: جبل بالحجاز، وهناك أكثر من جبل سمي بثبير وكلها بمكة، وثبير أيضا: موضع في ديار مزينة، وقال نصر: ثبير من أعظم جبال مكة بينها وبين عرفة، وقال الأصمعي: ثبير الأعرج هو المشرف بمكة على حقّ الطارقيين، قال: وثبير غني وثبير الأعرج وهما حِراء وثبير (ياقوت : ثبير).

٢٨- البُدْن: جمع بدنة، الناقة أو البقرة تنحر بمكة قربانا، وكانوا يسمنونها لذلك.

٣٠- ولكنَّني كَنَّيْتُ عنهـا بغـيـرِها مـخـافـةَ عَيْنٍ لا ينامُ بصـيـرُها
٣١- عليَّ نُذورٌ جَمَّةٌ في لِقـائها فـلـيـتَ نـذوري أوجَبَتْ ونُذُورُها
٣٢- أما من مُشـيـرٍ سَدَّدَ اللهُ رأيَهُ يرى أنَّ فـيـهـا حـيلةً لا يضـيـرُها

---

٣٠ ـ في الأصل: (ولكنني عنيت).

(حرف السين)

(٧٩)

وقال أيضاً: (الكامل)

١ـ سُقْياً لمجلسِنا الذي جمعتْ بهِ ... طُرَفُ الحديثِ وطاعَةُ الجُلاَّسِ

٢ـ ظَلْنا ويحيى كالمؤَمَّرِ بيننا ... نُسْقى ونشْربُ تارةً بالكاسِ

٣ـ نِصْفَيْنِ يَشْرَبُ بعْضُنا من قَهْوةٍ ... صِرْفٍ تُضيءُ كَشُعْلَةِ المِقْباسِ

٤ـ والآخرونَ على النبيذِ عُكوفُهم ... شَتَّانَ إنْ قِسْناهُما بقِياسِ

٥ـ ثِنْتانِ بينهُما التي شَبَّهْتُها ... بقَضيبِ آسٍ بينَ غُصْنَيْ آسِ

٦ـ ما كانَ عَيْبٌ غيرَ أنَّكَ لم تكُنْ ... يا ابنَ الذّؤابةِ من بني العَبَّاسِ

٧ـ وإذا ذَكَرْتُكَ أو عَلِيّاً لم أزَلْ ... حَزْنانَ من كَمَدٍ ومنْ وِسْواسِ

(٨٠)

وقال [في العباس بن المأمون]: (السريع)

---

(٧٩)

* الأبيات في الأصل.

١ـ في الأصل: (طاعة الجلوس).

٣ـ القهوة: الخمر. المقباس: العود ونحوه تُقبس به النار.

٤ـ النبيذ: شراب مسكر يتخذ من عصير العنب أو التمر أو غيرهما ويترك حتى يتخمَّر.

٦ـ الذؤابة: من كل شيء أعلاه، وذؤابة القوم: شريفهم والمقدم فيهم.

(٨٠)

* البيتان في الأصل.

١ـ العباس بن المأمون: هو العباس بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، أمير عباسي ولاه أبوه الجزيرة والثغور والعواصم سنة ٢١٣هـ ولما توفي المأمون وولي المعتصم، امتنع كثير من القواد والرؤساء من مبايعته، ونادوا باسم ابن أخيه العباس بن المأمون، فدعاه المعتصم إليه وأخذ بيعته، فخرج العباس وسكن الناس، وأقام إلى أن خرج المعتصم إلى الثغور، فاتفق العباس مع بعض القواد على قتله، فعلم المعتصم فقبض عليه وعلى أصحابه وعذبه وسجنه إلى أن مات بمنبج سنة ٢٢٣ هـ. (ابن الأثير حوادث سنة ٢٢٣ هـ).

١ــ مـا وقـعَ العـبَّـاسُ في مثلِهـا   بُعْـداً وإرْغـامـاً لعَـبَّـاسِ
٢ــ يُـريـدُ أنْ يـأخُـذَهـا عَـنْـوَةً   عـذَرْتُ لو كانَ من الناسِ

(٨١)

وقـال في غـلام: (السريع)

١ــ راحَ علينـا راكِبـاً طِـرْفَـهُ   أغْـيَـدُ مثْـلُ الـرشـأ الآنـسِ
٢ــ قد لَبِسَ القُـرْطَقَ واسْتَمْسَكتْ   كـفَّـاهُ من ذي بَـرَقٍ يـابِـسِ
٣ــ وقُـلِّـدَ السيفَ علـى غُـنْجِـهِ   كـأنَّـه في وَقْعَـةِ الـدَّاحِـسِ
٤ ــ كـأنَّـهُ مـن تيهِـهِ طـاهِـرٌ   لمـا سطـا بالملِـكِ السادِسِ
٥ــ أقـولُ لـمَّـا أنْ بـدا مُـقْبِـلاً   يا ليتـنـي فـارِسُ ذا الـفـارِسِ

---

(٨١)

* الأبيات غير الرابع في الأغاني ٢٣ / ٦٨، والأبيات ١، ٤، ٥ في الدر الفريد ٢ / ٣٧٠، وروى أبو الفرج الأصفهاني قال: اجتاز بديع غلام عُمير المأموني، بمحمد بن عبد الملك الزيات، وكان أحسن خلق الله وجهاً، وكان محمد يحبه ويجن به جنوناً، فقال: راح علينا..... الأبيات.

١ــ الدر الفريد: (مر علينا راكبا طرفه). الطِّرف: الكريم من الناس والخيل ونحوها، وأراد هنا الفرس الأصيل. الأغيد: الوسنان المائل العنق، والمتثني في نعومة. الرشأ: ولد الظبية إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه.

٢ــ القرطَق: القَباء، معرب كُرْتَه، وقد تُضَمُّ طاؤه. (اللسان: قرطق)

٣ــ الغنج: الدلال وملاحة العينين. الداحس: فرس كان بسببه وبسبب الغبراء معارك في الجاهلية عرفت بداحس والغبراء بين عبس وذبيان.

٤ــ طاهر: هو طاهر بن الحسين قائد المأمون الذي احتل بغداد وقتل الأمين، وهو سادس الخلفاء العباسيين.

٥ــ الدر الفريد: (كم قلت إذ مر بنا فارسا).

وبعده في الدر الفريد قال: ومثله سواءً:

مرَّ على مُهْـرٍ لـه أصفـرٍ   يختـالُ مثل الذهبِ الذائـبِ
سكرانُ إنْ مـالَ بـه سرجُهُ   من جـانـبٍ مـال إلـى جانـبِ
فقلت لـمَّا أنْ بـدا راكبـاً   يا ليتني راكِـبُ ذا الراكِـبِ

(حرف الضاد)

(٨٢)

وقال أيضاً: (الهزج)

١- شَفَيْنا المَطْلَ بالنُّجْحِ	وجئناكَ بها رَكْضا
٢- كُمَيْتاً تَنْفَحُ المِسْكَ	إذا خاتَمُها فُضّا
٣- ولا تبغي بها عَرَضاً	ولا تَجْعَلُها فَرْضا
٤- [ألا لا هُمَّ] إلاّ أنْ	يكونُ القَرْضُ ما ترضى
٥- فإنَّ الناسَ مَنْ صادَ	فَ شيئاً طَيِّباً غَضّا
٦- ولا سيما إذا ما كا	نَ شيئاً أبيضاً بَضّا
٧- وإنْ شئْتَ فإنَّ الشُّكْـ	ـرَ منكَ الحاضر الغَضّا
٨- رضاً ما لم يكُنْ سيلاً	علينا منكَ مُنْقَضّا
٩- فلا نَسْطيعُ بالأمْرِ	إذا استَوْجَبْتَهُ نَهْضا
١٠- ومن يَسْطيعُ أنْ يَجزِ	يَ شُكْراً يملأُ الأرْضا
١١- ولكِنّا نَسَخْناكَ	لما نقْضي بهِ الفَرْضا

---

(٨٢)

* القصيدة في الأصل.

١- المطل: اخلاف الوعد والتسويف والتأجيل.

٢- في الأصل: (يفح المسك).

تنفح المسك: تنشر رائحته. خاتمها فضا، أي: كُسر وفتح فم الزق، ويكون عادة مختوماً بالطين والقار.

٣- في المطبوع: (ولا تجعلها فرضا).

٤- في الأصل: (اللهم إلا أن) وفيه نقص.

٦- البض: الممتليء الرقيق النضر.

٩- في الأصل: (فلا تستطيع).

١٠- في الأصل: (ومن يستطيع).

١٢– بـعـينِ الـبَذْلِ والإفْضـــــا ل بـــالمـــدْحِ الـــذي يُرْضَى
١٣– فـــيَجْزيْكَ بـذا بَعْضـــاً ويَجْزيْكَ بـذا بَعْضــــــــا
١٤– وإلاّ خِفْتُ أنْ يُفْسِـــــــــ ـــدَنـا الـدَّيْنُ فـــــلا يُقْضـى

(٨٣)

وقال في التنور الذي عُذِّب فيه: (الخفيف)

١ـ هيْضَ عَظْمي الغداةَ إذْ صِرْتُ فيه إنَّ عَظْمي قد كانَ غيرَ مَهِيضِ
٢ـ ولقـد كُنْتُ أنْطقُ الشعْرَ دَهْراً ثـم حالَ الجريضُ دونَ القرِيْضِ

١٤ـ في الأصل: (وإلا خفت أن تفدمنا).

(٨٣)

* البيتان في المحاسن والمساوىء ص ٥٣٣.

١ـ هاض العظمَ: كسره بعدما كاد ينجبر.

٢ـ الجريض: جرض بريقه جرضاً، ابتلعه بالجهد على هَمٍّ وحزن، وغصَّ به. وعجز البيت مأخوذ من قول عبيد بن الأبرص لما طلب منه الملك المنذر بن ماء السماء أن ينشده قبل قتله وذلك في يوم بؤسه، فقال: حال الجريض دون القريض.

(حرف العين)

(٨٤)

وقال أيضاً: (الطويل)

١ـ أُتيحَ من الحَيْنِ المُتاحِ لقلبِهِ ... ثلاثةُ أنواعٍ وآخرُ رابعُ

٢ـ فراقٌ وهِجرانٌ وليلٌ كأنَّما ... تُجاذِبُهُ الإصْباحَ أيْدٍ نوازِعُ

٣ـ وإنِّي متى أنْظُرْ إلى من أُحِبُّهُ ... أشارتْ من الأعداءِ نحوي الأصابعُ

٤ـ فلا البينُ مأمونٌ ولا الهَجْرُ مُبْعِدٌ ... ولا يفْتِرُ الواشي ولا الصُّبْحُ ساطِعُ

(٨٥)

قال محمد بن عبد الملك في المال الذي كان المأمون فرَّقه ببلاد الروم: (الكامل)

١ـ ذوقوا حلاوةَ فَقْدِها وتعلَّموا ... أنَّ الأسِنَّةَ بعد ذلك شُرَّعُ

٢ـ فإذا وفَيتمْ فهي خَيْرُ بلادِكُمْ ... وإذا غَدَرْتُمْ فهي سُمٌّ مُنْقَعُ

(٨٦)

وأنشد ابنه [أبو] مروان لأبيه محمد: (البسيط)

١ـ أمَّا شبابي فلم أذْمُمْ صحابَتَهُ ... والشَّيْبُ حين علاني زادني ورَعَا

٢ـ أصبحتُ بينَ الفتى والشيخ مرْتَدِياً ... ثوبَ الشبابِ بثوبِ الشَّيْبِ مُقْتَنَعا

---

(٨٤)

* الأبيات في الأصل.

٣ـ في الأصل: (نحو الأصابع).

(٨٥)

* البيتان في الأصل.

٢ـ سم منقع: بالغ ثابت مميت.

(٨٦)

* الأبيات في الأصل.

٣ــ في الشيبِ عافيةٌ ما لم يكُنْ صَلَعٌ فــإنَّ ذاكَ وذا عَــارٌ إذا اجتَـمَـعَــــا
٤ــ لونُ المشيـبِ إذا مــا شِبْــتُ يستُــرُهُ لونُ الخَضابِ فما[ذا] يستُرُ الصَّلَعا

(٨٧)

* وقـال في عيسى بـن زينـب : (البسيط)

١ــ يا أنفَ عـيسى جزاكَ اللهُ صالحةً وزادكَ اللّهُ إشْراقـــــاً ومُتَّسَعـــــا
٢ــ نعمْ ولا زِلْتَ تجـري فـيكَ أوديةٌ مِــن المُخـــــــــاطِ رواءٍ يـطَّرِدْنَ مَعَا
٣ــ حِصْنٌ حَـــصِينٌ وعِزٌّ لو تـنـاوَلَهُ كِسْرى المُلُوكِ أنـو شَرْوانَ لامْتَنَعـــــا
٤ــ تركتُ عيسى فما عِنْدي مُخاطبَةٌ لهُ وخـــاطَبْتُ أنْفـــاً طالَ وارْتَفَعـــا
٥ــ عـــيـسى غُلامٌ ولكـنْ أنْفُهُ رَجُلٌ والقـرنُ يحـسنُ منهُ كلَّ مـا صَنَعـا
٦ــ رأيْتُ أنْفـــاً ولم أعلمْ بصـــاحِبِه فقلتُ : مَنْ صاحبُ الأنفِ الذي طلعا
٧ــ قالوا فتى غابَ فيه قلتُ واعَجبي مــا إنْ رأى مِثْلَ ذا راءٍ ولا سَمِعـــا
٨ــ يا وَيْلَكُمْ أخـرِجُوهُ قـال ناطقُهم هَيْهـاتَ مـا إنْ نرى في نَيْلِه طَمَعـا
٩ــ الجُبُّ أبعـــــدُ غَوْراً حينَ تَطلُبُهُ من أنْ تَنالَ حبا [لُ] القومِ مَنْ ضَرَعا
١٠ــ فلو تراني على أنْفٍ أنوحُ بهِ على فـتىً زَلَّ في خـيـشـومِهِ قطَعـا
١١ــ بَيْنا كـذلكَ إذْ جـالَتْ غَوارِبُهُ بمَخْطِهِ فـإذا عـيـسونُ قـد رَجَعـا

٤ــ في الأصل : (كوم المشيب) وهو من وهم الناسخ .
في الأصل : (فما يستر الصلعا) وفيه نقص .
بعد هذا البيت في الأصل قوله : (مضى ما أخذ من اختيار الجاحظ ، ومن كتاب أبي الحسين الخصيبي) .

(٨٧)

* القصيدة في الأصل .
٧ــ في الأصل : (وأعجبني) .
٩ــ في الأصل : (حبا) الكلمة ناقصة . ضرع : غاب ، من ضرعت الشمس إذا غابت .
١١ــ عيسون : هو عيسى بن زينب الذي يسخر من أنفه .

١٢– فقلتُ: خيرٌ فقد عاينتَ ما قَصَرَتْ   عنهُ العُيـونُ وقـدْ أبْعَدْتَ مُنْتَجَعـا
١٣– فقـالَ: مـا زلتُ في ليلِ وفي لَثَقٍ   وفـي أمـورٍ أذاقَتْني الردى جُرَعـا
١٤– فقلتُ: يا أهلَ عيسى إنَّني رجلٌ   أبدى النصيـحـةَ إنِّي مُشْبَعٌ وَرَعـا
١٥– لا يبْرَحَنَّ لكم حَبْلٌ يُشَدُّ به   وَسْطَ الغُلامِ قـريبـاً كـان أو شَسَعـا
١٦– لتَجْذِبوهُ بـهِ من جَوْفِ مَنْخرِهِ   فـتُخْرِجُوهُ بـهِ يومـاً إذا وقَعـا

(٨٨)

وقال أيضاً: (المنسرح)

١– كـان ابتدائي بحُـبِّـهِ وَلَعَـا   حتى صنع بـي هواهُ ما صَنَعا
٢– أطمعني فيكَ حُسنُ ظَنِّكَ بي   لا خيَّـبَ اللـهُ ذلـك الطمعا
٣– وكـلُّ مـن فـي فُـؤادهِ وَجَـعٌ   يطلبُ شيئاً يُسَكِّـنُ الوَجَعا
٤ – يا قابِـلاً فـيَّ كـلِّ ما سَمِعـا   لَم يَدَعِ اليأسُ فيكَ لي طَمَعا
٥– اعمـل في الطرفِ طرفَ والهةٍ   لعـلَّ طرفـي عليـكَ أنْ يَقَـعـا

(٨٩)

وقـال: (الرمـل)

١– لـم يزدنـي العَـذْلُ إلاّ وَلَعـا   ضَرَّنـي أكثـرَ مِمَّـا نَفَعَـا

١٢– في المطبوعة: (ما رجعت).
١٣– اللثق: الماء والطين المختلطان، يقال: مشينا في لثق، أي: في وحل.
١٥– شسع: بَعُد، الشاسع: البعيد.

(٨٨)

* الأبيات في الأصل. وعجز البيت الأول مختل الوزن.

(٨٩)

* الأبيات في الأصل.

٢ـ ذهبَتْ بالقلبِ عَيْنٌ نظَرَتْ   لَيْتَها كانتْ وإيَّاهُ مَعَا

٣ـ أو بَراها الشوقُ حتى لا ترى   حَتْفَها يا ليتَ قلبي رَجَعا

٤ـ كلَّ يومٍ ليَ منها آفَةٌ   تركَتْني للهوى مُتَّبَعا

(٩٠)

وقال أيضاً: (الهزج)

١ - إذا أحْبَبْتَ لم أسْلُ   وإنْ واصَلْتُلم أقْطعْ

٢ - وإنْ عَنَّفَني الناسُ   تصامَمْتُ فلم أسْمَعْ

٣ - وقد جَرَّبْتُ ما ضَرَّ   وقد جَرَّبْتُ ما يَنْفَعْ

٤ - فلا مثْلُ الهوى أنْـ   ـهَكُ للجِسْمِ ولا أضْرَعُ

٥ - ولا كالهَجْرِ لا أوْحى   إلى الموتِ ولا أسْرَعْ

٦ - وقد أوجَعَني العَذْلُ   ولكنَّ الهوى أوْجَعْ

٧ - وكانت قُوَّتي في الحُـ   ـبِّ قَبْلَ الفِعْلِ فاسْتَجْمعْ

٨ - فلَّما رُمْتُ أنْ أسْـ   ـلوَ عن حُبِّيكِ صارتْ مع

٩ - وهذا عدمُ العَقْلِ   فما أسْطيعُ أنْ أصْنَعْ

١٠ - فلا واللهِ ما عندي   لِما قد حَلَّ بي مَدْفَعْ

١١ - ولا لي عندكمْ مَغْدى   ولا لي دونَكُمْ مَرجَعْ

٣ـ براها الشوق: أهزله وأسقمه.

(٩٠)

* القصيدة في الأصل. والأبيات غير العاشر في الأغاني ٢٣ / ٧٥ مع خلاف في الرواية.

١ـ أسلو: من السلوان، سلا سلواً وسلواناً: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

٤ـ أضرع: من الضرع وهو الضعف والذلة والخضوع.

٥ـ أوحى: من الوَحِيِّ، وأمر وحي: عجل مسرع.

٩ـ في الأصل: (فما استطيع) ويختل الوزن بوجود التاء.

١٢- ولا فيَّ لهجرانِـ ـكَ لولا ظُلْمُكُمْ موضعْ
١٣- وهلْ لي ناصرٌ منكِ إذا جَدَّ بيَ المَفْزَعْ
١٤- فلا لي جَسَدٌ يَبْلى ولا لي مُقْلَةٌ تَدْمَعْ

(٩١)

وقال أيضاً: (الرجز)

١- أبكى الفتى بعدَ الخليطِ مَرْبَعُهْ وكادَ وَجْدُ القلْبِ منهُ يَصرَعُهْ
٢- حتى جرى جَرْيَ الجُمان أدْمُعُهْ والحبُّ داءٌ عاجلاً سيَصْرَعُهْ
٣- طالَ البُكا لو أنَّ ذاكَ يَنْفَعُهُ من حُبِّ مَنْ تُقْنِعُها وتُقْنِعُهْ
٤- أوْلَعَها اللهُ به وأوْلَعَهْ فليسَ يجفوها وليستْ تَقْطَعُهْ
٥- ليستْ كَمَنْ يخْدَعُها وتَخْدَعُهْ يُطْمِعُها بباطلٍ وتُطْمِعُهْ
٦- لكنْ لها منهُ الوصالُ أجْمَعُهْ فمَضْجَعٌ مَضْجَعُها ومَضْجَعُهْ
٧- يرْفَعُها طوْراً وطَوْراً ترفَعُهْ يحْشُرُها اللهُ إذا ماتَتْ مَعَهْ

(٩٢)

وقال: (الطويل)

١١- المغدى: من الغداة، ما بين الفجر وطلوع الشمس، والمغدى هنا: وقت الذهاب.
١٣- المفزع: ما يفزع منه، والفزع: الخوف والذعر، والمفزع: من يُلجأ إليه عند نزول الخطب.
١٤- في الأصل: (ألا لي جسد) وما أثبتناه أصح.

(٩١)

* الأبيات في الأصل.
١- المربع: الموضع يُقام فيه زمن الربيع. الوجد: الحزن، والوجد: الحب.
٢- الجُمان: اللؤلؤ.

(٩٢)

* الأبيات في الأصل. والأبيات في الأغاني ٢٣/ ٦٢ والزهرة ١/ ٢٢٠، والبيتان ١، ٣ في عيون الأخبار ١/ ٢٩٠ - ٢٩١، وجاء في الأغاني: أخبرنا الصولي قال: حدثنا محمد بن موسى عن الحسن بن وهب، قال: أنشد أبو تمام محمد بن عبد الملك قصيدته التي يقول فيها:
لهان علينا أن نقول وتفعلا

١ـ رأيتُكَ سَمْحَ البَيْعِ والعِلْقُ إنَّما يُغَالى بـه إنْ ضَنَّ بالعِلْقِ بائِعُـهْ
٢ـ وأحْرِ بِمَنْ هانَتْ بَضائعُ مالـهِ لدى البيعِ يوماً أنْ تَبُورَ بضائعُهْ
٣ـ هـو الماءُ إنْ أجْمَمْتَهُ طابَ وِرْدُهُ ويُفْسِدُهُ أنْ تُسْتَباحَ شرائعُـهْ

(٩٣)

وقال أيضا في عيسى بن زينب : (المجتث)

١ـ قـــولا لأنْفٍ وقُزْعــه أخطـاكُمـا وزْنُ سَبْعَهْ
٢ـ مـا شـابَ رأسي ولا لي والحـمـدُ لله صَلْعَهْ
٣ـ لـكـنْ جَبِـيـني رَحْبٌ ومـقـدمي فـيـه نَزْعَهْ

فأثابه عليها، ووقع عليه : رأيتك سهل البيع . . . . الأبيات، فأجابه أبو تمام وقال :

أبا جعفرٍ إنْ كنتُ أصبحتُ شاعراً يسامحُ في بيعي له مـن أبايعـهْ
فقـد كنـت قبلي شاعـراً تاجـراً بـه تساهل من عادت عليك منافعه
فصرت وزيـراً والـوزارة مكـرعٌ يغَصُّ بـه بعـد اللذاذة كارعُـهْ
وكـم من وزيـر قـد رأينـا مسلطـاً فعاد وقـد سـدت عليه مطالعه
ولـلـهِ قوسٌ لا تَطيشُ سِهامُهـا ولـلـه سيفٌ لا تُفَـلُّ مقاطعُـهْ

١ـ الأغاني وعيون الأخبار : (رأيتك سهل البيع سمحا وإنما يغالى إذا ما ضن بالشيء بائعه) .
الزهرة : (رأيتك سمح البيع سهلاً وإنما) .
العِلْق : النفيس من كل شيء يتعلق به القلب . وضن به : بخل .
٢ـ في الأصل : (وأحرِ بمن كانت) .
الأغاني والزهرة : (فأما الذي هانت بضائعُ بيعه فيوشك أن تُبْقى عليه بضائعه) .
٣ـ عيون الأخبار : (هو الماء إن أحميته طاب شربه ويكدر يوماً أن تباح مشارعه) .
الزهرة : (هو الماء إن أجمعت طاب وروده ويفسد منه ما تباح شرائعه) .
الأغاني : (ويفسد منه أن تُباح شرائعه) .
أجممته : جمعته وحفظته .

(٩٣)

* القصيدة في الأصل .
١ـ القُزْعَة : القليل من الشعر في وسط الرأس خاصة .
٣ـ النزعة : من النَّزَع، وهو انحسار الشعر عن جانبي الجبهة .

٤– والــــــــــشَّعْرُ مِنِّي جَعْدٌ لــــكــــنَّ لـــي مــــنـــهُ صَنْعَهْ
٥– وحَبَّذا الـــــقَوْلُ والـــــطَّوْ لُ فـــاعلمـــوا فـــيــــه شُنعَهْ
٦– ولستُ أيضــاً قــصــيــراً لــــكــــنْ مــــن الــــقَوْمِ رَبْعَهْ
٧– ولا جَفـــاني حـــبــيـــبٌ أرادَ عَنِّـــي نُجـــعْــعَــــــهْ
٨– يـا قَدْرَ إســـحـــاقَ واللــــ ـــه لا نـــســــيْتُكَ جُمْعَهْ
٩– فـــــأنـتَ مِسْكٌ ولـكنْ أحـــبـــابُنا مـنـكَ قطْعَهْ
١٠– شـــاركتُ فـيكَ رجـــالاً قـــد جـــاوزوا البـــرْقَ سُرْعَهْ
١١– لم يتـــركـــوا منك عَظْمــاً ولا مــــــــن المَرقِ جُرعَهْ
١٢– إســـحـــاقُ منهم وإســـحــ ـــاقُ مــــا علمناه سلعَهْ
١٣– أمـــا النبـــيـــذُ فـــشيءٌ لــــم يَعْتَرفْ مــــنـــكَ مَنْعَهْ
١٤– ولــــيــــس بَذْلُكَ إيَّا هُ بـــابـــاً [مــــن] الخَمْرِ بدْعَهْ
١٥– فـــــزادكَ اللــهُ فَضْلاً عـــلـــى المــلـــوكِ ورِفْعَهْ
١٦– وصَيَّرَ الأنْفَ حـــتـــى أراهُ قـــد صـــارَ قُطْعَهْ

٥– الشنعة: القبح.

٦– الربعة: الوسيط القامة، للمذكر والمؤنث.

٧– النجعة: في الأصل طلب الكلأ ومساقط الغيث، وقصد ذوي المعروف لمعروفهم.

١٤– (من) ساقطة من الأصل، وبها يستقيم الوزن والمعنى.

١٦– القُطْعَة: بقية يد الأقطع.

(حرف الفاء)

(٩٤)

وقال أيضاً: (الطويل)

١ـ يظَلُّ لـهُ سَيْفُ النبيِّ كأنَّما ... لهُ دَمْعَةٌ من لوعَةِ الشَّوقِ تَذْرِفُ
٢ـ حمائلُهُ والبُرْدُ تَعْلَمُ أنَّهُ ... هو الطِّيْنَةُ الأولى التي كان يُعْرَفُ
٣ـ حَلَفْتُ ومن حَقٍّ الذي قُلتُ أنَّني ... أقولُ وأثْني بعدَ ذاكَ وأحْلِفُ
٤ـ لَمَا هابَ أهْلُ الظُّلْمِ مثْلكَ سائساً ... ولا أنصفَ المظلومَ مثْلُكَ مُنْصِفُ

(٩٥)

وقال في رجل كان معه وكان مشؤوماً: (المنسرح)

١ـ تستَنْكِرُ الناسُ فِتْنَةً شَمَلَتْ ... قوماً فأدَّتْهُمْ إلى التَّلَفِ
٢ـ لا تعجَبُ الناسُ من تَصرُّفِها ... ولْيَعْجَبِ النَّاسُ من أبي خَلَفِ
٣ـ لو هَمَّ أنْ يقْتُلَ العِبادَ لَمَا ... أصْبَحَ من قَتْلِهم على الأسَفِ
٤ـ تقتُلُ مَنْ شاءَ كيف شاءَ فإنْ ... خُوِّفَ سوْءَ العقابِ لم يَخَفِ
٥ـ لا يَجْحَدُ اللهَ بالتَّأوّلِ والشَّكْ ... كِ ولكنْ جُحُودَ مُعْتَرِفِ

---

(٩٤)

* الأبيات في الأصل. والأبيات في مروج الذهب ٥ / ٨ (تحقيق شارل بلا ط. بيروت ٦٥ـ ١٩٧٩).

١ـ مروج الذهب: (وظل له سيف النبي كأنما ... مدامعه من شدة الحزن تذرف).
٢ـ مروج الذهب: (حمائله والبرد تشهد أنه ... هو الطيب الأولى الذي كان يعرف).
٣ـ مروج الذهب: (أقول ومن حق الذي قلت إنني ... أقول وأثني بعد ذلك وأحلف).
٤ـ في المطبوعة: (فما هاب)، مروج الذهب: (لما هاب أهل الظلم).

(٩٥)

* القصيدة في الأصل.

٥ـ في الأصل: (لا يحمد الله) وهي خلاف ما يقتضيه السياق.

٦ـ يا قـــاتِلَ الأنْفُسِ الحَرامِ ويا ... آكِلَ مـــالِ اليـــتـــيمِ بالسَّرَفِ
٧ـ والحالِفَ الحانِثَ المُصِرَّ على الحِنْـ ... ـــثِ عُتُوّاً شـــــاتِمَ الـسَّلَفِ
٨ـ مَنْ يقـتُلُ الناسَ إنْ هَلَكْتَ ومَنْ ... للخَيـلِ والبيـضِ والقَنا القُطُفِ
٩ـ إني أرى الموتَ من تخاوصِ عينيـ ... ـــكَ مُطِلّاً عـلـيَّ مـن شَرَفِ
١٠ـ نـاشَدتُكَ اللـهَ أنْ تُطِلَّ دَمـي ... مـا الحَظُّ في قَتْلِ غيـرِ مُنْتَصِفِ
١١ـ لو تمَّ فيكَ الجَمالُ والحِلْمُ والعَقْـ ... ـلُ ولـو كُنْتَ مـن ذوي الـشَّرَفِ
١٢ـ كنتَ فـتى عِجْلِ المقـدَّمَ لا ... مُرَّةَ فيـــهـــا ولا أبا دُلَفِ
١٣ـ طُوبى لِمَنْ كـانَ من أبي خَلَفٍ ... فـي عَطَنٍ واسِعٍ وفـي كَنَفِ
١٤ـ يُنَقِّلُ كـعـبيـهِ في مـلاعَبَةٍ ... بالرِّفْقِ لا ضيـرَ فيـهِ بالعُنُفِ

٧ـ في الأصل: (وشاء ثم السلف) وهو تحريف.

الحنث في اليمين: الإثم وعدم البر بها، والحانث: المائل عن الحق إلى الباطل، والحنث: الذنب.

عتوّاً: استكباراً ومجاوزة للحد، العاتي: الجبار.

٩ـ تخاوص العين: أن يغض البصر شيئاً وهو في ذلك يحدق بالنظر كأنه يقوِّم سهماً، وخوص خوصاً غارت عينه وضاقت، وكانت إحدى عينيه أصغر من الأخرى. الشَّرَف: المكان العالي.

١٠ـ أطل دمه: أهدره. منتصف: من انتصف منه لطلب العدل.

١٢ـ أبو دلف العجلي: القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بني عجل بن لجيم، أمير الكرخ وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء، قلده الرشيد العباسي أعمال (الجبل)، ثم كان من قادة جيش المأمون، وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة، وللشعراء فيه أماديح، وله مؤلفات منها: (سياسة الملوك)، و(البزاة والصيد) وهو من العلماء بصناعة الغناد، يقول الشعر ويلحنه، توفي ببغداد سنة٢٢٦هـ/ ٨٤٠م.

(ابن خلكان ١ / ٤٢٣، الأغاني ٨ / ٢٤٨ ط الدار، السمط ص٣٣١، المرزباني ص٣٣٤، النويري ٤ / ٢٤٩، تاريخ بغداد ١٢ / ٤١٦، هبة الأيام ص ٩٣ـ١٠٣، الأعلام ٥ / ١٧٩).

١٣ـ العطَن: مبرك الإبل، ومربض الغنم عند الماء.

الكَنَف: جانب الشيء، والظل والناحية، وقولهم: (هو في كنف الله) أي في حرزه وستره ورحمته.

١٤ـ في الأصل: ينقق، ولا معنى لها.

(٩٦)

وقـال أيضـاً: (الوافـر)

١ـ فديتُكَ إنَّ شُرْبي في كَنيفٍ ونـدماني البعيدُ من الظريفِ
٢ـ دعاني كي تَقَرَّ العينُ منّي فأسْخَنَهـا بأقوامٍ لفيـفِ
٣ـ تُقَوِّمُهُمْ إذا بيعوا جميعاً بكِسْوَتِهِمْ قريباً من رغيفِ
٤ـ فلمْ أرَ فِتْيَةً إمّا تَغَنَّوا كأنَّ غِناءَهُم ضَرْبُ السُّيوفِ
٥ـ سوى النَّفَرِ الذينَ فَرَرْتُ منهمْ أبـالِطُـهمْ إلى رَبٍّ رَؤوفِ

(٩٧)

وقال أيضـاً: (مجزوء الكامل)

١ـ لم أنْسَ حُسنَ الموقفِ وعلامةَ النَّظَرِ الخَفي
٢ـ فإذا أرَدْتُ وَداعَها قالتْ محَاسِنُها: قِفِ
٣ـ فأجَبْتُ: لستُ ببارحٍ مـن حسْرَةٍ وتَلَهُّفِ
٤ـ بهواكِ صافَيْتُ الجوى وعَرَفْتُ ما لم أعْرُفِ

---

(٩٦)

* الأبيات في الأصل.

١ـ الكنيف: الساتر، والظُّلَّة تُشرع فوق باب الدار، وحظيرة من خشب أو شجر تتخذ للإبل والغنم تقيها البرد، والمرحاض.

٥ـ أبالطهم: أتركهم وأفر منهم، ومن معاني بالط: بالط في أمره: بالغ واجتهد، وبالطه: نازله وجالده على الأرض، وتبالطوا بالسيوف: تجالدوا بها وهم على أرجلهم.

(٩٧)

* الأبيات في الأصل.

٤ـ الجوى: شدة الوجد من عشق أو حزن، وحرقة الوجد والشوق، والجوى: ضيق الصدر وتطاول المرض.

(٩٨)

وقـال: (البسيط)

١ـ يا طولَ ساعاتِ ليلِ العاشِقِ الدَّنِفِ وطولِ رِعْيَتِهِ للنَّجْمِ في السَّدَفِ
٢ـ ماذا تُواري ثيابي مِنْ أخي حُـرَقٍ كأنَّمـا الجسْمُ منـهُ دِقَّـةُ الأَلِـفِ
٣ـ مـا قـالَ يا أسَفى يعقوبُ مِنْ كَمَدٍ إلاّ لطُولِ الذي لاقى مِـنَ الأَسَفِ
٤ـ مَنْ سَرَّهُ أنْ يَرى ميتَ الهَوى دَنِفاً فليسْتَـدِلَّ على الزيَّـاتِ وَلْيَقِفِ

(٩٩)

وقـال أيضـاً: (مجزوء الخفيف)

١ـ مـــن الـــعـــينِ طَرْفُهْ ومـــن الـــظـــبـــي ظَرْفُهُ
٢ـ ومـــن الـــغُصْنِ حـــينَ أقْـــ ـــبَلَ يـــهْتَزُّ نصْفُهُ
٣ـ ومـــن الـــرَّمْلِ إذْ تَأوْ وَدَ فـــي المـــشـــي رِدْفُهُ
٤ـ ومـن البـــرْقِ حـينَ أطْـ ـلَعَ كـــالبـــدْرِ خَطْفُهُ
٥ـ يـا خَليـــلاً يَدقُّ مـــذْ هَـــبُ مَـــنْ رامَ وَصْـــفَـــهُ
٦ـ وأمـــيْراً عـلى الـظِّبـــا ءِ بمـــا نـــيـــطَ خَلْفَهُ

---

(٩٨)

* الأبيات في تاريخ بغداد ٣ / ١٤٥، وفي شذرات الذهب ٣ / ١٥٥. قال: كان محمد بن عبد الملك الزيات يعشق جارية من جواري القيان، فبيعت من رجل من أهل خراسان، فأخرجها، قال: فذهل محمد بن عبد الملك الزيات حتى غُشي عليه، ثم أنشأ يقول: يا طول ساعات.... الأبيات.

١ـ العاشق الدنف: المريض الذي أشفى على الموت. السدف: الظلام.

(٩٩)

* الأبيات في الأصل.

٣ـ تأود: تثنى واعوج واهتز.

٧- قــــد حَوَيْناكَ بالعـــــيـــو ن فـــــــــقـلْنـا اسْتَخَفَّهُ
٨- حَسَنٌ بـــــالـــكـــريْمِ أنْ يمـــــنـــحَ الـــنـــاسَ عُرْفَهُ
٩- أدلالٌ؟ فـــــربَّمــــا مـــــــــــــازحَ الإِلْفُ إِلْفَهُ

(١٠٠)

وقـال في الـواثـق: (الكامل)

١ـ إنَّ الخِلافَةَ أصبحَتْ سَرَّاؤهـا مجـلوبَةً وشـرورُها مَصْروفَـهْ
٢ـ عَفْوٌ يَعُـمُّ بـهِ الذُّنوبَ وحُرْمَةٌ تُعْطي الثَّوابَ ورأفَـةٌ معطوفَـهْ
٣ـ لو كان ينْقـذُنا ويؤمِنُ سِرْبَنا ويُجيرُنـا من شَرِّ كُلِّ مَخوفَـهْ
٤ـ إلا مقـامَ خليفـةٍ لخليفـةٍ لخليفـةٍ لخليفـةٍ لخليفَـهْ

(١٠١)

وقال أيضاً فيه [في عيسى بن زينب]: (مجزوء الرمل)

١- قُلْ لعـــــيـــــسى أنْفِ أنْفِهْ أنْـــــــفُــــــهُ ضِعْفٌ لِضِعْفِهْ

---

٨ ـ عرفـه: معروفه، والعُرف: خلاف النكـر.
٩ـ الإلف: الصديق والحبيب الذي تأنس به.

(١٠٠)

* الأبيات في الأصـل. والبيتان ٣، ٤ في العمدة ٢ / ١٠٨٠، وذكر صاحب العمدة بيت المتنبي:
العارضِ الهتِنِ ابن العارض الهتِن ابـ ـنِ العارض الهتِن ابن العارضِ الهتِنِ
وقـال: وإنما أخذه أبو الطيب من قول محمد بن عبد الملك الزيات: وذكر البيتين، وقـال: يعني الواثق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور، فصدق وحسن في معناه، ونقص المتنبي واحداً بعد سرقته.
٣ـ السرب: الفريق من الطير والحيوان، والسرب: النفس والقلب، يقال: هو آمن السرب، وآمن في سِرْبِه، أي آمن النفس والقلب، أو آمن على ماله من أهل ومال.

(١٠١)

* الأبيات في الأصـل.

٢– لـم يـنَمْ مُذْ كـــــــــانَ إلاّ ألْصَقَ الأنـــــــفَ بـــــــسَقْفه

٣– فـــتـــرى السَّقْفَ وقـــد أخْـــــــــــرَبَهُ مـــــنـــــهُ بحَرْفِهْ

٤– إنَّ مَنْ عـــــاداكَ يا عـــــيـــــــــســـــــى لَمَقْرونٌ بحَتْفِهْ

٥– أنـــتَ لـــو تَسْتَنْشِقُ الـــثَّوْرَ بــقِرنَيـــــــــــــه وظِلْفِهْ

٦– لَهَوى فـــي مَنْخرٍ يَسْــــــــــتَغْرِقُ الخَلْقَ بـــــنِصْفِهْ

٧– لـو تَراهُ راكِبـــــــاً والـتِّيْـــــــهُ قـــــد مـــــالَ بعِطْفِهْ

٨– لـــرأيْتَ الأنْفَ فـــي الـــسَّرْجِ وعـــــيـــــسى رِدْفُ أنْفِهْ

(حـرف القـاف)

(١٠٢)

وقـال أيضـاً: (المـديـد)

١ـ نمْ فقد وكَّلْتَ بي الأرَقا　　لاهيـاً بُعْـداً لِمَـنْ عَشِـقـا
٢ـ إنَّمـا أبْقَيْـتَ من بَـدَنـي　　شَبَـحاً غيـرَ الـذي خُلِقـا
٣ـ وفَتـى نـاداكَ من كُـرَبٍ　　أسْعَـرَتْ أحشـاءَهُ حُـرَقـا
٤ـ غرِقَتْ في الدَّمْعِ مُقْلَتُهُ　　فـدعـا إنسانَهـا الـغَـرِقـا
٥ـ ما لِمَـنْ تَـمَّتْ محاسِنُـهُ　　أنْ يُعاصي طَرْفَ مَنْ عَشقا
٦ـ لكَ أنْ تُبْدي لنا حَسَناً　　ولـنـا أنْ نُعْـمِـلَ الحَـدَقَـا

(١٠٣)

وقال أيضاً في سبي عمورِّيَة: (الخفيف)

١ـ كمْ قَطَعْنا من البلادِ وكم جُبْـ　　ـنا طِباقاً موصولةً بطِباقِ

---

(١٠٢)

* الأبيات في الأصـل.
٣ـ الكُرَب: جمع الكَرْب: الحزن والغم الذي يأخذ النفس.
٤ـ إنسان العين: ناظرها.
٦ـ حدقة العين: السواد المستدير وسط العين.

(١٠٣)

* الأبيات في الأصل.
** عمورية: بلدة في بلاد الشام. غزاه المعتصم حين سمع شُراة العلوية، قيل سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح، وقد ذكرها أبوتمام في قوله:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت　　عنكِ المنى حُفَّلاً معسولة الحَلبِ

وهي التي فتحها المعتصم في سنة ٢٢٣هـ، وفتح أنقره بسبب أسر العلوية في قصة طويلة، وكانت من أعظم فتوح الإسلام. (ياقوت:: عمورية).
١ـ جبنا: قطعنا، جاب الأرض: قطعها سيراً.

٢ـ تشتكي خَيْلُنا السَّنابِكَ مِمَّا   عضَّهُنَّ الوَجى وبُعْدُ السِّياقِ

٣ـ مُحْقِبات صورَ الظِّباءِ فكم صَـ   ـكٌ طَلاقٍ يحْمِلْنَهُ وعِتاقِ

٤ـ تُصْبِحُ الحُرَّةُ الكريمةُ قد آ   ذَنَ منها حَليلُها بِفِراقِ

٥ـ أمَّلَتْ عُقْبَةَ التَّلاقي ولم تَدْ   رِ أنَّ الفِراقَ عاقَ التَّلاقي

(١٠٤)

وقال محمد بن عبد الملك :   [مجزوء الكامل]

١ـ لما وردتُ التغلبيـ   ـيةَ عند مجتمع الرفاقِ

٢ـ وشَمِمْتُ من تُرْبِ الحجا   زِ نسيمَ أنفاسِ العراقِ

٣ـ أيقَنْتُ لي ولمن أُحِـ   ـبُّ بضمِ شَمْلٍ واتفاقِ

٤ـ لم يبقَ لي إلا تجشْـ   ـشُمَ هذه السبعِ البواقي

٥ـ حتى يطولَ حديثُنا   بصفاتِ ما كُنَّا نُلاقي

(١٠٥)

وقال أيضاً :   (الطويل)

٢ـ السنابك : جمع سنبك، وهو طرف الحافر، الوجى : رقة الحافر من كثرة المشي.
٣ـ محقبات : أي : في موضع الحقيبة منها، والحقاب : الحزام الذي يلي حقو الحيوان، والحقو : الخَصْر.
٥ـ عقبة التلاقي : آخرها ونتيجتها.

(١٠٤)

* الأبيات في الأصل.

(١٠٥)

* الأبيات في الأصل.

١ـ تجلَّدْتُ في حُبِّي وما بي قُوَّةٌ ولي زَفَراتٌ شاهِداتٌ على عِشقي

٢ـ وإنِّي لأنْوي الشيءَ من غيرِ عِلْمِها فيعْرِفُهُ غيري ولم يجْرِ في نُطْقي

٣ـ كأنَّ عُيونَ العالَمينَ مُطِلَّةٌ عليَّ فما يخْفى هواكِ على خَلْقِ

٤ـ تجَنَّى عليَّ الذَّنْبَ وهي مُسيئَةٌ فأوثِرُها بالصِّدْقِ فيه على صدْقي

(١٠٦)

وقال: [البسيط]

١ـ ما سرتُ ميلاً ولا جاوزتُ مرحلةً إلا وذكرُكِ يثني دائباً عُنُقي

٢ ـ ولا ذكرتُكِ إلا بِتُّ مرتَفِقاً صَبّاً حزيناً كأنَّ الموتَ مُعْتَنقي

(١٠٧)

وقال أيضا في الحسن بن وهب، وكان محمد بن عبد الملك يسير على شاطيء دجلة بسُرَّ من رأى، وقد زاد زيادة كبيرة، فصار إلى مضيق على مُسَنَّاة، فقعد عليها، وحاد الحسن عن الموضع، فقال محمد بن عبد الملك: (الخفيف)

١ـ قد رأيْناكَ إذا تركتَ المُسَنَّا ةَ وجانَفْتَ عن يسارِ الطَّريقِ

٢ـ ولَعَمْري ما كانَ ذاكَ وقد جدْ دَ بكَ الجِدُّ من فِعالِ الشقيقِ

---

(١٠٦)

* البيتان في المنتحل للثعالبي ص٢٤٨ ودون عزو في المنتخل للميكالي ٢/٨٢٥ والدر الفريد ٥/٦٠.

(١٠٧)

* البيتان في الأصل. والبيتان في الأغاني ٢٣/٧١، قال: وكان الحسن بن وهب يساير محمداً على مسناة، فعدل عن المسناة لئلا يضيق لمحمد الطريق، فظن محمد أنه أشفق على نفسه من المسناة فعدل عنها، ولم يساعده على طريقه، وضن بنفسه أن يصيبها ما يصيبه، فقال محمد: قد رأيناك...

١ـ الأغاني: (وحاذيتني يسار الطريق).

المسناة: سد يُبنى لحجز ماء السيل أو النهر، به مفاتح للماء تفتح على قدر الحاجة.

جانفت عن: ملت عن وعدلت عن الطريق.

٢ـ الأغاني: (ولعمري ما ذاك منك وقد جدَّ بك الجد من فعال الشفيق).

(١٠٨)

وقـال أيضاً: [الرمل]

١- لـي إلـيكـم كَبِدٌ مـــقْروحَةٌ ... وفُؤادٌ طـــائِرُ الـــقَلْبِ خَفِقْ
٢- كُلَّمــــا دَلْدَلْتُ خِصْيَيَّ إلـى ... دارِكُمْ قَلَّص خِصْيَيَّ الـــفَـــرَقْ
٣- حـــدَّثَتْني النَّفْسُ عن خُرْقِكُمُ ... بـي فـي الـسَّعْي وفـي الـسَّعْي خُرُقْ
٤- إنَّمــــا تـطـلُبُ أنْ آتـيـكُمْ ... فـــإذا صِرْتُ إلـيـكُمْ فَلْتُطـقْ
٥- دَأْبــاً تَضْرِبُنــي أو أشْرَب الـــ ... ـــكـأسَ أو تـسـكُب فـي حِجْرِيَ بُقْ
٦- فـتــقــاعَسْتُ كـذا كُلُّ فــتى ... ســـاقَهُ إخْوانُهُ مـــا لـم يُطِقْ
٧- فـــأجَدُّوا لي أمـــاناً إذْ نَوَوا ... لـيَ فـي الـنَّرْدِ وفـي وَضْعِ الـسَّبَقْ
٨- وإذا مـا قُلتُ شـيـئـاً فـانْصُتـوا ... باطلاً إنْ كـــانَ أو إنْ كـــانَ حَقْ
٩- وإذا قُمْتُ فـــقـــومـــوا وإذا ... شِئْتُ أنْ أجلِسَ فـــالتَفُّوا حزَقْ
١٠- لـــيَرُدَّ المَرْءُ مـــنـــكُمْ ريـــقَهُ ... في مـــجـــاري الحَلْقِ حـــتى يَخْتَنِقْ
١١- ثـــــمَّ وَيْلٌ لَكُمُ إنْ أنْتُمُ ... قلتُ شـيْئـاً لـم تقـولوا لي صَدَقْ

---

(١٠٨)

* القصيدة في الأصـل.

٢- دلدل أعـضـاءه: حـرَّكـهـا في المشي، وتدلدل الشيء: تهـدل واضطرب. الفَرَق: الخوف والجزع.

٥- الحجْر: حضن الإنسان. البُق: من بَقَّ الماء من فيه، إذا قذفه بعنف.

٦- في الأصل: (فتقاسعت) وهو تحريف.

٧- النَّرْد: لعبة ذات صندوق وحجارة وفصين، تعتمد على الحظ، وتنقل فيها الحجارة على حسب ما يأتي به الفص (الزهر)، وتعرف عند العامة بـ(الطاولة)، يقال: لعب بالنرد، وتكثر في المقاهي العربية يتلهى بها العاطلون والمتبطلون.

٩- الحزق: الجماعات.

(١٠٩)

وقال أيضاً في أبي دهمان: (المديد)

١- ونَديمٍ سارقٍ نادَمَني وهو عندي غيرُ مذمومِ الخُلُقْ

٢- ضاعفَ الكَوْرَ على هامَتِهِ وطَوى مَنديلَنا طَيَّ الخِرَقْ

٣- يا أبا دَهْمانَ لو جامَلْتَنا لَكَفَيْناكَ مؤوناتِ السَّرَقْ

---

(١٠٩)

* الأبيات في الأصل. والأبيات في الأغاني ٢٣ / ٦٠، قال: وذكر أبو مروان الخُزاعي، أنَّ أبا دهمان المغني سرق من محمد بن عبد الملك منديلاً دبقياً**، فجعله تحت عمامته، وبلغ محمداً، فقال فيه: ونديم.... الأبيات، وقد مر ذكر أبي دهمان في القصيدة الدالية رقم: (٤٠) وأولها:

أبو دهمان داهية فسادُ له في كل منتجع مصادُ

** منديل دبقي: نسبة إلى دبيق، وهي بُليدة كانت بين الفرما وتنِّيس من أعمال مصر، تنسب إليها الثياب الدبيقية. (ياقوت: دبيق).

١- الأغاني: (ونديم سارق خاتلني).

خاتلني: خادعني وراوغني.

٢- الكَور: الدور في العمامة، والكور: الزيادة. السرق: السرقة.

(حرف الـكاف)

(١١٠)

وقــال أيضــاً: (الخفيف)

١ـ ليتَ عينَ الرشيدِ كانتْ تراكـا وترى ما احتوتْ عليهِ يداكـا
٢ـ حينَ لم يدعُ للخلافةِ منْ يحْـ ـملُ أعباءَهـا الثِّقـالَ سِواكـا
٣ـ فترى كيفَ أهَّـلَتْـكَ مساعيـ ـكَ لها حينَ لم يُرِدْها أباكـا
٤ـ لـم يُجابوا عنـدَ ذاك ولكـنْ كنتَ إذْ قيلَ مَنْ لها ابتداكـا

(١١١)

وقال في أبي خلف أيضاً: (مجزوء الوافـر)

١ـ أبو خَـلَـفٍ أبو تَـلَـفٍ إذا فاتَكْـتَـهُ فَتَـكـا
٢ـ ومَـنْ يَحْـلُـلْ بساحَتِـهِ ليؤْذِيَـهُ فقد هَـلَكـا
٣ـ هو الرجلُ المُحَبَّبُ والمُكَرْ رَمُ حيثمـا سَـلَكـا
٤ـ يُرَجِّـلُ جُـمَّـةً عِجْليَّـ ـةً شابَتْ وما احْتَنَكـا
٥ـ لـهُ سيـفٌ إذا لاقـى منـاطَ قـلائـدٍ نَبَـكـا

---

(١١٠)

* الأبيات في الأصل. ولعله يخاطب المأمون في هذه الأبيات.

٣ـ كذا جاءت في الأصل: (لم يردها أباكا)، والوجه: (لم يردها أبوكا).
وفي الأصل: (لم يرئها) محرفة عن لم يردها.

(١١١)

* الأبيات في الأصـل.

٤ـ يرجل الشعر: يسرحه، والشعر الرَّجَل: بين السبوطة والجعودة.
الجُـمَّـة: مجتمع شعر الرأس، وهي أكثر من الوفرة.
احتنك الرجل: أحكم بالتجارب والأمور، وأصبح حكيما.

٥ـ المناط: موضع التعليق. نبـك: ارتفع وعـلا.

٦ـ وإنْ هـو كَـرَّ فـي الـرَّوْ ع جَذَّ الدِّرْعَ أو هَـتَكا
٧ـ ويطْعَـنُ طَعْـنَـةً نجـلا تُغَـلِّسُ أينَمـا حَشَـكا

(١١٢)

وقـال أيضـاً في إيـوانـات بناهـا المعـتـصـم بالله في البـريـة لنزهـهِ في أيـام الربيـع والتعريف أيام عـرفـات: (الطويل)

١ـ وشيَّدَها حُدْباً تخالُ ظهورَها من [الجانب] الأقصى سواماً مُبَرَّكا
٢ـ أعـدَّ لـهـا نَـوْرَ الربيـعِ وظِـلَّـهُ ويومـاً يُرَجِّي خيرَهُ مَنْ تَبَرَّكـا
٣ـ فمـا أدركَ النَّوْرَ الربيعيَّ يومُـهُ ولا عـرفـاتٍ بـعـدَ ذلـك أدركـا

(١١٣)

وقـال أيضـاً: (مجزوء الوافر)

١ـ صغيـرُ هـواكَ عـذَّبـني فكيفَ بـهِ إذا احْتَنَكا
٢ـ وأنـتَ جَمَعْتَ مـن قلبي هـوىً قد كانَ مُشْتَرَكا
٣ـ وحَبْسُ رِضاكَ يَقْتُلُني وقَتْلـي لا يَحُـلُّ لـكا
٤ـ أمـا تَرْثـي لِمُكْتَئـبٍ إذا ضَحِكَ الحزيْنُ بـكى

٦ـ كذا في الأصل: (وإن هو كره في الدرع)، ولعلها (في الروع).
٧ـ في الأصل: (أينا حشكا) الطعنة النجلاء: الواسعة العميقة. تغلس: تظلم، والغَلَس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح، والتغليس: الوقوع في الهلاك. حشك: دفع، وحشكت القوس: طرحت السهم بعيداً.

(١١٢)

* الأبيات في الأصل.
١ـ في الأصل: بياض بقدر كلمة، وقدرنا كلمة (الجانب) وبها يستقيم الوزن والمعنى. السوام المبرك: الإبل الباركة.

(١١٣)

* الأبيات في الأصل، وفي الأغاني ٢٣ / ٥٠.
١ـ احتنك: أحكمته التجارب والأمور وصار حكيماً ذا حنكة.

(١١٤)

وقال أيضا : (الوافر)

١ـ سَقَامي في تقَلُّبِ مُقْلَتَيكا وبُرْئي في رُضابِ ثَنِيَّتَيْكا
٢ـ وحُسْنُ محاسنِ الدنْيا جميعاً يلوحُ لناظري من وَجْنَتَيْكا
٣ـ إذا عَذَّبْتَني فجَعَلْتَ حَظِّي بأ[ني قد أموتُ] فما عليكا
٤ـ ودعْني لا يَهُمُّكَ ما بجسمي ولا أشكو الهوى أبداً إليكا

(١١٥)

وكتب أبو المستهل إلى محمد بن عبد الملك أبياتاً(**) فأجابه محمد : (البسيط)

١ـ لا أشتكي هوايَ إلـ ـلا إليكِ لو ينفعُ التَّشَكِّي
٢ـ آليتُ جَهْدَ اليمينِ أنْ لا أزولَ إلا إليكِ عَنْكِ
٣ـ كَلَّفْتني الشِّعْرَ في طريقٍ وَعْرٍ قليلِ الأنيسِ ضَنْكِ

---

(١١٤)

* الأبيات في الأصل.
١ـ الرضاب : الريق المرشوف، ورغوة العسل، وأراد المعنى الأول.
الثنية : واحدة الثنايا، وهي أربع أسنان في مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل.
٣ـ في الأصل : (بأن أمو فما عليكا) وما بين المعقوفتين يتمم المعنى والوزن.

(١١٥)

* الأبيات في الأصل.
٢ـ آليت : أقسمت، والألوة والألية : اليمين.
٣ـ وعر، طريق وعر: صلب حزن، خلاف السهل، ومكان وعر: مخيف. الضنك : الضيق.
** أبيات أبي المستهل هي :

يقولُ لما جعلتُ أبكي سلوهُ مِمَّ أراهُ يبكي
فقلتُ أبكي لما أراهُ عمَّا قليلٍ يكونُ منك
قالت فلا تخشَ قلت مالي قلبٌ على الدهر يأتَمِنْكِ
قالت فماذا إذن علينا فقلتُ أدخلْتُ بحرَ شَكٍّ
لا غرَّني اليومَ منكِ ودٌّ قالت ولا غرَّني التَّبَكِّي

٤ـ فَرَغْتِ لي في إسارِ قلبي   ثم تشاغَلْتِ عندَ فكّي

(١١٦)

وقال أيضاً:   (المجتث)

١ـ يا متُّ قبلَكَ حتى   متى يكونُ ركوبُكْ
٢ـ إذا طَلَبْتُكَ مالي   يا سيدي لا أُصيبك
٣ـ قد قَلَّ منكَ نصيبي   وقَلَّ مني نصيبُكْ
٤ـ قد نابني اليومَ خَطْبٌ   فاذكُرْ خطوباً تنوبُكْ
٥ـ وأُنْزِلَ الخَطْبُ منّي   مكان كانتْ خطوبُكْ
٦ـ فإنَّ عيبَك عيبي   وإنَّ عَيبي يَعيبُكْ
٧ـ وعندي اليومَ ضَيْفٌ   يطولُ منهُ نحيبُكْ
٨ـ من الأشاعثِ ما إنْ   يَشْفيكَ منهُ طبيبُكْ
٩ـ وليس عندي نبيذٌ   فكيفَ يُرْوى حبيبُكْ
١٠ـ إنْ لم تَجُدْ لي بقُرْبٍ   [فإنَّ] ربي حسيبُك
١١ـ من النَّبيذِ فخيرُ الـ   ـنبيذِ عندي زَبيبُكْ
١٢ـ قالتْ ليَ النفسُ إذ طا   لَ [بي] عن هواها ركوبُكْ
١٣ـ دعْ ما يرِيْبُكَ واقصُدْ   إلى الذي [لا] يُريبُكْ

---

(١١٦)

* القصيدة في الأصل.

١٠ـ نقص في الأصل وما بين المعقوفتين إضافة يقتضيها السياق، وفي الأصل: (إن لم تجد لي بقرابة فربي حسيبك).

١٢ـ نقص في الأصل وما بين المعقوفتين إضافة يقتضيها السياق.

١٣ـ البيت تضمين للحديث النبوي: (دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبُك) ويروى بفتح الياء وضمها، أي: دع ما تشك فيه إلى ما لا تشك فيه (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣/٢٨٦).

١٤- لو صالحٌ كانَ ممَّنْ ... يهواكَ أو يستَطيبُكْ
١٥- أجابَ صوتَكَ لكنْ ... أظُنُّهُ [لا] يُجيبُكْ
١٦- فقلتُ يا قَلْبُ لا يَكْ ... ـذبَنْكَ عنهُ كَذوبُكْ
١٧- إنَّ الغُلامَ نجيبٌ ... وليس يخْفى نحيبُكْ
١٨- فقال ما ثَمَّ شَيءٌ ... ينامُ عنهُ رقيبُكْ
١٩- فقلتُ أخطأتَ حتَّى ... ردّتْ بنُصْحٍ جيوبُكْ
٢٠- فقالَ صِفْ ليَ شيئاً ... منهُ فإنِّي أُجيبُكْ
٢١- فما ظَفِرْتَ بشيءٍ ... تَزولُ فيهِ عُيوبُكْ
٢٢- أسْتَغْفِرُ اللهَ إلاَّ ... أنْفٌ عليهِ ركوبُكْ

(١١٧)

وقال أيضاً: (مجزوء الكامل)

١- يا قلبُ وَيْحَكَ لم تُرِدْ ... بمَوَدَّةٍ مَنْ لا يُريدُكْ
٢- يزهو ويُغْرِقُ في القِلى ... وإذا مَرِضْتَ فلا يَعودُكْ
٣- حتى متى وإلى متى ... غَيُّ الفُؤادِ لهُ يقودُكْ
٤- أمسى لغيرِكَ جُودُهُ ... وله [وما] يهواكَ جودُكْ
٥- دعْهُ يعومُ بظَنِّهِ ... إذْ مَسَّ أسفَلَهُ عمودُكْ
٦- إنْ كان خافَ فقد أقا ... مَ قضاءَهُ في البيتِ عودُكْ
٧- أوقِدْ عليهِ وخَلِّهِ ... فَلَسَوْفَ يُحْرِقُهُ وقودُكْ
٨- لولا اليمينُ هَجَوْتُهُ ... وأشاعَ فَضْحَتَهُ قصيدُكْ

١٥- ما بين المعقوفتين تكملة يقتضيها السياق.
٢٠- في الأصل: (صف لي شيء)، والصواب النصب.
(١١٧)
* الأبيات في الأصل.
٤- ما بين المعقوفتين إضافة يقتضيها السياق، وفي الأصل: (وله بهواك جودك).

(١١٨)

وقال أيضا في صالح بن عبد الملك أخيه، وكان هؤلاء أصدقاء صالح: (الهزج)

١ـ تفرَّغْتَ لأصحابي وتنسى بعضَ أصحابكْ

٢ـ حميدٌ وفتى الطحنِ وإسحاقٌ ومُنجابكْ

٣ـ وأخرى لا أسَمِّيها تراني لستُ أقوى بكْ

٤ـ عنيناها شمائلَكَ التي ألوَتْ بأسْبابِكْ

٥ـ فقد صرْتَ من العُرْيِ تُناجي خلفَ أبوابِكْ

(١١٩)

وقال عبد الله بن طاهر في محمد بن عبد الملك أبياتاً(**) فأجابه محمد بن عبد الملك: (المنسرح)

١ـ وكيفَ بي أنْ أحولَ يا أملي وكلُّ خيرٍ أنالُ من سبَبِكْ

٢ـ أنكرْتَ شيئاً فلسْتُ فاعِلَهُ ولا تَراهُ يُخَطُّ في كُتُبِكْ

٣ـ إنْ كان جَهْلٌ أتاكَ من قِبَلي فعُدْ بفَضْلٍ عليَّ من أدَبِكْ

---

(١١٨)

* الأبيات في الأصل.

٢ـ لعلها: (فتى الطعن).

٤ـ في الأصل: (ألوت باسلوبك) ولا معنى لها، ألوت بأسبابك: طوته وأخفته، وذهبت بأمورك.

(١١٩)

* الأبيات في الأصل. والأبيات في العقد الفريد ٤ / ٢٦٥، والأول والثالث في صبح الأعشى ٦ / ٢٨٠، وأدب الكاتب ١ / ٥١.

١ـ العقد الفريد: (كيف أخون الإخاء يا أملي وكل خير أنال من سببك).

صبح الأعشى: (كيف أخون الإخاء يا أملي وكل شيء أنال من سببك).

٣ـ العقد الفريد: (إن يكُ جهل .... عليَّ من حسبك) صبح الأعشى: (إن يك جهل .... فعد بفضل عليَّ من أدبك).

٤ـ واعْفُ فَدَتْكَ النفوسُ عن رَجُلٍ يعيشُ حتى المماتِ في حَسبكْ

٤ـ العقد الفريد: (فاعفُ فدتك.... حتى الممات في أدبك).

** في الأصل، في العقد الفريد ٤ / ٢٦٥ أبيات عبد الله بن طاهر، وفي عيون الأخبار ١ / ٩٣ الأبيات غير الخامس، وقال: كتب بعض الملوك إلى بعض الكتاب كتاباً دعا له فيه بأمتع الله بك، فكتب إليه ذلك الكاتب:

أحلتَ عما عهدت من أدبك أم نلتَ مُلْكاً فتهْتَ في كُتُبكْ
أم قد ترى أنَّ في مناصفة الإخـ ـوان نقصاً عليكَ في حسَبكْ
أم كان ما كان من غضَب فأيُّ شيءٍ أدناكَ من غَضَبكْ
إنَّ جفاءَ كتابِ ذي ثقةٍ يكونُ في صدْره وأمتعَ بكْ
أتعبْتَ كفَّيْكَ في مُعاتَبَتي حسبُكَ مِمَّا يزيدُ في تَعَبِكْ

(حرف اللام)

(١٢٠)

وقـــال: (الكامل)

١ــ يا ظـالمـاً نَحَـلَ الإسـاءةَ غيرَهُ إنّي لذاكَ وإنْ عَنَفْتَ لقابِلُ

٢ــ أما اللسانُ فمُنْصِفٌ مُتَبَدِّلٌ وضميرُ قَلْبِكَ فيهِ داءٌ داخِلُ

٣ــ فإذا نطَقْتَ خَصَمْتَني فكأنَّني لكَ قاطِعٌ حَبْلاً وأنتَ الواصِلُ

٤ــ باللهِ ربِّكَ هلْ يَسُرُّكَ أنَّني أصبَحْتُ مقتولاً وأنتَ القاتِلُ

(١٢١)

وقال يرثي الواثق وقد توفي سنة اثنتين وثلاثين: (المتقارب)

١ــ سقى قبرَكَ الهاطِلُ المُسْبِلُ وجادتْ لكَ الدِّيَمُ الحُفَّلُ

٢ــ وأسْكَنَكَ اللهُ خُلْدَ الجنا نِ وجاوَرَكَ المُصْطفى المُرْسَلُ

٣ــ فقد بِنْتَ منَّا على حاجةٍ وهَلْ يُدْفَعُ القَدَرُ المُنْزَلُ

---

(١٢٠)

* الأبيات في الأصل.

٢ــ الداء الداخل: الذي يدخل في أعماق البدن فيفسده.

٣ــ خصمتني: خلبتني في الخصام.

(١٢١)

* الأبيات في الأصل.

** مضت ترجمة الواثق.

١ــ الهاطل: المطر المتتابع، وهطل المطر: تتابع متفرقا عظيم القطر. المسبل: المطر الهاطل الكثير. الديم: جمع ديمة، الديمة: المطر يطول زمانه في سكون. الحفل: الأمطار المجتمعة الكثيرة المطر، وحفلت السماء: اشتد مطرها.

٣ــ بنت: من البين، الفراق والبعاد.

(١٢٢)

وقال أيضاً: (السريع)

١ـ رُبَّتَ دارٍ بعدَ عِمْرانِها أضْحَتْ خَلاءً ما بها آهِلُ
٢ـ لم تدخُلِ البهْجَةُ دارَ امرىءٍ إلا ويَهْدِمُها [امرؤٌ] داخلُ
٣ـ ما يأمَنُ الدنيا وأيَّامَها بعديَ إلا أنْوَكٌ جاهِلُ

(١٢٣)

وقال أيضاً: (الوافر)

١ـ أأحيا بعدَ صَدِّكَ إنَّ عُمري لَعَمْرُك بعد ذا عُمْرٌ طويلُ
٢ـ بُليتُ على مُطاوَلةِ الليالي وحُبُّكَ ما يَمُحُّ وما يزولُ
٣ـ رأيْتُكَ قد عَقَدْتَ على جَفَائي كأنَّ زيارتي ذَنْبٌ جليلُ
٤ـ سِهامُ الموتِ مُقْبِلَةٌ وإنِّي أرى أنِّي لأوَّلِها قتيلُ

(١٢٤)

قال: وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب وقد تأخر عنه: (البسيط)

١ـ قالوا جفاكَ فلا عَهْدٌ ولا خَبَرُ ماذا تراهُ دَهَاهُ قلتُ: أيلولُ

---

(١٢٢)

* الأبيات في الأصل.
٢ـ نقص في الأصل وفي المطبوع، والإضافة يقتضيها السياق والوزن.
٣ـ الأنوك: الأحمق، والعاجز الجاهل، والعيي في كلامه.

(١٢٣)

* الأبيات في الأصل.
٢ـ ما يمح: ما يزول، ولا يدرس ولا يبلى.

(١٢٤)

* البيتان في الأغاني ٢٣ / ٧٠.
١ـ أيلول: الشهر التاسع من الشهور الرومية، والشهر الثاني عشر من الشهور السريانية.

٢ـ شَهْرٌ تُجَذُّ حِبالُ الوَصْلِ فيهِ فما	عَقْدٌ من الوَصْلِ إلا وهوَ مملولُ

(١٢٥)

وقال أيضاً في عباس [بن المأمون]:	[المديد]

١ـ رُبَّ مَنْ أهدى لنا شُغُلاً	لم يحقْ إلا بهِ الشُّغُلُ

٢ـ دائباً يسعى لينْقُضَها	[بكذا هل] يُنْقَضُ الدوَلُ

(١٢٦)

وقال أيضاً:	(الخفيف)

١ـ ليتَ شِعْري عن أملَحِ الناسِ دَلاً	أمقيمٌ لنا على العَهْدِ أم لا

٢ـ زَعَموا أنَّ مَنْ تَشاغَلَ باللذا	تِ عَمَّنْ يُحِبُّهُ يتَسَلَّى

٣ـ كذبوا والذي تُساقُ لهُ البُدْ	نُ ومَنْ لاذَ بالطَّوافِ وصَلَّى

٤ـ لَرَسيسُ الهَوى أحَرُّ منَ الجَمْـ	ـرِ على قلبِ عاشِقٍ يتقَلَّى

٢ـ تجذ: تقطع.

(١٢٥)

* البيتان في الأصل، ولم يردا في المطبوع.

٢ـ في الأصل: (بخذاهي ينقض) ولعلها كلمة فارسية أصلها (خدا) أي الله سبحانه.

(١٢٦)

* الأبيات في الأصل.

١ـ الدل: الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك، ويقال: امرأة ذات دل، ذات شكل تدل به. ودل المرأة: دلالها على زوجها تريه جراءة عليه في تغنج وتشكل كأنها تخالفه وما بها من خلاف. (القاموس المحيط، والمعجم الوسيط: دلل).

٣ـ البُدْن: جمع بدنة، ناقة أو بقرة تنحر بمكة قرباناً، وكانوا يسمنونها لذلك.

٤ـ رسيس الهوى: بدؤه أو بقيته وأثره. يتقلى: تقلب متململاً كأنه على المقلى.

(١٢٧)

وقـال أيضـاً: (الكامل)

١ـ أعْـزِزْ علـيَّ بـأنْ تكـونَ عليـلا ... أو أنْ يكونَ بكَ السَّقامُ نـزيلا
٢ـ وَوَدِدْتُ أنِّـي مـالكٌ لسلامتـي ... فـأعيرُكَـهـا بُـكْـرَةً وأصيـلا
٣ـ فتكونُ تسْعى سالماً بسلامتي ... وأكـونُ مِمَّـا قـد عَراكَ بديـلا
٤ـ وأنا أخٌ لكَ أشتكي ما تشتكي ... وكذا الخليلُ إذا أجَلَّ خليلا

(١٢٨)

وقال يجيب الحسن بن وهب وكان قد اعتلَّ: (الخفيف)

١ ـ دَفَعَ اللهُ عنكَ نـائبـةَ الدَّهْـ ... ـرِ وحـاشـاكَ أنْ تكونَ عليـلا
٢ ـ أشْهَدُ اللهَ مـا عَلِمْتَ ومـا ذا ... كَ من العُذْرِ جـائزاً مـقـبـولا
٣ ـ ولَعَمْري أنْ لو علمتُ فـلازمْـ ... ـتُكَ حـولاً لكانَ عندي قليـلا
٤ ـ إنَّني أرتَجي وإنْ لم يكـنْ مـا ... كـان مِمَّا نَقِمْتَ مِنِّي جـمـيـلا
٥ ـ أنْ أكـونَ الذي إذا ضَمِنَ الإخـ ... ـلاصَ لم يلتَمِس عليـه كـفـيـلا
٦ ـ ثـمَّ لا يـبْذُلُ المودَّةَ حـتَّى ... يجـعَلَ الجـهـدَ قَبْلَهـا مَبْذولا
٧ ـ فـإذا قـالَ كـانَ مـا قـالَ إذْ كـا ... نَ بعـيـداً من خُلْقِه أنْ يقـولا

---

(١٢٧)

* الأبيات في الأصل.
٣ـ عراك: أصابك.

(١٢٨)

* الأبيات في الأصل وهي ساقطة من المطبوعة، والأغاني ٢٣ / ٧٠، فقال: اعتل الحسن بن وهب، فتأخرعن محمد بن عبد الملك أياما كثيرة، فلم يأته رسولُه، ولا تعرَّفَ خبرَه، فكتب إليه الحسن قوله:
أيهذا الوزير أيَّدكَ اللـ ـهُ وأبقاكَ لي بقاءً طويلا....الأبيات،
فأجابه محمد بن عبد الملك: دفع الله عنك.... الأبيات.

٨– فـــاجْعَلْنَ لي إلى التَّعْلُّقِ بالعُذْ ـرِ سـبـيـلاً إنْ لم أجِدْ لي سـبـيـلا
٩– فـقـديماً مـا جـادَ بالصَّفْحِ والعَفْـ ـوِ ومــا ســامَحَ الخليلُ الخليــلا

(١٢٩)

وقــال: (الخفيف)

١ـ خيرُ ما نـالتِ الرعيـةُ هذا الأمـ ـنَ أمـنَ النـفـوسِ والأمـوال
٢ـ ولـنـــا حـاكِـــمٌ يُجـاوِزُهــــا ذاكَ وهـذا بنـا إلى الإفـضالِ

(١٣٠)

وقـال يخاطب الواثـق: (البسيط)

١– يابنَ الخلائفِ والأملاكِ إنْ نُسبوا حُزْتَ الخلافَةَ عـن آبـائـكَ الأوَلِ
٢– أجُرْتَ أم رَقَدَتْ عيناكَ عن عَجَبٍ فـيــه البَرِيَّةُ من خَوفٍ ومن وَهَلِ
٣– ولَّيْتَ أربَعَةً أمـرَ العبـادِ مـعـاً وكُلهُمْ حـــاطِبٌ في حَبْلِ مُحْتَبِلِ
٤– هذا سليـمـان قـد مَلَّكْتَ راحَتَهُ مـشـارِقَ الأرضِ من سَهْلٍ ومن جَبَلِ

والأبيات: ١، ٢، ٨، ٩، في الزهرة ١٢/٢١٢–٢١٣.
١ـ الزهرة: (رفع الله عنك). ٣ـ البيت في الأغاني فقط ولم يرد في الأصل.
٤ـ في الأغاني: (إلا جليلا). ٥ـ الأغاني: (إذا أضمر الإخلاص).
٦ـ الأغاني: (دونها مبذولا). ٧ـ الأغاني: (عن طبعه أن يقولا).
٨ـ الزهرة: (فجعلن لي إلى التوسل بالعذر سبيلا أذ لم أجد).
٩ـ الزهرة: (فقديماما جاد ذو الفضل بالصفح)، الأغاني: (بالصفح والعفو).

(١٢٩)

* البيتان في الأصل.

(١٣٠)

* القصيدة في الأغاني ٢٠/٢٨٧–٢٨٨، والأبيات ٣، ٩، ١٠، ١١، ١٥، ١٦ في أعتاب الكتاب ص١٢٨.
٢ـ جرت: من الجور وهو الظلم. الوهل: الضعف والجبن والفزع، ووهل: سها وذهب وهمه إلى الشيء وهو يريد غيره.
٣ـ المحتبل: آخذ الصيد بالحبالة.

٥- مَلَّكْتَهُ السِّنْدَ فالشِّحْرَيْنِ من عَدَنٍ إلى الجـزيرةِ فـالأطرافِ من مَلَلِ
٦- خلافَةٌ قد حواها وحْدَهُ فمَضَتْ أحْكامُهُ في دمـاءِ القـومِ والنَّفَلِ
٧- وابنُ الخصيبِ الذي ملَّكْتَ راحَتَهُ خِلافـةَ الشـامِ والغـازينَ والقَفَلِ
٨- فنيلُ مصرٍ فبَحْرُ الشامِ قد جَرَيا بمـا أرادَ مـن الأمـوالِ والحُلَلِ
٩- كـأنَّهم في الذي قَسَّمْتَ بينَهُمُ بنو الرشـيـدِ زمـانَ القَسْمِ للدولِ
١٠- حوى سليمانُ ما كانَ الأمينُ حوى مـن الخلافَةِ والتـبـليـغِ لـلأمَلِ
١١- وأحمدُ بنُ خصيبٍ في إمارته كـالقـاسمِ بنِ الرشيـدِ الجامعِ السُّبُلِ
١٢- أصبحتَ لا ناصِحٌ يأتيكَ مستَتِراً ولا عـلانيـةً خـوفـاً من الحِيَلِ
١٣- سَلْ بيتَ مالكَ أينَ المالُ تعرِفُهُ وسَلْ خَراجَكَ عن أمـوالكَ الجُمَلِ
١٤- كم في حُبوسِكَ مِمَّنْ لا ذنوبَ لهم أسـرى التَّكَذُّبِ في الأقـيـادِ والكَبَلِ
١٥- سُمِّيتَ باسمِ الرشيدِ المرتضى فبه قِسْ الأمـورَ التي تُنْجي من الزَّلَلِ
١٦- عِثْ فيهمُ مثلَ ما عاثَتْ يداهُ معاً على البـرامكِ بالتـهـديمِ للقُلَلِ

٥- السند: بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان، وقصبة السند مدينة يقال لها: المنصورة، ومن مدنها ديبل، وهي على ضفة بحر الهند والتيز، فتحت في أيام الحجاج بن يوسف (ياقوت: السند).

الشِّحر: بين عدن وعمان، وإليه ينسب العنبر الشحري لأنه يوجد في سواحله، وقيل: الشحر، الشط، وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن (ياقوت: الشحر).

ملل: موضع في طريق مكة بين الحرمين، وقيل: ملل هو منزل على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلا من المدينة (ياقوت: ملل).

٦- النفل: الغنيمة.

٧- القفل: الطريق من بستان ابن عامر إلى مكة على قفل، وقفل: الثنية التي تطلعك على قرن المنازل ثم جبال الطائف تلهزك عن يسارك وأنت تؤم مكة متقاودة، وهي جبال حمر شوامخ أكثر نباتها القرظ (ياقوت: قفل).

(١٣١)

وقال أيضاً: (مجزوء الخفيف)

١- تركَ اللهوَ والصِّبا وتخلّى من الغَزَلْ
٢- إذْ بدا الشيبُ في مجا [لَيْ] عِذارَيْهِ واشْتَعَلْ
٣- ورأى البيْضَ قد قَطَعْـ ـنَ من الحَبْلِ ما وَصَلْ
٤- فابتغي وَصْلَ كلِّ ذي هَيَفٍ مُشْرِفِ الكَفَلِ
٥- لا يُبالي مَنْ شابَ مِنْ عاشِقَيْهِ أو اكْتَهَلْ
٦- لا يُرى يكْرَهُ الخِضا بَ وإنْ كانَ قد نَصَلْ
٧- يأمنُ الطَّمْثَ منهُ في عاجلِ الأمرِ والحَبَلْ
٨- مستَعِدٌّ لما يُطا لَبُ وَقْفٌ على العِلَلْ
٩- كلما قلتُ سيدي جدِّدِ الوصْلِ لي وَصَلْ
١٠- وإذا شِئْتَ أنْ يزو رَكَ في خَلوةٍ فَعَلْ
١١- وإذا قالَ جارُ بيـ ـتِكَ مَنْ ذا الذي فعلْ
١٢- وعلا صوتُهُ وشَنْـ ـنَعَ في لفظِهِ فَقُلْ

---

(١٣١)

* القصيدة في الأصل.

٢- العذار من الرجل: جانب اللحية، أي الشعر الذي يحاذي الأذن.

٣- البيض: النساء الجميلات اللواتي قطعن الوصل حين رأين الشيب في رأس الشاعر.

٤- هيف الغلام: ضمر بطنه، ورقَّتْ خاصرته. مشرف: مرتفع. الكَفَلْ العَجُزْ.

٦- نصل: من نصلت اللحية نصولاً، أي خرجت من الخضاب.

٧- في الأصل: (والحيل) وصوابها: (الحَبَل). الطمث: الحيض

٩- في الأصل: (حدود الوصل).

١١- في الأصل: (وإذا قام) والصواب ما أثبتناه.

١٢- شنع في لفظه: ذكر القبيح.

١٣- رَجُلٌ جـــاءَ طالبــــاً بــعـضَ مـــــا يَطْلُبُ الـرجُلْ
١٤- فــــدفَعْناهُ فــــانثنى وفـــــتَلْناهُ فـــــانـفَتَلْ
١٥- ورفَعْنـــــا بـــــه فَخَرْ رَ عـــلــى الـــوَجْهِ وانـــخَزَلْ
١٦- فـــــإذا خَلْفَهُ جَبـلْ فــــتــــوغَلْتُ فـي الجَبَلْ
١٧- وتـطـأطأتُ فـــاسْتَوَى وتَرَقَّعْتُ فــــــاحْتَمَلْ
١٨- فـــــإذا ريْقُهُ ألَذْ ذُ وأحْلـــى مـــن الـــعَسَلْ
١٩- فــــتَرَوَّيْتُ واعْتَزَلْـــ ـــتُ كـــمـــا كـنتُ واعْتَزَلْ
٢٠- ســــاعَةً ثـم أنَّهُ وجَدَ الحَرَّ فـــــاغْتَسَلْ
٢١- ومـــضى لـم يَكُنْ ورا ذاكَ شـيءٌ فـــمـــا الـعَذَلْ

(١٣٢)

قال محمد بن عبد الملك الزيات يمدح الحسن بن سهل** : (الرجز)

١٤ــ انفتل: التوى وانحرف.
١٥ــ انخزل: انقطع وارتد وضعف.

(١٣٢)

* القصيدة في الأصل. والأبيات: ١، ٢٠، ٢٣، ٣٣، ٣٤، ٣٥ في الأغاني ٢٣ / ٧٠ ـ ٧١ والبيت الأول في ٢٢٣ / ٥٢، والبيت الأول في العمدة ٢ / ٣٩٢ والبيتان ٢٠، ٢١ في العمدة أيضاً ٢ / ٦٨٩.

** الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، أبو محمد، وزير المأمون العباسي، وأحد كبار القادة والولاة في العصر العباسي، اشتهر بالذكاء المفرط، والأدب والفصاحة وحسن التوقيعات، والكرم، وهو والد بوران (زوجة المأمون)، وكان المأمون يجله ويبالغ في إكرامه، وللشعراء فيه أماديح، أصيب بمرض السويداء سنة ٢٠٣ هـ، فتغير عقله حتى شُدَّ في الحديد، ثم شفي منه قبل زواج المأمون بابنته سنه ٢١٠هـ وتوفي في سرخس (من بلاد خراسان)، وهو أخو الفضل بن سهل ذي الرياستين، كانا من أهل بيت الرياسة في المجوس وأسلما، هما وأبوهما سهل في أيام الرشيد. (ابن خلكان ١ / ١٤١، تاريخ بغداد ٧ / ٣١٩، وابن الوردي ١ / ٢١٧، الأعلام ٢ / ١٩٢).

قال أبو الفرج: (أخبرني الأخفش علي بن سليمان، قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال: كان جدي موسراً من تجار الكرخ، وكان يريد من أبي أن يتعلق بالتجارة

١ـ كـــأنَّهـــا حينَ تُنْئي خَطْوَها أَخْنَسُ مــوشيٌّ الشَّوى يرعى القُلَلْ

٢ـ بـاتــتْ لـهُ مـن شُرَطِي لـيـلـةٌ جــادتْ عليــه سَبَلاً بعــدَ سَبَلْ

٣ـ ألجــأهُ الـليـلُ إلى حقْفِ ثرى وفـــيــــه صرٌّ ذاتُ حَتْفٍ ووَجَلْ

٤ـ يـدعـــو بظَلْفَيْه تُراباً هـايـلاً يـخـلُطُ رَيْثـــاً وفُتـــوراً بَعَجَلْ

٥ـ يســوفُ أعــلاهُ وطَوْراً ينتَحي لـلعرْقِ بالسِّنِّ فــمـــا شــاءَ فَعَلْ

٦ـ حـــتى إذا الـليـلُ تـفَرَّى ثوبُهُ عـنهُ غـــدا يـنفُضُ عِطْفَيْه البَلَلْ

ويتشاغل بها، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدب وطلبه ويخالط الكتاب ويلازم الدواوين.... ثم شخص إلى الحسن بن سهل بفم الصلح، فامتدحه بقصيدته التي أولها: (كأنها حين تناءى ....) فأعطاه عشرة آلاف درهم، فعاد بها إلى أبيه ، فقال له أبوه: لا ألومك بعدها على ما أنت فيه).

فم الصلح: نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبَّل، عليه عدة قرى، وفيه كانت دار الحسن ابن سهل وزير المأمون (ياقوت : فم الصلح).

١ـ الأغاني: (حين تناءى خطوها) وفي ص٧٠: (حين تنادى خطوها).

العمدة: (حين تناء ى خطوها أخنس مطوي الشوى). وقد علق ابن رشيق على البيت وجعله من التقصير وخلاف العادة، وقال: (فالعيب الأول في مخالفة العادة لازم له، ومع ذلك قوله (حين تناءى خطوها) فقصر بها (أي بالناقة)، وهو يقدر أن يقول: (تدانى خطوها)، وخالف جميع الشعراء بذلك، لأنهم إنما يصفون الناقة بالظليم والحمار والثور بعد الكلال علواً ومبالغة في الوصف، هذا هو الجيد..... ثم قال: (يرعى القلل) والثور لا يرعى قلل الجبال ، وإنما ذلك الوعل فإنه لا يُسْهِل).

الأخنس: ذكر البقر الوحشي، والخنس: انخفاض قصبة الأنف. الشوى: الأطراف، موشي: منقش بالألوان.

٢ـ الشُّرَطي: من الشرَط ، وهو مسيل صغير يجيء من قدر عشرة أذرع، والشَّرطان: نجمان من الحمل.

السَّبْل: المطر النازل من السحاب قبل أن يصل الأرض.

٣ـ الحقف: ما اعوج من الرمل. الصِّرُّ: الريح الشديدة في برودتها وفي صوتها. الوجل: الخوف.

٤ـ يدعو: من تداعى الرمل، إذا مال على بعضه وانهار.

٥ـ يسوف: يشم. ينتحي: يميل ويقصد إلى الشيء.

٦ـ تفرى ثوبه: تشقق، وفرى الثوب: شقه. عطفاه: جانباه.

٧- كــأنّه مَدَّرِعٌ قُبْطِيَّةً مُعْتَجِرٌ بفَضْلِها أو مُشْتَمِلْ
٨- فـجالَ يقرو أخْطَباً أطاعَهُ نَوْءُ السَّماكَيْنِ بثَجَّاجٍ زَجِلْ
٩- إنْ يَسْتَرِبْ بنَبْأةٍ يَبْعَثْ لها طليعةً تَنْفُضُ أطْرافَ السُّبُلْ
١٠- من أُذُنَيْنِ يَطَّبي سَمْعَهُما من السكونِ حَركاتُ تُعْتَمَلْ
١١- فارتاعَ من غُضْفٍ يُراعينَ به شوازبٍ مثْلِ قِداحِ المُنْتَصِلْ
١٢- يسعى بها أطْلسُ عارٍ مُبْتَذِلْ ليسَ براعي غَنَمٍ ولا إبِلْ
١٣- يرمي بها الغيطانَ كالسِّيْدِ المُوَلْ يُشْبِهُ ما شَبَّهْتَهُ غيْرَ الرَّجُلْ
١٤- فاكْتَنَفَتْهُ فَنَحا يَقْدمُها فاحْتَفَلَتْ من شَدِّها ثم احْتَفَلْ
١٥- حتى إذا كادتْ ثَنَتْ صَوْلَتَهُ عزيمةٌ منهُ وجدٌ وهَزَلْ
١٦- فجالَ فيها جولةً مُعْتَرِضاً فاخْتَلَّ بالرَّوْقَينِ أقرابَ الأُوَلْ

٧- قبطية: ثياب منسوبة إلى القبط، وهم نصارى مصر. الاعتجار: لف الشيء كالعمامة على الرأس. مشتمل: من اشتمل بثوبه، تلفف به.

٨- يقرو: يقصد ويتتبع. الأخطب: النبات يكون أغبر مخضراً، يقال: أخطب الحنظل، إذا اصفرَّ وصارت فيه خطوط خضر. السماكان: كوكبان نيِّران، يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك، ويقال للآخر: السماك الأعزل، لأنه ليس أمامه شيء. الثجَّاج: من ثجَّ الماء إذا سال. زجل: سحاب ذو صوت ورعد.

٩- في الأصل: (ينفض)، يسترب: من الريبة، أي يشك. النبأة: الصوت الخفي، أو صوت الكلاب.

تنفض أطراف السبل: تنظر في جميع الطرق حتى تتعرفها.

١٠- يطبي: يدعو أو يستميل.

١١- في الأصل: (المنتضل) بالضاد، الغضف: جمع أغضف، وهو المسترخي الأذن من الكلاب. شوازب: ضوامر، واحدها شازب. قداح المنتصل: سهام الذي يعمل النصال.

١٢- الأطلس: الأغبر الضارب إلى السواد، وهي صفة الصائد.

١٣- الغيطان: جمع الغيط، وهو المطمئن الواسع من الأرض، ويراد به الحقل. السِّيْد: الذئب. المول، أي: المولي، بمعنى المدبر الهارب.

١٤- اكتنفته: أحاطت به. احتفلت في شدها: اشتدت في عَدْوِها.

١٦- الروق: القرن. الأقراب: جمع قرب أي الخاصرة.

١٧- كـأنَّهُ ابنُ فـارسيٍّ يَنْتَحي		لـلـقِرْن طَعْنـاً بِمَهزٍّ مُعْتَدِلْ
١٨- غـادَرَها تكْبـو على أنوفِهـا		روادياً وانـقَضَّ كـالنَّجْمِ المُوَلْ
١٩- هاتيكَ بعدَ الأينِ والأينِ وقدْ		طالَ بهـا الإرْقـالُ لا البـولُ المُدِلْ
٢٠- إلى الوزيرِ الحَسَنِ اسْتَنْجَدْتُها		إلـى مَنـاخٍ ومَزارٍ ومَحَلْ
٢١- أيُّ مَزارٍ ومَنـاخٍ ومَحَلْ		لخـائفٍ أو مُسْتَريْشٍ ذي أمَلْ
٢٢- دعامةُ المُلْكِ وحيثُ اعْتَمَدَتْ		أركـانُهُ والحِزْزُ من رتَبِ الدوَلْ
٢٣- سـيْفُ أمـيرِ المؤمنينَ المُنْتَضى		وحِصْنُ ذي الرياسـتينِ المُعْتَقَلْ
٢٤- من عُصْبَةٍ أنْقَذَنا اللّهُ بهـا		وثَبَّتَ الإسـلامَ من بعـدِ الزَّلَلْ
٢٥- طَيِّبَةِ الأصْلِ مع الفَرْعِ لهـا		غُصْنـانِ يَهْتَزَّانِ فـي رُكْنِ جَبَلْ
٢٦- حَفـافيَ المُلْكِ يذودانِ مـعـاً		عن حُرْمَةِ الدِّيْنِ ومـيراثِ الرُّسُلْ

١٧- ينتحي: يميل ويقصد. القِرن: المثيل في الشجاعة والشدة والقتال. بمهز معتدل: أي بقرن كالرمح المهتز المستقيم.

١٨- روادي، أي قتيلات، من الردى، الموت. المول، أي: المولي، الذاهب الغائب.

١٩ - الأين: التعب والإعياء. الإرقال: الإسراع. وفي حديث الجاحظ عن الكلب، أنه يلحق الذكور من الظباء، لأنها حين تتعب من المطاردة تقف لتبول، أما الإناث فتبول وهي تجري.

٢٠- الأغاني: (إلى الأمير الحسن استنجدتها   إلى مراد ومناخ ومحل).
العمدة: (إلى الأمير الحسن استنجدتها   إلى مزار ومناخ ومحل).
وقد أشاد ابن رشيق بهذا البيت والبيت الذي بعده، لما فيهما من تكرير على جهة التفخيم.

٢١- المستريش: من راش يريش، إذا جمع المال والأثاث واغتنى.

٢٢- في الأصل: (رتب الدول) ولعلها: (ريب الدول) بالياء المثناة، وفي القاموس: الرَّتَب: محركة الشدة والانصباب، فلعلها من هذا. الحرز: الصون والامتناع.

٢٣- الأغاني: (ذي الرياستين المقتبل).
المنتضى: السيف المسلول، المشهور، وانتضى السيف: أخرجه من غمده.

٢٦- في الأصل: (ندودان معاً) وهي تحريف.
حفافي الملك: جوانبه.

٢٧ــ أُقْسِمُ بـالـلـهِ يمـيـنـاً بَرَّةً والعـيْسُ تجْتـابُ اليَبـابَ المُتَّصِلْ
٢٨ــ لَقَوْلُكَ القَوْلُ الذي يَشْفي العَمى ورأيُكَ الـرَّأيُ بـه قـامَ المَيَلْ
٢٩ــ أنتمْ يَدُ المُلْكِ التي صَالَ بهـا خليـفـةُ اللهِ على حين وَهَلْ
٣٠ــ وهَضْبَةُ الدِّينِ وأنْصارُ الهُدى وعِصْمَةُ الحقِّ وفُرسـانُ الـفُلَلْ
٣١ــ وباذلو الخيرِ لِما لم يُسْألوا وباذلو الخيرِ إذا الخيرُ سُئِلْ
٣٢ــ وموقدو الحربِ لدى إطْفائها ومُطْفِئوها وهي تَرمي بالشُّعَلْ
٣٣ــ آباؤكَ الغُرُّ الأُلَى جَدُّهُمُ كسرى أنو شِرْوانُ يروونَ االأسَلْ
٣٤ــ من كلِّ ذي تاجٍ إذا هَمَّ مضى قُدْماً لما هَمَّ وإنْ قالَ فَعَلْ
٣٥ــ فأيْنَ لا أينَ وأينَ مِثلُكُمْ وأنتمُ الأملاكُ والناسُ خَوَلْ

(١٣٣)

وقال من قصيدة: (المتقارب)

١ــ وصَهْباءَ كرخِيَّةٍ عُتِّقَتْ فطالتْ بها في الدِّنانِ الطِّيَلْ

٢٧ــ العيس: الإبل يخالط بياضها شقرة. اليباب: الأرض الخراب الواسعة.
٢٩ــ الوهل: الفزع والضعف.
٣٠ــ الفلل: من فلَّ السيف، ثلمه، وفل القوم: هزمهم.
٣١ــ في الأصل: (لما يسئلوا).
٣٣ــ الأغاني: (كسرى أنو شروان والناس همل).
الأسل: السيوف والرماح، وكل ما رقق وحُدَّ من الحديد، من سيف أو سكين أو سنان.
٣٤ــ الأغاني: من كل ذي تاج إذا قال مضى كل الذي قال وإن همَّ فعل).
٣٥ــ الأغاني: (وأنَّى مثلكم أنتم الأملاك).
الأملاك: أصحاب الملك. الخول: الخدم والحشم.

(١٣٣)

* القصيدة في الأصل.
١ــ الصهباء: الخمر، سميت بذلك للونها الأصفر الضارب إلى الحمرة والبياض. كرخية: منسوبة إلى جانب الكرخ من بغداد. الطيل: الطول، والطِيلة: بالكسر، العمر، يقال في الدعاء: أطال الله طيلتَه، أي عمره.

٢ـ فلم يبْقَ منها سوى لونِها ... ونَكْهَةِ ريحٍ بها لم تَزَلْ

٣ـ كأنَّ خيالاً لدى كأسِها ... يَدِقُّ عن الطَّرْفِ ما لم يَجُلْ

٤ـ فإنْ جالَ قُلْتَ شرابٌ جرى ... على جانبِ الكأسِ لا بلْ أقَلْ

٥ـ تُسَمَّى وليسَ لها في اليقيـ ... ـنِ معنى وجودٍ عليها يَدُلْ

٦ـ فلولا الدلالةُ عن ريحِها ... لَضَلَّتْ ولكنْ أبَتْ أنْ تَضِلْ

٧ـ تُرى بالتَّوَهُّمِ لا بالعِيا ... نِ وتُشْرَبُ بالقولِ لا بالعَمَلْ

٨ ـ كفاني من ذوقِها شَمُّها ... فرحْتُ أجُرُّ ثيابَ الثَّمِلْ

(١٣٤)

وقال أيضاً: (الكامل)

١ـ أخنى عليَّ الدهْرُ كَلْكَلَهُ ... وعدا [على] عيشي فَبَدَّلَهُ

٢ـ وكأنَّما جَهِدَتْ أليَّتُهُ ... أنْ لا يرى خيراً فيفْعَلَهُ

٣ـ ما إنْ يزالُ يُجِدُّ داهيةً ... تحدو بها نحوي رواحِلُهُ

٤ـ وينوبُني منهُ بمُعْضِلَةٍ ... يرمي بها جسمي ليُنْحِلَهُ

٥ـ فإذا رَتَقْتُ الأمرَ بادَرَهُ ... بالفَتْقِ إصراراً وعاجَلَهُ

٦ـ لو كان يُعْقِبُ مرَّةً فَرَحاً ... ويَسوءُ أُخْرى لاحتَمَلْتُ لهُ

٧ـ ولَخِلْتُ منهُ ذاكَ فائدةً ... لكنْ أبى إلاّ تحامُلَهُ

٨ـ فَلَئِنْ ذَمَمْتُ العَيْشَ آخِرَهُ ... فلقد حَمِدْتُ العَيشَ أوَّلَهُ

---

٨ ـ الثَّمِل: الذي أخذ فيه الشراب، وثمل إلى الشيء: مال إليه وأحبه.

(١٣٤)

* الأبيات في الأصل.

١ـ في الأصل: (وعدا عن).

أخنى عليه: أفحش وأفسد وطال وأهلك وأتى عليه. الكلكل: الصدر، أو هو ما بين الترقوتين.

٢ـ جهدت أليته: جد في قسمه، والألية: اليمين.

٩- لـلـــــهِ أوّلُنــــا وآخِرُنـــــا   مـــــا كـــــانَ أجـــــوَدَهُ وأعْدَلَهُ
١٠- يـا لـيـتَ هـذا كـــان أوّلُنا   يـعـــــــدو لآخِرِنـا فـــــــيَقْتُلُهُ

(١٣٥)

وقـال ابن الزيـات :   (المتقارب)

١ـ إذا مـا بـدأتَ امـرأً جـاهـلاً   بـبِـرٍّ فقَصَّـرَ عـن حَمْـلِـــهِ
٢ـ ولـم تُـلْفـهِ قـائـلاً للجَميـلِ   ولا عـارِفَ العِـزِّ مـن ذلِّـهِ
٣ـ فَسُـمْـهُ الـهَـوانَ فـإنَّ الهَـوانَ   دواءٌ لذي الجهْـلِ من جَهْـلهِ

---

(١٣٥)

* الأبيـات في أعـتـاب الكـتـاب ص ١٤٨ . كـتـب هـذه الأبيـات في ذيـل رسـالة إلى إبراهيـم بن العباس الصولي .

(حرف الميم)

(١٣٦)

وقال أيضاً : (البسيط)

١- حُبٌّ وهَجرُ على جسمٍ به سَقَمٌ العيشُ عن ذا سريعاً سوفَ ينصَرِمُ
٢- حياةُ ذا موتُهُ والموتُ عيشَتُهُ ما خيرُ عيشٍ إذا ما زالتِ النِّعَمُ
٣- أرى المحبِّينَ قد طالَ البلاءُ بهم حتى كأنَّ هواهمْ فيهمُ نِقَمُ
٤- عرَفْتُ ذلكَ في نَفْسي وعِلَّتُهم قد يُرْحَمونَ ولم أُرْحَمْ كما رُحِموا
٥- جاءَ الكتابُ بما قد كنتُ أحْذَرُهُ يا وَيْلَتا لي ممَّا سَطَّرَ القَلَمُ
٦- قالتْ تَحقَّقَ ما كُنَّا نُزَنُّ به فالنارِ بينَ ذوي الأضْغانِ تَضْطَرِمُ
٧- إليكَ عَنِّي فإنَّ القَوْمَ قد نَذَروا أنْ يقْتلوكَ ألا فاسْلَمْ ولا سَلِمُوا
٨- لولا مخافةُ أنْ يَشْجى بقيلِهُمُ لَما تَفوَّهَ منهم بالوعيدِ فَمُ
٩- لا كنتُ إنْ عاقَني عن أنْ أزورَكُمُ وكُلُّهُمْ شاهِدٌ خَوْفٌ لِما زَعَموا

(١٣٧)

وقال أيضاً فيه : حدثني بعض أصحابنا أن محمداً دخل دار السلطان، وابن أبي دواد فيها، فلما رآه قام يصلي : (الكامل)

---

(١٣٦)

* الأبيات في الأصل.
٢- في الأصل : (حياة ذات).
٤- في الأصل : (وغلهم).
٦- نزن به : نتهم، أزن به : اتهم به، الأضغان : الأحقاد.
٧- في الأصل : (قد نزروا).

(١٣٧)

* البيتان في وفيات الأعيان ١ /٨٥، ٥ /١٠٢ ط إحسان عباس، وهما في العمدة ٢٣ /٧٣٩، والوافي بالوفيات ٤ /٣٣.
قال ابن خلكان : (وكان الواثق قد أمر أن لا يرى أحد من الناس محمد بن عبد الملك الزيات الوزير إلا قام له، فكان ابن أبي دُوَاد إذا رآه قام واستقبل القبلة يصلي، فقال ابن الزيات : صلى الضحى).

١ـ صَلَّى الضُّحى لما استفادَ عداوتي وأراهُ يَنْسُكُ تارةً ويصومُ
٢ـ لا تَعْدِمَنَّ عَداوةً مَأجومَةً تركَتْكَ تَقْعُدُ تارةً وتَقومُ

(١٣٨)

وقال: [الوافر]

١ـ أترحلُ والذي تهوى مقيمُ لَعَمْرُكَ إنَّ ذا خطرٌ جسيمُ
٢ـ إذا ما كنتَ للحدثان عوناً عليكَ وللزمانِ فمن تلومُ

(١٣٩)

وقال أيضاً: (مجروء الوافر)

١ـ تَنَصَّلَ بعدَ ما ظَلَما فعادَ لوَصْلِ ما صَرَما
٢ـ وقلتُ لعالمٍ بالأمـ ـرِ منتَفعٍ بما عَلِما
٣ـ أَلَسْتَ ترى تَلَفُّتَهُ فقالَ نَعم رأيتُ: فَما؟
٤ـ أما يكفيكَ أنَّكَ كُنْـ ـتَ يومَ لَقيْتَهُ عَلَما
٥ـ فقلتُ تَذوقُهُ فَلَعَلَّ ذا كَ الخدَّ قد لُثِما
٦ـ فَقَدْماً رَغبْتُهُ قدماً وأحْرَزَ رغْبَةً قدما
٧ـ يُحَاوِلُ غَمْرَةً ويخا فُ عندَ وقوعِها النَّدَما

٢ـ العمدة والوافي: (عداوة مشؤومة تركت تقعد تارة وتقوم).
وفيات الأعيان: (عداوة مسمومة).
عداوة مأجومة: متأججة، من أجمت النار، إذا تأججت.

(١٣٨)

* البيتان لابن الزيات في المنتخل للميكالي ٢ / ٨٠٢، والمنتحل ص ٢٢٢، والبيتان لمحمد بن أمية في الدر الفريد ٢ / ٧٩.

(١٣٩)

* القصيدة في الأصل.

٨- فكابَرَ طَرْفُهُ فيها ... فأرسَلَها وما اعْتَزَما
٩- فما بلَغَتْهُ وهي الحُرُ ... بُ حتى ردَّها سِلْما
١٠- كأنْ [قد] كان يرقُبُها ... فحينَ عَنَيْنَهُ فَهِما
١١- وأقْبَلَ بعْدَها مُتَخذْ ... دِراً يتَعَسَّفُ الحَشَما
١٢- يسيلُ جبينُهُ عَرَقا ... [وتقْطُرُ] وَجْنَتاهُ دَما
١٣- ويُقْصِرُ طَرْفُهُ كَيلا ... ترى عيناهُ مُتَّهَما
١٤- يُبادرُ أنْ يُراحَ لكي ... يَصُحَّ لهُ الذي حَتَما
١٥- فَحَطَّ برَحْلِنا نعَما ... فَبِتْنَا نَشْكُرُ النِّعَما
١٦- أشوفُ مُقَلَّداً سَبِطاً ... وأرْشُفُ بارِداً شَبِما
١٧- أقولُ وقد سَنَحَ الـ ... ـعِتابُ عليهِ فانْتَظَما
١٨- أذَنْباً كنتَ تَحْسَبُ جَفْـ ... ـوَتي باللهِ أم كَرَما
١٩- أما اسْتَحْيَيْتَ يومَ كذا ... ويومَ كذا أما وأما
٢٠- فَنَكَّس ناظِراً في ظَهْـ ... ـرِ كَفٍّ يُنْبِتُ العَنَما
٢١- وقالَ وما على رَجُلٍ ... أُسيءَ بهِ إذا انتقَما

١٠- الشطر ناقص في الأصل.

١١- يتعسف: يظلم، ويأخذ بالعنف والقوة.

الحشم: حشم الرجل خاصته الذين يغضبون لغضبه ولما يصيبه من مكروه من عبيد وأهل وجيرة.

١٢ - في الأصل: (عرقا وجنتاه دما).

١٦- أشوف: أنظر وأشرف وأتطلع. مقلد: في عنقه قلادة. سبط: طويل حسن القد. الشبم: البارد.

٢٠- العنم: نبات أملس دائم الخضرة أزهاره قرمزية يتخذ منها خضاب، تشبه به أصابع اليد المخضوبة.

٢١- في الأصل: (إذا انتعما). ولعلها (انتقما) كما يقتضي المعنى.

(١٤٠)

وقـال : (الخفيف)

١ـ ليتَ هـذا الصيـامَ دامَ لنـا عا مـاً وعـامـاً بـل ليتـهُ ألـفُ عــامِ
٢ـ إنَّ شَهْـراً كُنَّـا نَرى كُلَّ يومٍ فيـهِ وجـهَ الإمـامِ وابـنِ الإمـامِ
٣ـ لَحَـقيـقٌ أنْ لا نــزالَ عليـــهِ كـاسفي البالِ ظاهري التَّهمامِ
٤ـ لعَـنَ اللـهُ مـنْ يرى أحـداً أوْ لى بها منـكَ مـن جميعِ الأنـامِ
٥ـ لعـنَ اللـهُ مـنْ يَعُـدُّ سـوى رأ يِـكَ عَـوْنـاً لــهُ على الأيــامِ

(١٤١)

وقـال أيضا [في العباس بن المأمون]** : (البسيط)

١ـ ما كـانَ أغْنـاكَ عـن هَمٍّ خَلوتَ بـهِ فينـا يُخاطِـبُ قَلْباً كُـلُّـهُ دامِ
٢ـ لأنْـتَ فـي عـامِـكَ المـاضي أقـرُبنـا عَيْنـاً وأنْعَمُ بالاً منـكَ في العامِ

---

(١٤٠)

* الأبيات في الأصـل.

(١٤١)

* البيتان في الأصـل.
** مرت ترجمة العباس بن المأمون.

(١٤٢)

* البيتان في الأصـل.
** الغزوة: هي غزوة عمورية، وقد مرت ترجمتها.
توفلس: هو توفـيـل Theophilus امبراطور الدولة الرومانية من عام ٨٢٩ ـ٨٤٩ وقد قضى معظم أيامه في محاربة خلفاء بغداد، وهو الذي يقول فيه أبو تمام في حرب عمورية هذه:

لما رأى الحرب رأيَ العين توفلسٌ والحرب مشتقة المعنى من الحَـرَبِ
غـدا يصَرِّفُ بالأمـوالِ خزيَتهـــا فعَـزَّهُ البحـرُ ذو التيَّـارِ والعَـبَـبِ

(١٤٢)

وقال أيضاً في تلك الغزوة في توفلس عظيم الروم**: (الخفيف)

١ـ أسلَمَ المُدْنَ والحُصونَ وولّى　　يحْسَبُ الموتَ تحتَ كلِّ قيامِ

٢ـ صَنَعَ الحَزْمَ عامَ أوّلَ لكنْ　　جَمَعَ الحَزْمَ كُلَّهُ في العامِ

(١٤٣)

وقال أيضاً: (مجزوء الكامل)

١ـ طَرْفٌ ترَقْرَقَ بالدَّمِ　　بعدَ الدُّموعِ السُّجَّمِ

٢ـ اللهُ يعلمُ أنَّني　　أهْوى وِصالكِ فاعْلَمي

٣ـ قُسِمَ الهَوى بينَ العبا　　دِ فلَيْتَهُ لم يُقْسَمِ

٤ـ سَهْمٌ على أهْلِ الهَوى　　وعليَّ تسعَةُ أسْهُمِ

(١٤٤)

وقال: (البسيط)

١ـ شَاقَ الفؤادَ وما نَشْتَاقُ من أمَمِ　　أطْلالُ منْزَلةٍ أقْوتْ ولم تَدُمِ

٢ـ هيَ الخيالُ الذي أهْدى لنا سَقَماً　　إذْ زارَنا وغدا خِلْواً من السَّقَمِ

٣ـ ما زارَكَ الطَّيْفُ من بَرٍّ تَعَرَّفُهُ　　لكنْ تَمَنِّيْكَهُ أهْداهُ في الحُلُمِ

٤ـ بِتْنا وباتَ يُمَنِّينا ويُؤنِسُنا　　بُخْلاً علينا ولَمَّا يُوْتَ من عَدَمِ

١ـ في الأصل: (ولا يحسب الموت).

(١٤٣)

* الأبيات في الأصل.

(١٤٤)

* القصيدة في الأصل.

١ـ من أمم: من قرب. أقوت الدار: خلت من أهلها وبليت.

٥– لو دامَ ذلكَ لم نَطْمَحْ بأعــيُننا إلى ســـــواهُ ولـكـنْ ذاكَ لـم يَدُمِ
٦– قـدْ هاجَ لي بُكَراً ممَّنْ بُليتُ بهِ حـمـامـتـانِ على غُصْنٍ من السَّلَمِ
٧– تناوحـانِ بنَغْمـاتٍ يهـيجُ لهـا قَلْبُ الفتى وهما عَمَّا تَعْنيانِ عَمي
٨– يا مَنْ رأى عـربيَّ اللَّفْظِ هاجَ لهُ حُزْناً فـقـالَ عليـهِ نايحُ العَجَمِ
٩– لا شيءَ أعجَبُ من قَتْلي بلا تِرَةٍ مـتى أُقـادُ بهـا كـانتْ ولا تَدُمِ
١٠– يا ذا الذي خـانَ عَهْدي إذْ وَثِقْتُ به قـد كُنْتَ عنْدي أميناً غـيرَ مُتَّهَمِ
١١– أطْمَعْتَني في الهوى حتى إذا سَمَحَتْ نفـسي مُنيتُ بِحَبْلٍ منكَ مُنْصَرِمِ
١٢– صَدَّقْتَ فِيَّ أقاويلَ الوشاةِ ولم تسْمَعْ مـقـاليَ في عُذْري ولا كَلِمي
١٣– ومجْلسٍ نَظَرَتْ عينُ السرورِ به إلـى الـنَّدامـى بـألـوانٍ مـن الـنَّغَمِ
١٤– ظَلَّتْ عليهِ سماءُ اللَّهْوِ هاطِلَةً بالسَّكْبِ من قَطْرِها والوَبْلِ والدِّيَمِ
١٥– ثابتْ إليـهِ من اللذاتِ ثائبـةٌ وقـد أُمـيطَ الأذى عنهُ فلم يَقُمِ
١٦– ظَلَّتْ أباريقُنا للكأسِ ساجِدةً فـيـهِ كـمـا خَرَّتِ الكُفَّارُ للصَّنَمِ

(١٤٥)

وقـال: (مجزوء الهزج)

١– ألـمْ يُسْلـيـكَ عـنْ نُعْمٍ ولا عـن جـــارَتَي نُعْمِ
٢– طِرادُ الخَيْلِ يَحْمـيـهـا غَداةَ الـرَّوْعِ مَنْ يَحْمـي

٦– السَّلم: شجر من العضاه يدبغ به، واحدته سَلَمة.
٧– في الأصل: (يعنيان).
٩– في الأصل: (حتى أفاد بها) وهو تصحيف.
التِرة: الحقد والثأر، وتر فلاناً: قتل حميمه وأدركه بمكروه. أقاد: من القَوَد، وهو القصاص.
١٥– ثابت إليه: رجعت وعادت. أميط الأذى: أزيل.
(١٤٥)
* القصيدة في الأصل. والأبيات: ٥، ٦، ٧، ٨ في معجم الشعراء ص ٣٦٥.

٣– إذا دارتْ رَحـــَى الحـــَرْبِ وعَضَّ الحــــرْبَ بـالسِّلْمِ
٤– فـــهـــا هَنَّاكَ إمَّا تـشـــهَديـنـي تَعْلـمـي عِلْمـي
٥– فـــقــد أخـــتَلِسُ الطَّعْنــــهَ بـيـنَ الـرأي والـوَهَم
٦– كَجَيْبِ الـــثَّاكِلِ الـوالــــهِ أو حـــاشـيــةِ الهَدْمِ
٧– وأغـــشى القَوْمَ بـالـقَوْمِ وألْقـــى الــهَمَّ بـالــهَمِّ
٨– وأحْمـيـــهُمْ فــإنْ غِبْتُ حَمَوا أنْفُسَهُمْ بـــاسْمـي
٩– تـقــولُ الكـاعِبُ الحـسنــاءُ لَمَّا أزْمَعَتْ صَرْمـي
١٠– أمـــا يـخْرجُ مـنْ لَحْظِــكَ أعـطـافـي عـلـى رُغْمـي
١١– فـمـا إنْ بَرِحَتْ حـتى اشْتَرَكْنـا وهـي فـي الإثـم
١٢– وحـتى انصـرفَتْ تجْـري بـــوجْهٍ مُشْرِقٍ فَخْمِ
١٣– كـمـا تَنْصَرِفُ الخَيْلُ إلـى قَعْقَعَةِ الـلُّجْمِ

(١٤٦)

وقال أيضا: (البسيط)

١– البِرُّ منكَ وَطَّا العُـذْرَ عنـدكَ لي فيمـا أتـاكَ فلم تَعْذِلْ ولـم تَلُمِ

١– في الأصل: (ألم يسيلك).

٦– معجم الشعراء: (كجيب الثاكل الواله أو حاشية الهدم). في المطبوعة: (نحيب الثاكل الواله أوغاشية الهدم).

الثاكل: المرأة التي فقدت ولدها. الواله: التي اشتد حزنها حتى ذهب عقلها، والوله: تحيُّر من شدة الوجد.

٧– معجم الشعراء: (وأغشى الدهم بالدهم). الدهم: العدد الكثير، يقال: جاء دهم من الناس، وجيش دهم: كثير.

٩– الكاعب: الفتاة التي نهد ثديها فهي كعاب وكاعب.

١٣– القعقعة: حكاية صوت السلاح.

(١٤٦)

* البيتان في الأصل.

١– وطّا، أي: وطّأ الشيء، جعله وطيئاً، ووطأ الفراش: هيأه ودمَّثه ووثَّره.

٢ــ وقامَ علْمُكَ بي فاحْتَجَّ عندَكَ لي   فقامَ شاهِدُ عَدْلٍ غيرُ مُتَّهَمِ

(١٤٧)

وقـال: (الطويل)

١ــ وإنِّي لألقاها فينْطِقُ طَرْفُها   لطَرْفي بما يَخْفى وإنْ لم تَكَلَّمِ

٢ــ وتبْخَلُ عَنِّي بالسلامِ وعَيْنُها   تُشيرُ بهِ نحْوي وإنْ لم تُسَلِّمِ

٣ــ بنفْسيَ إنْسانٌ إذا غابَ لم أزَلْ   ألاحِظُ عينيهِ بعينِ التَّوَهُّمِ

٤ــ سرورٌ وحُزْنٌ فيهِ يعْتورانني   فأقطَعُ يومي بالبُكا والتَّبَسُّمِ

(١٤٨)

وقال وهو في التنور الذي عُذِّب فيه، وكان اتخذه يعذِّب به بعض الكُتَّاب، فعُذِّب فيه ومات، وهو آخر ما سمع منه: (البسيط)

١ــ هو السبيلُ فمن يومٍ إلى يومِ   كأنهُ ما تُريكَ العَيْنُ في النَّومِ

٢ــ لا تعْجَلَنَّ رُويداً إنَّها دُوَلٌ   دُنْيا تَنَقَّلُ من قومٍ إلى قومِ

٣ــ [إنَّ المنايا وإنْ أصبَحْتَ في شُغُلٍ   تحومُ حَوْلَكَ أيَّما حَوْمِ]

---

(١٤٧)

* الأبيات في الأصل.

٤ــ يعتور: يتداول، اعتور الشيء وتعاوره: تداوله.

(١٤٨)

* البيتان الأول والثاني في الأصل، وفي لطائف الأخبار ص٣٤، ومروج الذهب٥/٧ط شارل بيلا، ووفيات الأعيان ٥/١٠٠، والوافي بالوفيات ٤/٣٣. والبيتان مع الثالث في بهجة المجالس ٣/٢٩٣، والعقد الفريد ٢/١٦٤.

١ــ الوفيات ومروج الذهب ولطائف الأخبار والوافي: (هي السبيل).

٢ــ وفيات الأعيان والوافي ومروج الذهب: (لا تجزعن رويداً).

(١٤٩)

وقال أيضاً، وذكر المأمون والمعتصم، وعباس بن المأمون، وقصته: (الوافر)

١ـ ألَمْ تَرَ أنَّ خَيْرَ الناسِ أوْدى فيا لَلناس للحدَثِ العظيمِ
٢ـ جَزاكَ اللهُ يومَ فُقِدْتَ عَنّا جَزاءَ الوالِدِ البَرِّ الرحيمِ
٣ـ وُلِيتَ فَلَمْ تَزَلْ حَيّاً ومَيْتاً على نَهْجِ الطَّريقِ المسْتَقيمِ
٤ـ ووَلَّيْتَ الخِلافةَ سائسيها فلا (حكْشٌ) ولا ابنُ أبي حكيم

(١٥٠)

وقال: (الكامل)

١ـ لَعِبَ البِلَى بمعالمي ورسُومي ودُفِنْتُ حَيّاً تحتَ رَدْمِ غُمومِ
٢ـ وشَكوتُ غَمِّي حينَ ضِقْتُ ومن شكا كَرْباً يضيقُ بهِ فغيرُ مَلومِ
٣ـ لَزِمَ البِلى جِسْمي وأوْهَنَ قُوتي إنَّ البِلى لَمُوَكَّلٌ بلِزومْ
٤ـ أبُنَيَّتي قِلِّي بُكاكِ واصْبري فإذا سَمِعْتِ بهالِكٍ مَغْمومِ
٥ـ فانْعي أباكِ إلى نسائهِ واقْعُدي في مأتَمٍ يُبْكي العيونَ وقومي

---

(١٤٩)

* الأبيات في الأصل.

١ـ أودى: هلك.

(١٥٠)

* الأبيات في المحاسن والمساوىء للبيهقي ص٥٣٣. قالها وهو يعذب في التنور، قال المعذِّبُ له: فكنتُ إذا خرجت شددت خناقه، فما مكث بعد ذلك إلا أياما حتى مات، فوجد على حائط البيت الذي كان فيه من قبل التنور: لعب البلى.... الأبيات.

١ـ البلى: الهلاك والفناء الرسوم جمع الرسم: الأثر الباقي من الدار بعد أن عفت، وأراد ما تبقي من جسمه المنهك الممزق. الغموم: جمع الغم، وهو الكرب أو الحزن يحصل للقلب بسبب ما.

٦ـ قولي لهُ يا غائباً لا تُرْتَجى حتى القيامةِ مُخْبِراً بقدومي
٧ـ يا عينِ كُنْتِ وما أُكَلِّفُكِ البُكا حتى ابْتُلِيْتِ فإنْ صبرْتِ فدومي

(١٥١)

وذكر أنه كان يألف في حداثته منزلَ بعض المُقَيِّنين**، وأنه قصده يوما رجل كان ينادمه يعرف بعيسى بن زينب، وهو الذي يذكره في كثير من شعره، ويصف كبر أنفه، قال: وكان منزل المُقَيِّن تحت ساباط، فلما وصل إلى بابه وجد عليه برذونا أدهم، فسأل عن خبره فعرَّفه غلامه أنه باع القينة، وابتاع البرذون من ثمنها، فانصرف وهو يقول: (مجزوء الرمل)

١ـ قَيْنَةٌ كانتْ تُغَنِّي مُسِختْ بِرْذَونَ أدْهَمْ
٢ـ عُجْتُ بالسَّاباطِ يوماً فإذا القَيْنَةُ تُلْجَمْ

(١٥٢)

وكتب إلى الحسن بن وهب ـ في أيام المأمون ـ جواب كتاب كتبه إليه وأوله:

[سقياً لنَضْرِ الوَجْهِ بسَّامهِ مُهَذَّبِ الوالدِ قَمْقامهِ]

[فأجابه محمد بن عبد الملك]: (السريع)

---

(١٥١)

* البيتان في الأصل.

** المقيِّن: صاحب القيان، وهن الجواري والمغنيات.

٢ـ الساباط: محلة قرب بغداد مشهورة بخمرها ولهوها.

١ـ البرذون: غير العربي من الخيل والبغال، يكون عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء، قوي الأرجل، عظيم الحوافر.

٢ـ عجت: عاج بالمكان، عطف عليه، وأقام فيه وتوقف عنده. الساباط: سقيفة بين حائطين تحتها ممر نافذ، جمعها سوابيط وساباطات، وهو غير ساباط المدينة المعروفة بالمدائن كما جاء في الديوان المطبوع وهماً.

(١٥٢)

* القصيدة في الأصل. وفي الأغاني ٢٣/٧٣ قال: (حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: دعا محمد بن عبد الملك قبل وزارته الحسنَ بن وهب في آخر أيام المأمون، فجاءَ

١- وزائـــرٍ طـــابَ لـــنـــا يـــومُهُ لـو ســـــاعـــــدَ الـدَّهْرُ بـإِتمامِه
٢- مـــاذا لـقـــينا من دواوينِه وخَطِّه فـــيـــهـــا بـأقـــلامِه
٣- أسَرَّ مـــا كُنَّا فـــمن مـــازحٍ أو شـــاربٍ قـــد عَبَّ في جـــامِه
٤- فـــارقَنا فـــالعَيْنُ مطروفـــةٌ بـــواكِفِ الـــدَّمْعِ وسَجَّامِه
٥- وعـــادَ بـالمدْحِ لنا مُنْعِمـــاً بـهِ إلى ســـالفِ إنْعـــامِه
٦- نشكـرُ مـــا قـــالَ على أنَّهُ لا يُمْدَحُ الحُرُّ بـحـــمَّامِه
٧- لكنْ وأنَّى لي بهـــا حـــاجـــةٌ لـو كـنـتُ فـــيـــهِ بعضَ قُوَّامِه
٨- أمـــسـحُهُ فـــيـــهـــا وأدنو لهُ مـن خَلْفِـــــهِ طَوراً وقُدَّامِه
٩- جـــعلتُ نفـــسي جُنَّةً دونَهُ وبِعْتُ إســـلامي بـإســـلامِه
١٠- فكـانَ مـــا يـشْرَبُ حِلاً لَهُ وصِرْتُ مـــأخـــوذاً بـآثـامِه

ودخلا حمَّاماً، وأقاما على لهوهما، ثم طُلب الحسن بن وهب لعمل احتيج فيه إليه، فمضى وبطل يومهم، فكتب إليه الحسن: سقياً لنضر الوجه ..... الأبيات، فأجابه محمد بن عبد الملك رحمه الله تعالى: وزائر لذ لنا يومه.... الأبيات).

١- الأغاني: (وزائر لـذَّ لنا يومه).

٣- عبَّ: عب الماء شربه بلا تنفس ومص، يقال: عب في الماء أو في الإناء: كرع.
الجام: إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها، وهي مؤنثة، وقد غلب استعمالها في قدح الشراب، ويقال: صب عليه جامه: غضب عليه واستفزه.

٤- الأغاني: (فارقنا فالنفس مطروفة).
وكف الدمع: سال وقطر قليلاً قليلاً. السجام: الدمع الكثير.

٦- الأغاني: (يشكر ما نال على أنه لا يشكر الحر لحمامه).

٧- الأغاني: (ليت وأني لي بها حاجة).

٨- في الأصل: (أمسحه فيه)، والصواب (فيها) أي الحاجة.

٩- الأغاني: (جعلت نفسي جنة للصبا).

١٠- الأغاني: (فصار ما يشرب حلاً له).

(حرف النون)

(١٥٣)

وقـال : (الكامل)

١ـ أما القِبابُ فقد أراها شُيِّدَتْ ... وعسى أمورٌ بعد ذاك تكـونُ

٢ـ عَبْـدٌ عَرَتْ منـهُ خلائقُ جَهْلِـهِ ... إذْ راحَ وهـو من الثراءِ سـمينُ

(١٥٤)

وقـال أيضـا : (الكامل)

١ـ الويـلُ إنْ كـانَ الفِـراقُ دنـا ... وصَلَيْتُ منهُ بِحَرٍّ ما كَمِـنـا

٢ـ كُنَّـا ونحنُ حقّـاً نسكنـهْ ... فـالآنَ ينـفـرُ إنْ أخـي شَـطَنـا

٣ـ أستحفـظُ اللـهَ السَّميعَ لـهُ ... إمَّـا أقـامَ بنـا وإنْ ظَـعَنـا

٤ـ لكنَّني مَيْتٌ لئنْ شَحَطتْ ... عَنِّي نـواهُ ولـم يكُـنْ قَمِنـا

٥ـ يا مَنْ بَراني حُسْنُ صورَتِـهِ ... هـل كـانَ قبلـكَ آخـرٌ حَسَنـا

---

(١٥٣)

* البيتان في الأغاني ٢٣ / ٧١ـ ٧٢ قال : (أخبرني محمد بن خلف المرزبان، قال : حدثني حماد ابن إسحاق، قال : حدثني ميمون بن هارون بن خلف قال : كنت أسير بالقرب من محمد ابن عبد الملك الزيات، وهو يريد يومئذ منزله، حتى مرَّ بدار إبراهيم بن رباح، فرأى فيها قبة مشيدة، فقال : أما القباب .... قال : فما كان إلا أيام حتى أوقع به).

(١٥٤)

* الأبيات في الأصل.

٢ـ صدر البيت كذا ورد وهو ناقص وغير موزون.

٣ـ ظعن : سار وارتحل.

٤ـ في الأصل : (لذن سخطت).

شحطت : بعدت. النوى البعد. القمين : الحقيق والجدير.

٥ـ في الأصل : (يا من يراني) وهو تصحيف.

براني : انحلني وأسقمني.

٦ـ ما إنْ سَمِعْتُ بهِ فأذكُرُهُ ‏ ‏ ‏ ولقد عُنيْتُ بعِلْمِهِ زَمَنا

(١٥٥)

وقال أيضاً: ‏ ‏ ‏ (مجزوء الرمل)

١- باتَ للهَمِّ رقيبٌ ‏ ‏ ‏ يمنعُ الغَمْضَ الجُفونا
٢- باتَ يستدعي ليَ الهَمْ ‏ ‏ ‏ مَ ويستوفي الأنينا
٣- فكأنّي لم أكُنْ كُنْـ ‏ ‏ ‏ ـتُ لمنْ سَرَّ خَدينا
٤- وكأنّي لم أكُنْ للنو ‏ ‏ ‏ مِ مُذْ كُنْتُ قَرينا
٥- وأميري قد برى جسـ ‏ ‏ ‏ ـمي حذاراً أنْ يخونا
٦- قلْبُهُ من حَجَرٍ صَلْـ ‏ ‏ ‏ ـدٍ فَمَنْ لي أنْ يلينا
٧- ثَوَّرَ الأحْزانَ في القلـ ‏ ‏ ‏ ـبِ وقد كُنَّ سكونا
٨- فتناهَيْنَ عن الصَّبْـ ‏ ‏ ‏ ـرِ وحالَفْنَ الجنونا
٩- وإذا ما قُلْتُ صِلْني ‏ ‏ ‏ قالَ ماذا أنْ يكونا
١٠- فإليهِ مَفْزَعي منـ ‏ ‏ ‏ ـهُ وإنْ كانَ ضَنينا

(١٥٦)

وقال أيضا، قال أبو الفضل ميمون قالها في أم عمر ابنه: ‏ ‏ ‏ (الطويل)

---

(١٥٥)

* القطعة في الأصل.

٣ـ الخدين: الصديق، والصديق في السر.

٤ـ في الأصل: (كنت قريبا).

٥ـ برى جسمي: أنحلّ وأسقمه.

٨ ـ تناهى: بلغ النهاية.

١٠ـ المفزع: الملجأ والمستغاث به. الضنين: البخيل الحريص.

(١٥٦)

* القصيدة في الأصل. والأبيات ١ ـ ١٢ في العمدة ٢/ ٨٢٢ والأبيات: ١، ٢، ٥، ٩ مع اختلاف الترتيب في الزهرة ٢/ ٥٥٣ وفيه بيت آخر ورد بعد البيت الثاني هو: يرن بصوت..

١– ألا مَنْ رأى الطِّفْلَ المُفــارِقَ أمَّه بُعَيْدَ الـكَرى عَيْناهُ تَنْسَكِبـــــانِ
٢– رأى كلَّ أمٍّ وابنَهـا غـيـرَ أُمِّه يبـيــتــانِ تحتَ الليلِ ينْتَجِـيـانِ
[يُرِنُّ بصـوتٍ مضٍّ قلبي نشـيـجُهُ وسـحّ دمــــــوعٍ ثَرَّةٍ الـهَمَلانِ]
٣– وباتَ وحـيـداً في الفـراشِ تُجنُّهُ بـلابِلُ قَلْبٍ دائـمِ الخَفَقـــانِ
٤– ألا إنَّ سَجـلاً واحـداً إنْ هَرَقْتُهُ من الدَّمْعِ أو سَجْلَيْنِ قـد شَفَيـاني
٥– فـلا تَلْحَياني إنْ بكيتُ فإنَّما أداوي بهـــذا الدَّمْعِ مـــا تَرَياني
٦– وإنَّ مكاناً في الثَّرى خُطَّ لَحْدُهُ لِمَنْ كـــانَ من قلبي بكلِّ مكانِ
٧– أحقُّ مكانٍ بالزيارةِ والهـــوى فـــهل أنتُمـــا إنْ عُجْتُ مُنْتَظِرانِ
٨– فَهَبْني عَزَمْتُ الصَّبْرَ عنها لأنَّني جليــدٌ فـمَنْ بالصَّبْرِ لابنِ ثمـــانِ
٩– ضعيفُ القُوى لا يطلُبُ الأجْرَ حِسْبَةً ولا يأتَسي بالناسِ في الحَدَثانِ
١٠– ألا مَنْ أُمنِّيـــهِ المُنى وأعِدُّهُ لِعَثْرَة أيامي وصَرْفِ زمـــــاني

وقال ابن رشيق: (ومن جيد ما رثي به النساء وأشجاه، وأشده تأثيراً في القلب، وإثارة للحزن، قول محمد بن عبد الملك الزيات هذا في أم ولده)، وقال بعد أن ذكر الأبيات: (فهذه الطريق هي الغاية التي يجري حُذَّاق الشعراء إليها، ويعتمدون في الرثاء عليها، ما لم تكن المرثية من نساء الملوك وبنات الأشراف، وغير ذوات محارم الشاعر، فإنه يتجافى عن هذه الطريقة إلى أرفع منها).

٢ـ الزهرة: (تحت الليل ينتحبان).
ينتجيان: يتساران. يرن بصوت: يصوت ويصيح، يبكي بصوت عال.
٣ـ تجنه: تستره وتحيطه. البلابل: الوساوس وشدة الهم.
٤ـ العمدة: (سجلاً واحداً قد أرقته). السجل: الدلو العظيمة، مملوءة أو فيها ماء قل أو كثر.
٥ـ في الأصل: (فلا تلجئاني) وهو تحريف، تلحيان: تلومان وتعذلان.
٦ـ العمدة: (لمن كان في قلبي).
٧ـ في الأصل: (إن عجبت) وهو تحريف، إن عجت: عاج بالمكان عطف عليه، وأقام فيه، ورجع إليه.
٨ـ في الأصل: (فهذي عزمت) وهو تحريف.
٩ـ العمدة: (لا يعرف الأجر حسبة)، الزهرة: (بالناس والحدثان).

١١ـ ألا مَنْ إذا ما جئتُ أكرمَ مجْلسي وإنْ غِبْتُ عنهُ حاطني وكفاني
١٢ـ فلم أرَ كالأقْدارِ كيفَ تُصيبُني ولا مثْلَ هذا الدهرِ كيفَ رماني
١٣ـ ولا مثْلَ أيامٍ فُجِعْتُ بعَهْدِها ولا مثلَ يومٍ بعدَ ذاكَ دهاني
١٤ـ أعَيْنَيَّ إنْ لم تُسْعِدا اليومَ عَبْرَتي فَبئسَ إذنْ ما في غَدٍ تَعدانِي
١٥ـ أعَيْنَيَّ إنْ انْعَ السرورَ وأهْلَهُ وعَهْدَ الرضا عندي فقد نَعَياني
١٦ـ أعَيْنَيَّ إنْ أبكِ البشاشَةَ والصِّبا فقد آذنا منِّي وقد بكياني
١٧ـ ألا إنَّ ميْتاً لم أزُرْهُ لشَدَّ ما تلبُّسَ من قلْبي به وعَنَاني
١٨ـ ألا إنَّ ميتاً لم أزُرْهُ لعزَّ ما تَضَمَّنَ منهُ في الثَّرى الكَفَنانِ

(١٥٧)

وقال أيضاً في علي بن سعيد : (الكامل)

١ـ يا (بايخستْ) ألستَ ألأمَ مَنْ بَرَى ذو العَرْشِ من إنْسٍ ومن جانِ
٢ـ أطْعَمْتنا كَشْلِيَّةً حَوْلِيَّةً وجَرادِقاً مُسْوَدَّةَ الألوانِ

١١ـ العمدة : (حاطني ورعاني).
١٣ـ دهاني : أصابني بداهية، المصيبة والأمر العظيم.
١٥ـ في الأصل : (إن أبع السرور). أنع : من النعي، إذاعة خبر الميت.

(١٥٧)

* القطعة في الأصل.
١ـ في الأصل : (ومن جنان).
بيخست : كلمة فارسية بمعنى بارد، من (با) أي : مع، و (يخ) أي ثلج، و(است) بمعنى : يكون، أي يا بارد.
برى : خلق، والبرية : الخلق.
٢ـ كشلية : لم نقف على معناها، ولعلها كشكية : وهي نوع من الحساء يعمل من الكشك، والكشك : طعام يتخذ من نقيع البرغل باللبن بعد اختماره، فيفت ويطبخ، وهو معروف في العراق حتى اليوم.
الجرادق : جمع جَردَق أو جردقة، وهي الرغيف، فارسي معرب.

٣ـ ذُخِرَتْ [و] لكنْ في خِتانِ بناتِه فتُورِّثَتْ من فضْلَةِ الخَتَّانِ

٤ـ حتى إذا عَرِيَ الخِوانُ ولم يكنْ يَعْرى وإنْ قلَّ الطعامُ خِواني

٥ـ لكنْ ضَرَبْتَ يديكَ فيهِ وإنَّما وُضِعَ الخِوانُ لنا ونحنُ اثنانِ

٦ـ فكأنْ كَفَّكَ في الخوانِ وقد رَمَتْ فيهِ بألأمِ راحةٍ وبَنانِ

٧ـ رُخٌّ يَحُشُّ بنادقاً مبثوثةً بَعُدَتْ عن الفَرَسَينِ والفرزانِ

٨ ـ فإذا كسرتَ (لبايخست) قُلَّةً جاءتْ كُعوبُ بكفِّها عَصوانِ

(١٥٨)

وقال أيضاً: (الكامل)

١ـ مَنْ يَلْقَهُ ممَّنْ ترى فلقاؤهُ إيَّاهُ بالتعظيمِ والسلطانِ

٢ـ ولنا عليهم رُتْبَةٌ إنَّا لهُ دونَ الجماعةِ كلِّها أخَوانِ

٣ـ فلقاؤنا إيَّاهُ عندَ عَدُوِّهِ أو دونَ ذاكَ كلاهُما سِيَّانِ

٤ـ إنَّ المودَّةَ لا تكونُ مَودَّةً حتى تكونَ منيعةَ الأركانِ

٥ـ حتى تكونَ إذا أسَأتَ كأنَّما تابَعْتَ عندَ أخيكَ بالإحْسانِ

٦ـ ثِقَةً وإدْلالاً وإنَّ ضميرَهُ لكَ قائمٌ بالعُذْرِ والبُرْهانِ

٧ـ فاسْلَمْ سَلامَةَ من حَنَتْ من فوقِهِ وتَكَنَّفَتْهُ حياطَةُ الرَّحْمانِ

٨ـ سيفُ الخِلافةِ والمقدَّمُ دونَهُ ونصيحُهُ في السرِّ والإعلانِ

٦ـ في الأصل: (فيه بألم).

٧ـ يحش: يضمه من جانبه ويجمعه، من قولهم (حش الصيد).
الرخ والبنادق والفرسان والفرزان: أحجار لعبة الشطرنج.

٨ ـ القُلَّة: الجرة من الفخار أو الكوز الصغير، أي كسرت قلة البارد، وهو المهجو سعيد.

(١٥٨)

* القصيدة في الأصل.

٧ ـ في الأصل: (تكفنته حياطة).

٩- والحمـــــدُ للهِ المقرِّبِ بيننا	مَنّاً منَ المتــــــــفَضِّلِ المَنَّانِ
١٠- جمعَ القلوبَ على الرضا فتعاونتْ	بالنُّصْحِ واتفَقَتْ على الإيمانِ
١١- سيفٌ يُهَزُّ وحاكِمٌ قامَتْ به	سُنَنُ الكتابِ وحُجَّةُ الفُرْقانِ
١٢- وأخو محافظةٍ ينوءُ إذا غدا	بالثِّقْلِ بينَ يدي وبينَ لساني

(١٥٩)

وقال أيضاً: (الخفيف)

١- ذهبَ الحَزْمُ واستمالَ بيَ اللَّهْـ	ـوُ وأخْنى عليَّ رَيْبُ الزَّمانِ
٢- صِرْتُ مسترْفِداً وكنتُ أراني	سوفَ يحيا برِفْدِيَ الثَّقَلانِ
٣- شغَلَتْني الشَّكاةُ عن طلبِ الحيـ	ـلةِ واستحْوَذَتْ عليَّ الأماني
٤- فكأنِّي أرى الغنى بضميري	غيرَ أنِّي مُنِعْتُهُ في العِيانِ
٥- سمةُ العَجْزِ أقْعَدَتْني عن العزْ	مِ وقادتْ بعدَ الشِّماسِ عناني
٦- وقنوعي بالدونِ ألْبَسَني الذُّلْ	لَ وألْقى عليَّ ثَوْبَ الهَوانِ
٧- فَلَعَمْري لَئنْ هَلَكْتُ لَبالحَسْـ	ـرةَ منِّي تَقَطَّعَتْ أقراني
٨- راجعِ الحَزْمَ واسْتَعِذْ من خِصا	لِ العَجْزِ يوماً إنْ زَلَّتِ القدمانِ
٩- لم يسيءْ في الصَّموتِ مَنْ ذكرَ ألذْ	لَّةَ في القَولِ عندَ ذِكْرِ اللسانِ

---

(١٥٩)

* القصيدة في الأصل.

١- في الأصل: (واشمال بي)، (واحتى على).
أخنى عليه الزمان: أهلكه وأتى عليه.

٢- الرفد: العطاء. الثقلان: الجن والإنس.

٣- استحوذ عليه: استولى عليه وغلبه.

٥- الشماس: الجموح والنفور، والشموس: النفور العسر الصحبة، وشمست الدابة: منعت ظهرها.

١٠ـ لا يكُنْ حِصْنَكَ التَّمَسُّكُ بالهَمْ   م إذا خِفْتَ صَولـةَ الحَدَثـانِ
١١ـ واسْعَ في الحِيلَةِ التي تتلافا   كَ وشَمِّرْ تشميرَ غيرِ الواني
١٢ـ وتجَنَّبْ من التَّصَبُّرِ ما يلقى   إلى الناسِ واخْشَ غِبَّ التواني
١٣ـ رُبَّ مَنْ طالبَ الزمانَ بالحا   حٍ شديدٍ فآبَ بالحِرْمانِ
١٤ـ سيعيدُ الزمانُ ذلكَ عِلْماً   وكفى واعِظاً لهُ العَصْرانِ

(١٦٠)

وقال أيضاً:   (مجزوء البسيط)

١ـ ما غَيَّرَ الرَّبْعَ والمغاني   إلا صُروفٌ من الزمانِ
٢ـ يا صاحبيَّ وأنتما لي   كموضعِ الكفِّ من بَناني
٣ـ قِفا عليَّ فَمَتِّعاني   أوْ لا فسيرا أو دَعاني
٤ـ لا تُعْجِلاني فَتُغْرِياني   شأنكُما اليومَ غيرُ شاني
٥ـ يا ظَبيُ أحبالُهُ بقاعٍ   إنِّي وإيَّاكَ موثَّقانِ
٦ـ يُحْزِنُني أنْ أراكَ تعْطو   إليَّ منها وأنتَ عاني
٧ـ إنَّ الغواني وكُلُّ شيءٍ   يُقالُ فاقْبَلْهُ في الغَواني
٨ـ يَنَلْنَ حاجاتِهنَّ عندي   بلَمْحَةِ الأعْيُنِ الحِسانِ

١١ـ شمَّر في الأمر: خف ونهض وتهيأ. الواني: الضعيف العاجز.
١٤ـ العصران: الليل والنهار، وهما أيضاً الغداة والعشي.

(١٦٠)

* القطعة في الأصل.
١ـ الربع: الحي، الدار، وما حول الدار، والموضع يُنزل فيه وقت الربيع المغاني: جمع المغنى، المنزل الذي غني به أهله، والمغنى: الأرض تم طول عشبها. صروف الزمان: نوائبه وحدثانه.
٦ـ تعطو: تتناول. العاني: الأسير.
٧ـ الغواني: جمع غانية، المرأة التي غنيت بجمالها عن الزينة، والتي استغنت بزوجها.

(١٦١)

ووجدت في كتاب أبي أيوب ابن أخت الوزير، مما اختاره له عمرو بن بحر الجاحظ، قال محمد بن عبد الملك في عباس بن المأمون وقصته أيام عمورية** : (الخفيف)

١ـ حِلْفَةٌ ما حلفْتُ لا تعبر اللئا   مَ مبرورةً من الأيمانِ

٢ـ رُبَّ حِنْثٍ فيه النجاةُ وبِرٍّ   قد أحلَّ الفتى بدارِ الهَوانِ

(١٦٢)

وقال أيضاً: (مجزوء البسيط)

١ـ يا داني الدارِ في الأماني   ونازِحَ الدارِ في العِيانِ

٢ـ ذكرُكَ دانٍ وأنتَ نائي   فأنتَ نائي وأنتَ داني**

---

(١٦١)

* البيتان في الأصل.

** مرت ترجمة عمورية والعباس بن المأمون.

٢ـ الحنث: حنث في يمينه، لم يبر فيها وأثم، والميل من الحق إلى الباطل. البر: الصدق في الوعد واليمين والوفاء بهما، والبر: التوسع في الإحسان إلى الوالدين.

(١٦٢)

* القطعة في الأصل.

١ـ في الأصل: (يا دان الدار) (ونازع الدار).

٢ـ في الأصل: (ذكراك داري).

** وكتب إليه الحسين بن محمد، وعاب تكريره نائي وداني:

أصبحتُ لو صحَّ في العيانِ   بكلِّ خيرٍ من الاماني

لكنها تستحيلُ حتى   أرجع في البؤسِ والهوانِ

وكيف نأوي لما دهاني   من لا أراهُ ولا يراني

ولستُ مع ذا لهُ بشاني   فدتُه نفسي وإنْ قلاني

هذا ودرياقُهُ شَمولٌ   كانتْ ولا عهْدَ للزمانِ

إذْ لا ثوابَ ولا عقابَ   أعدَّهُ اللهُ في الجنانِ

ما صحَّ في العقلِ أينَ كانتْ   إلاّ بتصديقٍ ما أتاني

٣ـ نفسُكَ موصولةٌ بنفسي وأنتَ كالنجمِ من مكاني
٤ـ لي فِكَرٌ فيكَ مُعْجِباتٌ في اللفظِ صفرٌ من المعاني
٥ـ تجري ضُروبٌ من التَّمني في كلِّ يومٍ على لساني
٦ـ أقولُ حتى كأنَّ عيني تراكَ من حيثُ لا تراني
٧ـ إذا ركبتَ الذنوبَ مني رددتَ لومي على الزمانِ

(١٦٣)

وقال أيضاً: (البسيط)

١ـ نَمْ لا حُرِمْتَ لَذيذَ النَّومِ يا سَكَني وخَلِّ عَنِّي وما ألقى من الوَسَنِ
٢ـ لا تَحْبِسِ الريْحَ عَنِّي حينَ تَنْفَحُ لي بالوصْلِ منكَ ولا تَنْهى عن الحَزَنِ
٣ـ إنْ كنتَ تكْرَهُ ما يَغْوى الفؤادُ بِهِ فقُلْ لعينِكَ لا تنْفيهِ بالأَمَنِ
٤ـ أهوى هَواكَ بِكُلِّي لا أخُصُّ بِهِ بعضي لو نِمْتُ من حُبِّيْكَ في الكَفَنِ
٥ـ يا مَعْدِنَ الحُسْنِ في الدنيا وغايَتِهِ ويا أميراً بعَيْنيهِ [على] الفِتَنِ

لهوتُ عن شُرْبِها بخَطْبٍ أرَّقَ ليلي وكل عاني
يبيتُ ممَّا عَراهُ صَبّاً ذا حُرَقٍ أوعَرَ المكانَ
وشاعرٍ قالَ قولَ حُكْمٍ وكلُّ شيءٍ لهُ معاني
أحسنَ في وصْفِهِ ولكنْ أكثرَ من (نائي ودائي)
أنشدنيهِ فتى جوادٌ بنى لهُ المجدَ خيرُ باني

وقد رد عليه محمد بن عبد الملك بقصيدته: (ما غير الربع والمغاني.....) الأبيات التي سبقت برقم (١٦٠).

(١٦٣)

* الأبيات في الأصل
١ـ الوسن: النعاس.
٣ـ يغوى الفؤاد: يضل، أغواه: أضله وأغراه.
٥ـ في الأصل (على) ناقصة وبها يستقيم المعنى والوزن.

٦ـ صَلَّى الإلهُ على وَجْهٍ خُصِصْتَ بِهِ   وباركَ اللهُ فيما فيه مِنْ حَسَنِ

(١٦٤)

وقال أيضاً: (مجزوء الكامل)

١ـ أسَلُ الذي صَرَفَ الهوى   منّي إليكَ ومنكَ عَنّي
٢ـ أنْ يَبْتَليكَ بما ابتلو   ني منك يا إنسانَ عيني
٣ـ فتكونَ مثلي في الهَوى   مثلَ الذي بكَ كانَ ظنّي
٤ـ وإذا رأيتُ بكَ الذي   بي قلتُ يا نفسُ اطْمَئنّي

(١٦٥)

وقال أيضاً: (السريع)

١ـ مجلسُ صَبَّيْنِ مُحِبَّيْنِ   ليسا من الحُبِّ بخِلْوَيْنِ
٢ـ قد صَيَّرا روحَيْهِما واحِدا   فاقْتَسماهُ بينَ جسمَيْنِ
٣ـ تنازَعا كأساً على لَذَّةٍ   قد مزَجاها بينَ دمعينِ
٤ـ والكأسُ لا تَحْسُنُ إلا إذا   أدَرْتَها بينَ مُحِبَّيْنِ

---

(١٦٤)

* الأبيات في الأصل.

(١٦٥)

* الأبيات في الأصل.

١ـ مجلس صَبَّين: بينهما صبابة، والصبابة الشوق، والصبابة رقة الشوق وحرارته.

(١٦٦)

وقال في العباس [بن المأمون] حيث حُبس في البدندون** وكانت الخلافة صارت إلى المعتصم بالله : (السريع)

١ــ قل للإمامِ المُرْتَضى إنَّهُ   مَلاذُ ذي الدنيا وذي الدينِ
٢ــ هَنَّأكَ اللهُ ولا زِلْتَ في   حِرزٍ وفي عِزٍّ وتمكينِ
٣ــ خلافةٌ حَصَّنْتَ أرواقَها   من كُلِّ غادي الجِدِّ مفتونِ
٤ــ يوم البَدَنْدون كما أنَّها   جاءتْكَ في يومِ البَدَنْدونِ

(١٦٧)

وقال أيضاً في ابن أبي دواد : (البسيط)

١ــ أبلغْ دَعِيَّ إيادٍ إنْ مَرَرْتَ بهِ   قولَ امرئٍ ناصحٍ للهِ والدِّينِ
٢ــ لن تَصْلُحَ الأرضُ ما أُسْكِنْتَ ظاهِرَها   ولا ترى العَدْلَ أو تلحقْ بإفْشينِ

---

(١٦٦)

* الأبيات في الأصل.

** في الأصل : البدندون، وكذا تكررت في الأبيات، ولم أجدها بهذا اللفظ، وفي معجم البلدان : (بَذَنْدون)، بفتحتين وسكون النون ودال مهملة وواو ساكنة ونون، قرية بينها وبين طرسوس يوم، من بلاد الثغر، مات بها المأمون، فنُقِل إلى طرسوس، ودفن بها. (ياقوت : بذندون).

٣ــ أرواقها : أعمدتها، أي أقمتها قوية، والرواق : بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد، ورواق البيت : مقدمه.

(١٦٧)

* الأبيات في الأصل.

١ــ أحمد بن أبي دُوَاد : قاضي القضاة وأحد المعتزلة الجهمية ورأس القائلين بخلق القرآن، كان عدواً مبغضاً لابن الزيات، وقد سبقت ترجمته.

٢ــ الإفشين : قائد المعتصم الأكبر، كان مظفراً في حروبه، اتهم بالزندقة والكفر، فحوكم وصلب، وصارت قصته حديث الشعراء، وكان ممن حاكمه محمد بن عبد الملك الزيات وأحمد بن أبي دواد. (الكامل ــ ابن الأثير ٦ / ٦٠ ــ ٦٦ حوادث سنة ٢٢٥هـ، وانظر محاكمته في ضحى الإسلام ١ / ١٤٣).

٣– ما زِلْتَ تحضُرُ للخِذْلانِ عن دَغَلٍ   في القَلْبِ منكَ لهذا الدينِ مكنونِ
٤– وكنتَ في ذاكَ لَمّا أنْ قَصَدْتَ لَهُ   كالعَنْزِ إنْ بحثتْ عن حدِّ سِكِّيْنِ
٥– نحنُ الذينَ إذا عُدَّ العَفافُ يُرى   فينا العَفافُ ومأوى كُلِّ مسكينِ

(١٦٨)

وقال يرثي المعتصم بالله: (المنسرح)

١– أقولُ إذْ غَيَّبوكَ واصْطَفَقَتْ   عليكَ أيدٍ باللَّبْنِ والطِّيْنِ
٢– اذهَبْ فَنِعْمَ الحفيظُ كنتَ على الدنْـ   ـيا ونِعْمَ الظَّهيرُ للديْنِ
٣– لَنْ يَجْبُرَ اللهُ أمَّةً فَقَدَتْ   مِثْلَكَ إلا بِمِثْلِ هارونِ

٣– الدغل: العيب والفساد والخيانة، والدغل: الموضع يخاف فيه الاغتيال.

(١٦٨)

* الأبيات في الأصل. والأبيات في العمدة ٢ / ٨٢١ – ٨٢٢، والكامل لابن الأثير ٦ / ٧١، ولطائف الأخبار ص٣٤، والطبري ٩ / ١١٩، والوفيات ٥ / ٩٩، والفخري ص٢٣٣، والبيتان ١، ٣ في الأغاني ٢٠ / ١٥٨ ومعاهد التنصيص٢ / ١٩٧، والخزانة ١ / ٤٥٠، والبيت الثاني مع بيت قبله في الخزانة ١ / ٤٤٩ . والبيت الأول في الخزانة هو:

قد قلتُ إذ غيَّبوهُ وانصرفوا   من خير قبر لخير مدفون

وقال صاحب العمدة: (وأراد ابن الزيات مجاراته (أي مجاراة أبي تمام في رثاء المعتصم) فعلم من نفسه التقصير فاقتصر على قوله: .... الأبيات).

١– العمدة: (عليك أيد بالترب والطين). الفخري ولطائف الأخبار: (قد قلت إذ غيبوك).

الأغاني والخزانة: (قد قلت إذ غيبوك وانصرفوا   في خير قبر لخير مدفون).

الكامل: (قد قلت إذ غيبوك واصطفقت).

٢– العمدة ولطائف الأخبار والفخري: (فنعم المعين كنت على الدنيا).

الكامل والفخري: (ونعم المعين للدين).

٣– هارون: هو هارون الواثق خليفة المعتصم.

(١٦٩)

وقــال أيضا : (الوافر)

١ـ أبـاحَ الـدمْـعُ سِـرّاً لـم أبُحْـهُ فـدمـعـي آفـتـي لا تظـلـميـنـي
٢ـ فما ذنْبي إذا كانت دموعي تُـعـينُ علـيَّ أسبـابَ المنونِ
٣ـ إذا ظَنَّ الجليسُ ببعضِ ما بي نصَبْنَ لعَيْنِـهِ وَجْـهَ اليَقـينِ
٤ـ ونُـرْمَى بالظنونِ إذا التَقَيْنـا فتكْشُفُ لَمحَتي لُبْسَ الظُّنونِ

(١٧٠)

* وقـال أيضـا : (الوافر)

١ـ شـجـاني صـائحٌ يدعـو بِبَيْنٍ وأرَّقَنـي بُكـاءُ البـاكِيَيْنِ
٢ـ ونـاحَ الـطـائـرانِ فَهَيَّجـاني وشـوَّقَنـي بُكـاءُ الـطـائـرَيْنِ
٣ـ بكيتُ فـأسْعَـداني حينَ ناحـا فـلـم أرَ مِـثْلَ ذينكَ مُسْعِدَيْنِ
٤ـ كـأنَّهُمـا أرادا أنْ يهـيـجـا هـواي فـأبْكَيـا قلبي وَعَيْني
٥ـ أطَلْتَ مـلامَتي يا صَاحِ جَهْلاً وبعضُ اللومِ شَيْنٌ غـيـرُ زَيْنِ
٦ـ ولـو كُنْتَ الـعـليـمَ بما أُلاقـي عَطَفْتَ عـلـيَّ عَطْفَ الـوالـدَيْنِ
٧ـ حُرِمْتُ نَوَالَهـا من غـيـرِ ذَنْبٍ سـوى كَذِبٍ رُمِـيتُ بهِ ومَيْنِ

---

(١٦٩)

* الأبيات في الأصـل .

(١٧٠)

* القطعة في الأصـل .
١ـ في الأصل : (شجاني صالح) .
٢ـ في الأصل : (وفاح) وهي محرفة عن (ناح) .
٤ـ في الأصل : (كأنما رادا) .
٧ـ المين : الكذب .

٨- إِذا سُمِعَتْ مـقـالاتُ الأعـادي فـذاك فـســادُ بينَ العـاشــقينِ
٩- عـليـكَ مــواعِدٌ أقْسَمْتُ إلاّ وَفَيْتَ بــهِنَّ لــي وقَضَيْتَ دَيْنــي

(١٧١)

وقال في المازيار: (السريع)

١ـ قـد خُضِبَ الفيـلُ كعاداتِـهِ يحْمِـلُ شيطـانَ خُراسانِ
٢ـ والفيـلُ لا تُخْضَـبُ أعْضـاؤهُ إلا لـذي شـانٍ من الشـانِ

(١٧٢)

وقال أيضـاً: (مجزوء الكامل)

١- هَبْ مــا أكــاتِمُ قــد عَلَنْ وبدا فــشــاعَ كــمــا اســتَكَنْ

---

(١٧١)

* البيتان في الطبري ٩ / ٥٣ و ١٠٣.

١ـ شيطان خراسان: هو المازيار، وكان المعتصم قد وجه عبد الله بن طاهر بمازيار سنة خمس وعشرين ومائتين، فخرج إسحاق بن إبراهيم إلى الدسكرة، فأدخله سامرا في شوال، وأمر بحمله على الفيل، فقال محمد بن عبد الملك الزيات: قد خضب الفيل كعاداته...... فأبى مازيار أن يركب الفيل، فأدخل على بغل بأكاف، فجلس المعتصم في دار العامة، لخمس ليال خلون من ذي القعدة، وأمر فجمع بينه وبين الإفشين، وقد كان الإفشين حُبِس قبل ذلك بيوم، فأقَرّ المازيار أنَّ الإفشين كان يكاتبه، ويصوِّب له الخلاف والمعصية، فأمر برد الإفشين إلى محبسه، وأمر بضرب مازيار، فضرب أربعمائة سوط وخمسين سوطاً، وطلب ماء فسقي، فمات من ساعته (الطبري ٩ / ١٠٣ ـ ١٠٤).

خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وتشتمل على أمهات من البلاد فيها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحاً، وذلك في سنة ٣١ في أيام عثمان رضي الله عنه بأمارة عبد الله بن عامر بن كريز (ياقوت: خراسان).

(١٧٢)

* القطعة في الأصـل.

٢ـ هـــلْ بـــينَ ذاكَ وبـــينَ ذا   إلاّ المـمـــــاتُ أو الحـــــزنْ
٣ـ لا تُضْجِرنَّكَ صَبْوتـــــــي   وارفُقْ فـــــــديْتُكَ بـي ولـنْ
٤ـ فـلـقـــــد منَحْتُكَ خُطَّةً   في القلبِ ليس لهـــا ثَمَنْ
٥ـ أمـــا علـيَّ فـــإنْ أمـــو   تَ ولا أهـونُ فـــــلا تَهِنْ
٦ـ جـــازتْ هواكَ جـــوانحي   فـنَطَقْنَ فــــــيكَ بمـا أُجِنْ
٧ـ يـا مَنْ مـــحـــاسِنُ وجْهِه   تعـــدي ويحـســدُهُ الحـسـنْ
٨ـ إلاّ تـرانـي نـاطـقـــــاً   بكَ في الهـوى أخـرى الزمنْ
٩ـ فـــأجِرْ فـديُكَ مِنْ هوىً   دون الجـــوانحِ قـــد كَمَنْ

(١٧٣)

وقال أيضاً:   (الرمل)

١ـ لم يَعُدْ ذكْراكَ لكنْ لم يَبِنْ   إنَّمـا يَحْدُثُ شَيءٌ لم يكُنْ
٢ـ لستَ بالمُذْنبِ فيمـا بيننا   إنَّما باعَدَنا رَيْبُ الزَّمَنْ

(١٧٤)

وقال أيضاً:   (الرمل)

١ـ اصبِرْ النَّفْسَ على مُرِّ الحَزَنْ   وإذا عَزَّكَ مـن تَهْوي فَهُنْ

٣ـ الصبوة: الشوق والميل إلى اللهو، والميل إلى الصبا والحداثة.
٩ـ أجر: طلب أن يجيره، ينقذه ويحميه.

(١٧٣)

* البيتان في الأصل.
١ـ في الأصل: (بشين لم يكن).

(١٧٤)

* الأبيات في الأصل.

٢ـ فلعلَّ الوصْلَ يأتي مرةً فكأنَّ الهَجْرَ شيءٌ لم يكُنْ
٣ـ أنا لا واللهِ ما حُلْتُ ولا كانَ منّي في الهوى إلا الحَسَنْ
٤ـ ولقد تَزْعُمُ أنّي خُنْتُها ونَقَضْتُ العَهْدَ لا كنتُ إذَن

(١٧٥)

وقال في المعتصم بالله : (الكامل)

١ـ ما للغواني مَنْ رأيْنَ برأسه يَقَقاً مَلِلْنَ وِصالَهُ وشَنِيْنَهُ
٢ـ وإذا عِذارُ المَرْءِ قَلَّ قُتَيْرُهُ لاحَظْنَهُ ببشاشةٍ وهَوَيْنَهُ
٣ـ صَدَفَتْ خُناسُكَ عنكَ بعد مودّةٍ ورأتْ شبابَكَ بالياً وغُضُونَهُ
٤ـ إنَّ الخليفةَ خَيْرُ مَنْ وَطِئَ الحَصَى للهِ يَمْحَصُ دينَهُ ويقينَهُ
٥ـ سارتْ حكومَتُهُ بأعْدلِ سيرةٍ قُصْوى البلادِ وفي الذينَ يلونَهُ
٦ـ فالحَقُّ أوضَحُ مبصرٍ آياته والجَوْرُ يطمسُ شَخْصَهُ وعيونَهُ
٧ـ ورأى البريةُ عَفْوَهُ وعَفافَهُ فالناسُ حَذْوَ طريقِهِ يَحْذونَهُ
٨ـ طَلَبوا رِضاهُ بنيَّةٍ وتَيَقَّنُوا أنَّ ليس يرضَى اللهُ أو يرضَوْنَهُ
٩ـ يخْشَونَ صَولَتَهُ فَهُمْ في طاعةٍ وكَمِثْلِ ما يَخْشَونَهُ يرجونَهُ
١٠ـ إنَّ الخليفةَ رحمةٌ من ربِّنا وبهِ أنارَ لنا وأوضَحَ دِيْنَهُ

---

(١٧٥)

القصيدة في الأصل .

١ـ اليقق : البياض ، أو شدته . شنينه : أبغضنهُ ، من شنأ : أبغض وكره .

٢ـ العذار : جانب اللحية ، أي : الشعر الذي يحاذي الأذن . القتير : أوّل ما يظهر من الشيب .

٣ـ صدف : انصرف ومال . الغضون : التجاعيد . خناس : تصغير خنساء ، علم امرأة .

٤ـ محص الشيء : خلصه من كل عيب ، ومنه : محص الذهب بالنار ، خلصه مما يشوبه من الغش .

٦ـ في الأصل : (والجود) وهو تحريف .

٧ـ في الأصل : (معذو طريقه) وهو تحريف .

١١- وعلى أبي إسحاقَ طاعَةُ ربِّه حقاً لينصُرَهُ بها ويُعينَهُ
١٢- مَلِكٌ بأرْضِ الرومِ أنْزلَ نِقْمةً وأبادَ مالاً أهلُها يُحْصُونَهُ
١٣- وأبادَ مالِكَها وفَلَّ جُنُودَهُ طَعْناً وزَلْزَلَ مُلْكَهُ وحُصونَهُ
١٤- والزُّطُّ أيُّ خليفةٍ دانوا لهُ أو كانَ قَبْلَكَ طاعَةً يُعْطونَهُ
١٥- حتى مَلَكْتَ وظَلَّ سيفُكَ منهُمُ تكسو الدماءُ شِفَارَهُ ومُتونَهُ
١٦- فأتوا بحُكْمِكَ والذي كانوا به يعصون جَدَّعَت الظُّبا عِرْنينَهُ
١٧- فعَفَوْتَ إنَّكَ لم تَزَلْ ذا رأفَةٍ حَسَنَ الفَعالِ مُباركاً ميمونَهُ
١٨- وسَقَيْتَ بابكَ كأسَ حَتْفٍ مُرَّةً بفوارسٍ سحبوا القَنا يتلونَهُ
١٩- فتجالدَ الزَّحْفانِ يوماً كاملاً والقوسُ يُخْضَبُ بالذي يَبْرونَهُ

١١- أبو إسحاق: كنية المعتصم محمد بن هارون الرشيد.
١٣- فل جنوده: هزمهم وكسرهم.
١٤- الزط: السبابجة قوم من السند في البصرة، معرب (جت) بالهندية، وهم جيل من أهل الهند، وقيل: جنس من السودان والهنود الواحد زُطِّي، مثل زنج وزنجي (اللسان: زطط).
ذكر هذه الحادثة ابن الأثير في حوادث سنة ٢١٩ هـ قال: (وفيها وجه المعتصم عجيف بن عنبسة في جمادى الآخرة لحرب الزط الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة وعاثوا وأخذوا الغلات من البيادر بكسكر وما يليها من البصرة وأخافوا السبيل، ورتب عجيف الخيل في كل سكة من سكك البريد تركض بالأخبار .... وأخذ عليهم الطرق ثم حاربهم فأسر منهم في معركة واحدة خمسمائة رجل، وقتل في المعركة ثلاثمائة رجل، فضرب أعناق الأسرى وبعث الرؤوس إلى باب المعتصم، ثم أقام عجيف بإزاء الزط خمسة عشر يوماً، فظفر منهم بخلق كثير، وكان رئيس الزط رجلاً يقال له محمد بن عثمان، وكان صاحب أمره إنساناً يقال له (سماق) [وفي الطبري (سملق)]، ثم استوطن عجيف وأقام بإزائهم سبعة أشهر (ابن الأثير ٦/١٦ ط الدار العلمية بيروت ١٩٩٥).
١٦- الظبا: جمع الظبة، حد السيف والسنان والخنجر وما أشبهها. العرنين الأنف، أو هو أول الأنف حيث يكون فيه الشم. ورئيسهم (الذي كانوا به يعصونه) هو محمد بن عثمان.
١٨- بابك: هو بابك الخرمي أحد الثوار، هزم من جنود السلطان عدة وقتل من قواده جماعة، وقد سبقت ترجمته.

٢٠- حــتى رأيْتَ الخُرَّمِيَّةَ رَيْضــةً والـبَذَّ أنْكَرَت الـفجـــــاجَ رنـيـنَهُ
٢١- يبْكي الذيـن تُخرِّمـوا من أهْلِه ونـســــــــاءُ بـابكَ حُسَّراً يَبْكيـنَهُ
٢٢- وإلى عَمـوريَّة سَمـا في جَحْفَلٍ مـــلأ الفجـــاجَ سُهـــولَهُ وحُزونَهُ
٢٣- فـأبادَ سـاكنَهـا وحَجَّلَ باطسـاً حلـقـــاً أذَلَّ اللـهُ مَنْ يحـــويْنَهُ
٢٤- قَتْلـى يُنَضِّدُهُمْ بـكُلِّ طَريـقَةٍ نَضْداً تخــالُ مــراقبــاً مــوضــونَهُ
٢٥- فــهـمُ بوادي الجَوْنِ قــتلى فِرْقَةٌ وقــبــائلٌ فــرَقٌ مــلأنَ ســجــونَهُ
٢٦- وأبانَ بـالصَّفْصـافِ خـالصـةً لهُ كَيْدَ الـعَدُوِّ وسُوْءَ مـــــــا يَطْوونَهُ
٢٧- فـهـوى اللعينُ ونجـمُهُ واللهُ لا يــرضـــى الــضَّلالَ ولا يُعِزُّ قَريـــنَهُ

٢٠- الخرمية أصحاب بابك الخرمي، كانوا يدينون بالتناسخ.
ريضة: من راض الشيء، جعله مسخراً مطيعاً.
البذ: كورة بين أذربيجان وأرَّان، بها كان مخرج بابك الخرمي في أيام المعتصم، فتحها المسلمون سنة ٢٢٢ هـ (ياقوت: بذ، وابن الأثير حوادث سنة ٢٢٢هـ).
٢١- تخرِّموا أي صاروا خرَّمية، أو من قولهم: تخرمتهم المنية، إذا استأصلتهم وقطعتهم.
٢٢- عمورية: مدينة الروم، فتحها المعتصم، وفيها قال أبو تمام قصيدته المشهورة: السيف أصدق إنباء من الكتب.... وقد مرت ترجمتها.
٢٣- باطس: في الكامل لابن الأثير (ناطس) وفي الطبري (ياطس)، وهو بطريق عمورية الذي كتب إلى ملك الروم، والمسلمون قد حاصروا المدينة، يعلمه أنه عازم على أن يركب في خاصته ليلاً، فيحمل على العسكر كائناً ما كان، حتى يخلص ويصير إلى الملك.... ثم دخل المعتصم عمورية فأنزله من برجه، وأمر أن يحمل معه إلى سامراء، فحمل إليها، وصلب إلى جانب بابك (ابن الأثير حوادث سنة ٢٢٤ هـ).
حجَّل: من الحجل وهو القيد.
٢٤- نضداً: أي جعل بعضهم فوق بعض. والموضون: المنضود.
٢٦- في الأصل: (خالعة له)، الصفصاف: كورة من ثغور المصيصة، غزاها سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٣٩هـ، قال أبو زهير المهلهل بن نصر بن حمدان:
وبالصفصافِ جَرَّعْنا عُلوجاً شداداً منهمُ كأسَ المَنونِ (ياقوت: الصفصاف).
٢٧- في الأصل: (فهوى كل للعين) وهو تحريف.

٢٨- والمنفسون قصدتَ [خيلَكَ] قصدَهُ | فَوَطِئْنَهُ وفَتَكْتَ حـين لَقَيْنَهُ
٢٩- وقطَعْنَ دابِرَهُ فـجـاءَكَ خـاضعـاً | حَذَرَ الـرَّدى وَجِلَ الـفُؤاد مَهـينَهُ
٣٠- والمـازيـارُ وقـد تـقـلَّدَ غَدْرَةً | قـطـعَتْ نيـاطَ فـؤاده ووتيـنَهُ
٣١- من بعد ما جعَلَ الشواهقَ عصْمَةً | وصـياصـياً بضـلاله يُغْرِينَهُ
٣٢- ظَنَّاً بـأنَّ الـغَدْرَ يمـنَعُ أهْلَهُ | كَذباً فـكَذَّبَتْ الحـتـوفُ ظُنونَهُ
٣٣- غـافَصْتَهُ للنَّكْثِ يشْرَحُ صَدْرَهُ | لـيُذِلَّهُ ربِّي بـه ويُهـينَهُ
٣٤- وشَحَنْتَ بالأُسْدِ الخوادرِ بالقَنَا | والمُرْهَفـات شعـابَهُ ورعُونَهُ
٣٥- أنسَتْ جيادُكَ صَعْبَ مرقى حصنه | وجبـالَهـا فَرَقَيْنَهـا ورَقَيْنَهُ
٣٦- كَلَبـاً عليـهِ فـمـا بَرِحْنَ عِراصَهُ | وقِلالَهُ بـكُمـاته يُشْجـينَهُ
٣٧- حـتى إذا رزي النسـاءُ نسـاءَهُ | لمـا استُبـيْحَ حـريمُهُ ورزينَهُ

٢٨ـ المنفسون: كذا في الأصل، ولعله (المنكجور) وهو من أقارب الإفشين قائد المعتصم، ولي أذربيجان فعصى، ثم حورب وجيء به أسيراً إلى سامراء فحبسه المعتصم (ابن الأثير حوادث سنة ٢٢٤هـ).
قصدت خيلك: هكذا في الأصل ، ويمكن تخريجها على أن خيلك منصوبة بنزع الخافض بتقدير: قصدت بخيلك قصده .
٣٠ـ المازيار: هو المازيار بن قارن أحد قادة المعتصم، وقد أظهر الخلاف على المعتصم بطبرستان سنة ٢٢٤هـ وعصى وقاتل عساكره، ثم أسر وجيء به إلى سامراء وصلب إلى جانب بابك. (ابن الأثير حوادث سنة ٢٢٤ هـ).
نياط القلب: عرق غليظ عُلِّق به القلب إلى الرئتين، وكذلك نياط الفؤاد. الوتين : عرق القلب، إذا انقطع مات صاحبه.
٣١ـ الصياصي: الحصون.
٣٢ـ في الأصل: (فكذبت الحقوق) وهو تحريف.
٣٣ـ في الأصل: (غافصته)، غافص الرجل: أخذه على غِرَّة.
٣٤ـ الرعون: جمع رعن، وهو أنف يتقدم الجبل.
٣٦ـ كاب عليه: ألحَّ واشتد في طلبه. عراصه: أرضه، والعرصة: البقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها. القلال: الجبال. الكماة: المقاتلون الشجعان.
٣٧ـ رزي: من الرزيَّة أو الرزيئة، المصيبة.

٣٨- ثم استكانَ وأسْلَمَتْهُ حُماتُهُ ... ورأى شَتاتاً بالصَّغارِ عَرينَهُ
٣٩- وغَدَتْ جِيادُكَ حينَ أسْلَمَ عَنْوَةً ... تَحْتازُ ظاهرَ مالِه ودَفِيْنَهُ
٤٠- ضُمَّتْ يَداهُ إلى التَّليلِ مُكَبَّلاً ... تدْمى وساوَرتِ الدموعُ جفونَهُ
٤١- حتى إذا اختلجتْ سياطُكَ نفسَهُ ... وتخَرَّمَتْ حركاتِه وسكونَهُ
٤٢- نيطَتْ عواملُهُ برأسِ عُذافرٍ ... جعلَ الشريطَ عِرانَهُ وبُرينَهُ
٤٣- من بعدِ ما بالكُفْرِ بكَّتْ حيدراً ... وأبانَ يوضحُ مُفْصِحاً مكنونَهُ
٤٤- وجَمَعْتَ كلَّ معدَّلٍ وسألْتَهُ ... نَصّاً ليوضِحَ كفْرَهُ ويُبينَهُ
٤٥- فأقَرَّ بالكُفْرِ المُبين ولم تُرِدْ ... إلاّ الإلهَ ولم تُرِدْ تَهْجينَهُ
٤٦- أنَّى وقد أنْطَقْتَ كُلَّ مُفَوَّهٍ ... في مدحه طَلباً بها تزيينَهُ
٤٧- لتشيعَ مدْحَتَهُ وتُشْهِرَ ذكْرَهُ ... بحبالِ شاعرك الرصينِ رصينَهُ
٤٨- وجَزيتَ مادحَهُ فأبْصَرَ شِعْرَهُ ... وأحَبَّ كُلَّ مُدَوِّنٍ تدوينَهُ
٤٩- ورَفَعْتَهُ فوقَ النجومِ ولم تَدَعْ ... في المُلْكِ مُصْطَفِياً لهُ تمكينَهُ
٥٠- وعَصَبْتَهُ بالتاجِ عَصْبَ جلالَةٍ ... وجعلْتَ خَلْقَ اللهِ يسترعونَهُ

---

٤٠ ـ في الأصل: (ضمت ياه إلى التليسل مكيلا ترمي وساوسه الدموع جفونه).
التليل: العنق.

٤١ ـ اختلجت سياطك: انتزعت نفسه. تخرمت حركاته: أخذتها، أي: هلك.

٤٢ ـ العوامل: الأرجل. الغذافر: العظيم الشديد من الإبل. العران: عود يجعل في وترة أنف البعير. البرين: جمع برة، وهي حلقة توضع بأنف البعير.

٤٣ ـ حيدر: هو الإفشين، قائد المعتصم الأكبر، اتهم بالزندقة والكفر فحوكم وصلب.

٤٤ ـ وجمعت كل معدل: يشير إلى المحكمة التي ألفها المعتصم لمحاكمة الإفشين، وكان من أعضائها محمد بن عبد الملك الزيات وأحمد بن أبي دُوَاد، وانظر المحاكمة في تاريخ الطبري١٢ / ١٣٠٣.

٤٦ ـ في الأصل: (كل كفوه) وهو تحريف.

٤٧ ـ الرصين: من رصُن العقل، ثبت واستحكم، ورأي رصين: ثابت محكم محقق.

(١٧٦)

وقال: (المديد)

١ـ نزلتْ بالخائنينَ سَنهْ سَنَةٌ للناسِ مُمْتَحِنهْ

٢ـ خوَّلَتْ ذا النُّصْحِ نِعْمَتَهُ وأزَلَّتْ نِعْمَةَ الخَوَنَهْ

٣ـ فترى أهْلَ العَفافِ بها وهُمُ في حالةٍ حَسَنَهْ

٤ـ وترى مَنْ خانَ هِمَّتَهُ أنْ يُؤدي كُلَّ ما احْتَجَنَهْ

---

(١٧٦)

* الأبيات في الأصل، والأبيات في الأغاني ٢٠/٢٨٨ منسوبة لأحمد بن أبي فنن.

١ـ السنة: الجدب والقحط، والأرض المجدبة.

٤ـ احتجن المال: جمعه وضمه إليه، واختص به نفسه.

(حرف الهاء)

(١٧٧)

وقـال: (الرمـل)

١ـ إنْ يَكُنْ حَبْلُكَ من حَبْلي وهى فإلى شوقي يكونُ المُنْتهى

٢ـ لم يُذَكِّرْنيكَ خَطْبٌ حادِثٌ إنَّما يذكُرُ مَنْ كانَ سَهَا

---

(١٧٧)

* البيتان في الأصل. وفيه: (محمد بن الفضل بن الأسود الكاتب، قال: حدثني قريش بن أنس عن أبيه، قال: دخلت على الواثق، فقال لي: يا أبا فراس، اخرج رقعةً من تحت المصلى الذي تحتي، فمددتُ يدي ، فأخرجت الرقعة وقرأتها، وقلت: يا أمير المؤمنين، رقعة حسنة، أولها تشوق، ووسطها استعتاب، وآخرها استبطاء، وإذا في آخر الرقعة: إن يكن حبلك.... وكانت الرقعة من محمد بن عبد الملك، فقال الواثق: يلومني الناس على حب محمد بن عبد الملك).

(حرف الياء)

(١٧٨)

وقال أيضاً: (مجزوء الخفيف)

١- عَدِّيا عن ملاميا وأقِلاَّ عتابيا
٢- واعذرا إنْ رأيْتُما ضاحكَ السِّنِّ باكيا
٣- قد تخلى من النديـ ـمِ ومَلَّ التَّصابيا
٤- كيفَ أصبو وقد مضى ما مضى من شبابيا
٥- ورأيتُ المشيبَ ألـ ـقى برأسي المراسيا
٦- وانقَضَتْ شِرَّتي وفَلْ لَ زماني شبابيا
٧- وتفَرَّدْتُ حَجْرَةً موحشاً من صحابيا
٨- ودعاني إلى النُّهى فأجَبْتُ المناديا
٩- داعيَ الشيب إنْ دعا قلتُ لَبَّيْكَ داعيا
١٠- نهجَ الرُّشْدَ لي وأبـ ـدى لعيني المساويا
١١- فتجلَّى الغطاءُ عَنْـ ـني وأبصَرْتُ شانيا
١٢- بعدَ أن عِشْتُ أعْصُراً أسْدَلَ الذَّيْلَ غاويا
١٣- يا خليليَّ أنْصتا وأجيبا دُعائيا
١٤- واصدقاني هُدِيْتُما إنَّ في الصِّدْقِ شافيا

---

(١٧٨)

* القصيدة في الأصل.

٣- التصابي: تكلف الصبا، الميل إلى الحداثة والشباب واللهو.

٦- في الأصل: (شداتيا). الشباة: حد كل شيء، وهي من السيف: قدر ما يقطع به.
الشِّرَّة: الحدة والنشاط، يقال: للشباب شِرَّة، ويقال: أعوذ بالله من شِرَّة الغضب.

٧- الحَجْرة: الناحية، يقال: قعد حجرة، أي في ناحية متفرداً.

١٢- أسدل الذيل: أرسله وأرخاه، كناية عن الغواية والكبر.

١٥- هَلْ يَزورُ الغَوانِيا ... مَنْ بِهِ مِثْلُ ما بِيا
١٦- أو تَغَنّى بِغادَةٍ ... مِثْلِ سُعْدى الأغانيا
١٧- أو يُرى كُلَّما خَلا ... يَتَمَنّى الأمانيا
١٨- يَتَمَنّى بأنْ يَحو ... رَ مَجاري زَمانيا
١٩- قَبْلَ أنْ أَلْبَسَ البَيا ... ضَ وأُلْقي سَواديا
٢٠- وأرى في قَوادمي ... صَلَعاً قد بَدا ليا
٢١- لَيْتَ شِعْري فَدَتْكَ نَفْـ ... ـسي وأهْلي وماليا
٢٢- أيَّ شَيْءٍ وقَدْ جَمَعْـ ... ـتَ صِفاتي كما هيا
٢٣- وتَجَلْبَبْتَ حُلَّةً ... سَمْلَةً مِن لِباسِيا
٢٤- تَرْتَجيهِ لدى الغَوا ... نِيِّ لا زِلْتَ غانِيا
٢٥- إنَّ في دونِ ما رَما ... نا بِهِ الدَّهْرُ كافِيا
٢٦- فَزَعِ النَّفْسِ إنْ صَبَتْ ... واعْصِبَنْها بِراسِيا

(١٧٩)

وقال في أحمد بن أبي دواد: (المجتث)

١- ما بالُهُ وابْنُهُ لَمْ ... يُزَوَّجا عَرَبِيَّهْ
٢- ولا أبوهُ على ما ... بِهِمْ مِنَ العَصَبِيَّهْ

٢٣- السمل من الثياب: الخلق البالي.
٢٦- زع النفس: أمر من وزع، أي كف ومنع وحبس وزجر ونهى.

(١٧٩)

* القصيدة في الأصل.
١- أحمد بن أبي دواد: قاضي القضاة المعتزلي الذي تزعم قضية القول بخلق القرآن، وكان من أشد خصوم ابن الزيات، وقد سبقت ترجمته، أما ابنه هذا، فقد أسند إليه القضاء حين فُلج أبوه في زمن المتوكل، ثم أقاله المتوكل سنة ٢٣٧ هـ وزجَّه وأخوته في السجن وصادر أملاكه (دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٥٥٤).

٣- لكنَّهم حين صاروا إلى الأمور السَّنيَّهْ
٤- قد أبعدوا في التَّمنِّي وأُرغبوا في العَطيَّهْ
٥- فلا جزى اللهُ عجْلا والعُصْبَةُ الدُّلَفيَّهْ
٦- خيراً ولا تركَ اللهُ فيهُمُ من بقيَّهْ
٧- قولوا لنا يا بني الحسنِ قولَةً مستويَّهْ
٨- ماذا إليهِ انصرفتمْ عن خزْيِ هذي البَلِّيَّهْ
٩- فما رأينا لواءً لكمْ أمامَ السَّريَّهْ
١٠- ولا رأيْنا أميراً منكمْ على العشريَّهْ
١١- ولا رأيْنا جياداً تُقادُ كُلَّ عَشيَّهْ
١٢- ولا طمعْنا لكمْ في ولايةٍ خلديَّهْ
١٣- ولا سمعنا بكم في الـ قُضاةِ يومَ القَضيَّهْ
١٤- أما إلى مِجَنٍّ وكُلُّ هذا قسِيَّهْ

(١٨٠)

وقال محمد بن عبد الملك [يجيب راشدا الكاتب**] : (المنسرح)

٥ـ العصبة الدلفية : نسبة إلى أبي دُلَفٍ العجلي القائد الشاعر، وكان ابن الزيات يبغضه، وقد مرت ترجمة أبي دلف العجلي.
١٤ـ في الأصل : (اما الا محسن فقد) ولا معنى لها.

(١٨٠)

* القصيدة في الأصل. والأبيات ١، ٢، ٣، ٦ ـ ١٦ في معجم الأدباء، ط إحسان عباس، والأبيات ١ ـ ٧، ٩ ـ ١٦ في الأغاني ٢٣ / ٦٤، والأبيات ٣، ١٥، ١٦ إضافة من الأغاني، والأبيات ١٢، ٢، ٧ في طبقات ابن المعتز ص ٣٨٩. وفي الأغاني : (حج محمد بن عبد الملك في آخر أيام المأمون، فلما قدم كتب إليه راشد الكاتب قوله :

لا تنْسَ عهدي ولا مودَّتيَهْ واشتَقْ إلى طلْعَتي ورؤيَتيَهْ
إنْ غِبْتَ عَنَّا فلم تَغبْ كثْرةُ الـ ـذكرِ فلا تَغْفلَنْ هديَّتيَهْ
التمرَ والنَّقْلَ والمساويكَ والقَسْـ ـبَ وخيرَ النعالِ حسن شيَهْ

١– إنَّك منِّي بحـــــيثُ يَطَّرِدُ النَّا ظِرُ من تحت مـــاءِ دَمْعَتــــيــــهْ
٢– ولا ومَنْ زادنـــي وفَضَّلـــنـــي علـى صحـــابي بفَضْلِ صُحْبَتِيَهْ
٣– [مـا أحـسنُ التَّرْكَ والخلافَ لما تُريدُ منِّي ومـــا تقـــولُ ليَهْ]
٤– وصَيَّرَ الأشْقَرَ الخـــبـــيثَ إذا عـــقـــدْتُ وَسْطَ النَّديِّ حَبْوَتَيَهْ
٥– يُقرُّ بـالـذُّلِّ والـصِّغَارِ وبـالإذْ عـــانِ في كُله مـــا أقـــولُ ليَهْ
٦– بأبي أنتَ مـا نسـيـتُكَ في يو مِ دُعـــــــــائي ولا هَدِيَّتِيَهْ
٧– ناجَيْتُ بالذِّكْرِ والدعاءِ لك اللـ ـهَ لدى البـيْتِ رافـــعــاً يديَهْ
٨– حـتى إذا مـا ظَنَنْتُ بالملكِ القا درِ أنْ قـــــد أجـــابَ دَعْوَتيَهْ
٩– قُمْتُ إلى مـوضعِ النِّعـالِ وقـد أقَمْتُ عـشْرينَ صـاحِبـاً مَعَيـهْ
١٠– [وقُلْتُ لي صــاحِبٌ أريدُ لَهُ نَعْلاً ولـو من جلودِ راحَتَيـــهْ]
١١– فـانقطَعَ القَوْلُ عندَ واحدَةٍ قـالَ الذي اختـارَها بشـارتَيَهْ

فإنْ تجاوزْتَ ما أقولُ إلى العَصْـ ـبِ فذاكَ المأمولُ منكَ ليَهْ
فأجابه محمد بن عبد الملك: إنك مني....) القصيدة.

** راشد الكاتب: راشد بن إسحاق بن راشد الكاتب، المكنى بأبي حكيمة، كان كاتباً شاعراً مرموقاً في العصر العباسي، وكتب لعبد الله بن طاهر بخراسان، ورثاه بعد وفاته، وكان صديقاً لابن الزيات، توفي في طريق الحج إلى مكة، ولا يعرف زمن وفاته، ولعله بعد سنة ٢٣٣هـ (طبقات ابن المعتز ص١٨٤ ـ ١٨٥، الموشح ص٢٣٨، الأغاني ٢٠ / ٥١ ـ٥٢، معجم الأدباء ٤ / ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

١ـ الأغاني وابن المعتز: (بحيث ما يطرف الناظر قربا من تحت دمعتيه).
٢ـ الأغاني ومعجم الأدباء: (ولا ومن زارني تودده على صحابي بفضل غيبتيه).
٣ـ البيت إضافة من الأغاني ولم يرد في الأصل.
٤ـ الأشقر الخبيث: أراد به الخمرة.
٦ـ الأغاني: (يا بأبي أنت ما نسيتك).
ابن المعتز: (ما خنت عهدا ولا نسيتك في).
٧ـ معجم الأدباء: (لك الله الله رافعا يديه).
١٠ـ البيت إضافة من الأغاني ومعجم البلدان، ولم يرد في الأصل.

١٢- قلتُ لهُ عندي البشارةُ والشُّكْـ ـرُ وقــــلاً في جَنْبِ حـــاجَتِيَهْ

١٣- ثمَّ تَخَيَّرْتُ بعدَ ذاكَ من العَصْـ ـب فــوافى ببـــعضِ خِبْرَتِيَهْ

١٤- مــوشِيَّةً لم أزَلْ ببــائعــهــا أرْغِبُ حـــتى زها علـيَّ بِـيَهْ

١٥- [يـــرفَعُ فـــي سَوْمِه وأرْغِبُهُ حـــتى التـــقى زُهْدُهُ ورَغْبَتِيَهْ

١٦- وقــــد أتاك الـذي أمَرْتَ بـه فـــاعْذرْ بكثـــرَةِ الإنْعـــام قلَّتِيَهْ

١٧- وذاكَ من ســيـــدي بنعْمَتِه لـــيــس بـــحَوْلـــي ولا بـــقُوَّتِيَهْ

(١٨١)

ووجد مكتوباً بالفحم في جانب التنور: (مجزوء الرمل)

١- مَــنْ لــهُ عَهْـدٌ بنومٍ يُرشِـدُ الصَّبَّ إليــه

٢- رَحِــمَ اللــهُ رحيمــاً دَلَّ عينــيَّ عليـــه

٣- سَهِرَتْ عيْني ونامتْ عَيْنُ مَنْ هُنْتُ عليهِ

١٢- في الأصل: (والشكر في جنب حاجتيه) بنقص كلمة (قلاً)، الأغاني ومعجم البلدان: (فقلت عندي لك البشارة والشكر).

١٣- الأغاني ومعجم البلدان: (من العصب اليماني ببعض خبرتيه).

١٥- البيت والذي بعده إضافة من الأغاني ومعجم الأدباء، ولم يردا في الأصل.

(١٨١)

* لم ترد الأبيات في الأصل. والأبيات في الخزانة ١ / ٤٥١، وتاريخ بغداد ٣ / ١٤٦، ووفيات الأعيان ٥ / ١٠٠، ١٠٢، والوافي بالوفيات ٤ / ٣٣.

** وجاء في الخزانة: (فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله في التنور، وقيده بخمسة عشر رطلاً من الحديد، فقال له: يا أمير المؤمنين ارحمني، فقال له: الرحمة خَوَرٌ في الطبيعة!! كما كان يقول للناس، وكان ذلك سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وكانت مدة تعذيبه في التنور أربعين يوماً إلى أن مات، ووجد مكتوباً بالفحم في جانب التنور: من له عهد بنوم ... الأبيات).

١- الصب: المشتاق، صبَّ إليه: رقَّ واشتاق.

(١٨٢)

وقال: (البسيط)

١ـ وللنفوسِ وإنْ كانتْ على وَجَلٍ ... مِن المنِيَّةِ آمالٌ تُقَوِّيها

٢ـ والمرءُ يَبْسُطُها والنَّعْشُ ينشُرُها ... والدَّهْرُ يقْبُضُها والموتُ يطْويها

(١٨٣)

وقال: (البسيط)

١ـ الآنَ قامَ على بغدادَ ناعيها ... فَلْيَبْكِها لخرابِ الدَّهْرِ باكيها

٢ـ كانتْ على ما بها والحربُ بارِكَةٌ ... والهَدْمُ يغدو عليها في نواحيها

٣ـ تُرجَى لها عوْدةٌ في الدَّهْرِ صالِحَةٌ ... فالآنَ أضْمَرَ منها اليأسَ راجيها

٤ـ مثل العَجُوزِ التي وَلَّتْ شبيبَتُها ... وبانَ منها جمالٌ كان يُحْظيها

٥ـ لَزَّتْ بها حُرَّةً زهْراءَ واضِحَةً ... كالشَّمْسِ مَكْسُوَّةً دُرًّا تراقيها

وفي آخر النسخة قوله:

نجز شعر محمد عبدالملك الزيات بأسره

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين

---

(١٨٢)

* البيتان في الأصل.

١ـ في الأصل: (والنفس يبشرها)، الوجل: الخوف والفزع.

(١٨٣)

* الأبيات في الأصل، والأبيات لأبي تمام في ديوانه ٢ / ٣٧٥، ط بيروت ١٩٩٤ يهجو بغداد ويمدح سامراء. ولعل ابن الزيات تمثَّل بها

٤ـ بان منها: فارقها، والبين: الفراق والبعاد.

يحظيها: من أحظاه إذا جعله ذا حظوة، والحظوة: المكانة والمنزلة عند الناس.

٥ ـ لزت به: شدت به وألصقت به. الزهراء: المرأة المشرقة الوجه. التراقي: جمع ترقوة، وهي أعلى الصدر.

اعيد ترتيبها على رقم المصادر وزيد عليها كثيرا

ثَبتُ المصادر والمراجع العدد ٨٤

الآبي: أبو سعيد، منصور بن الحسين، (ت٤٢١ هـ).

١ ـ نثر الدر، تحقيق محمد علي قرنة، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ابن الأبار: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله القضاعي، (ت ٦٥٨ هـ).

٢ ـ إعتاب الكتّاب، تحقيق صالح الأشتر، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

ابن الأثير: أبو الحسن، عز الدين، علي بن أبي الكرم، (٦٣٠ هـ).

٣ ـ الكامل في التاريخ، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

أحمد أمين بن الشيخ إبراهيم، (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).

٤ ـ ضحى الإسلام، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ٣٥ ـ ١٩٣٦م.

الأصفهاني: أبو الفرج، علي بن الحسين الأموي، (ت ٣٦٠ هـ).

٥ ـ الأغاني، ط دار الكتب المصرية، و ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.

ابن أبي أصيبعة، أبو العباس، موفق الدين، أحمد بن القاسم الخزرجي، (ت ٦٦٨هـ).

٦ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، ط دار الحياة، بيروت ١٩٦٥م.

البحتري: أبو عبادة، الوليد بن عبيد، (ت ٢٨٤ هـ).

٧ ـ ديوان البحتري، تحقيق محمد ألتونجي، بيروت.

البديعي: الشيخ يوسف البديعي قاضي الموصل، (ت ١٠٧٣هـ).

٨ ـ هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام، نشره محمود مصطفى، ط مطبعة العلوم، القاهرة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م.

بروكلمان: كارل، (ت ١٨٦٨هـ/١٩٥٦م).

٩ ـ تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار (الجزء الأول) ط دار المعارف، مصر ١٩٦١م، وترجمة رمضان عبد التواب (الجزء الثاني) ط دار المعارف، مصر ١٩٧٧م.

ابن بسام: علي بن بسام، (ت ٥٤٢هـ).

١٠ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط مصر ١٣٥٨ـ ١٣٦٤هـ.

البغدادي: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (ت ٤٦٣ هـ).

١١ ـ تاريخ بغداد، ط السعادة، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣١م.

البغدادي: عبد القادر بن عمر، (ت ١٠٩٣هـ).

١٢ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط القاهرة ١٢٩٩هـ، وتحقيق عبد السلام هارون، ط الخانجي ١٣٨٨ـ ١٤٠٦هـ/ ١٩٦٨ـ ١٩٨٦م.

البيهقي: إبراهيم بن محمد، (ت حوالي ٣٢٠هـ).

١٣ ـ المحاسن والمساوىء، ط صادر، بيروت ١٩٧٠م.

ابن تغري بردي الأتابكي، (ت ٨٧٤ هـ).

١٤ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م.

أبو تمام: حبيب بن أوس الطائي، (ت ٢٣١هـ).

١٥ ـ ديوان أبي تمام، ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤م.

التنوخي: القاضي أبو علي، المحسن بن علي بن محمد البصري، (ت ٣٨٤ هـ).

١٦ ـ الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، ط صادر، بيروت ١٩٧٨م.

١٧ ـ المستجاد من فعلات الأجواد، تحقيق محمد كرد علي، ط المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٤٦م، أعيد تصويره سنة ١٩٧٠م.

١٨ ـ نشوار المحاضرة، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٤م.

التنوخي: القاضي، أبو القاسم علي بن المحسن، (ت ٤٤٧ هـ).

١٩ ـ لطائف الأخبار، تحقيق علي حسين البواب، ط عالم الكتب، الرياض ١٩٩٣م.

التوحيدي: أبو حيان علي بن محمد، (ت ٤٠٠ هـ).

٢٠ ـ البصائر والذخائر، ط مصر ١٩٥٣م.

التيفاشي: أحمد بن يوسف (ت ٦٥١ هـ).

٢١ ـ تحقيق إحسان عباس، ط المؤسسة العربية، بيروت ١٩٨٠ م.

الثعالبي: أبو منصور، عبد الملك بن محمد، (ت ٤٢٩ هـ).

٢٢ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ط مصر ١٣٢٦هـ.

٢٣ ـ نثر النظم، ط دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٣م.

٢٤ ـ المنتحل، تحقيق أحمد أبو علي، ط الاسكندرية ١٣١٩هـ / ١٩٠١م.

الجاحظ: أبو عثمان، عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ).

٢٥ ـ البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٥٢م.

٢٦ ـ الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٥م.

٢٧ ـ المحاسن والأضداد، منسوب للجاحظ، ط دار صعب بيروت ١٩٦٩م.

الجبوري: يحيى وهيب.

٢٨ ـ الكتاب في الحضارة الإسلامية. ط دار الغرب الإسلامي ١٩٩٩م.

جرير: جرير بن عطية بن الخطفى، (ت ١١٠هـ).

٢٩ ـ ديوان جرير، ط صادر، بيروت ١٩٦٠م.

جعفر بن شمس الخلافة: مجد الملك، (ت ٦٢٢ هـ).

٢٠ ـ كتاب الآداب، ط الخانجي، مصر ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م.

جميل سعيد : (ت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) .

٢١ ـ ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، نشره وقدم له الدكتور جميل سعيد، ط نهضة مصر ، القاهرة ١٩٤٩م.

جميل بن معمر العذري: جميل بثينة، (ت ٨٢ هـ).

٢٢ ـ ديوان جميل بثينة ، تحقيق حسين نصار، ط القاهرة ١٩٦٧م.

الجهشياري : أبو عبد الله، محمد بن عبدوس، (ت ٣٣١ هـ).

٢٣ ـ الوزراء والكُتَّاب، تحقيق السقا والإبياري وشلبي، ط البابي الحلبي، القاهرة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م .

ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢ هـ).

٢٤ ـ لسان الميزان، ط حيد آباد، الهند ١٣٣١هـ.

الحصري: إبراهيم بن علي القيرواني، (٤٥٣ هـ).

٢٥ ـ زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق علي محمد البجاوي، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٩م.

ابن حمدون: محمد بن الحسن بن حمدون البغدادي (ت ٥٦٢ هـ).

٢٦ ـ التذكرة الحمدونية في التاريخ والأدب والنوادر والأشعار، تحقيق بثينة شاكر، ط جامعة بغداد، بغداد ١٩٦٩ م ، وانظر ط إحسان عباس.

الخطيب البغدادي = البغدادي.

ابن خلكان: أبو العباس، شمس الدين، أحمد بن محمد، (ت ٦٨١ هـ).

٢٧ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط القاهرة ١٩٤٨م ، وتحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت د. ت.

دعبل الخزاعي: دعبل بن علي، (ت ٢٤٦ هـ).

ـ ديوان دعبل الخزاعي، تحقيق عبد الكريم الأشتر، ط مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٦٤م.

الذهبي: شمس الدين، محمد بن أحمد، (ت ٧٤٨ هـ).

ـ سير أعلام النبلاء، ط مصر، وط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٨م.

ابن رشيق = القيرواني.

سزكين: فؤاد.

ـ تاريخ التراث العربي، الترجمة العربية، ط الرياض ١٩٨٣م.

السراج: جعفر بن أحمد بن الحسين (ت ٥٠٠ هـ).

ـ مصارع العشاق، ط صادر، بيروت ١٩٥٨م.

السيوطي: جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١ هـ).

ـ تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط القاهرة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٢م.

ابن شاكر: محمد بن شاكر الكتبي، (ت ٧٦٤هـ).

ـ فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣م.

الشريف المرتضى: علي بن الحسين العلوي، (ت ٤٣٦ هـ).

ـ أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٥٤م.

شوقي ضيف:

ـ العصر العباسي الأول، ط دار المعارف، مصر ١٩٦٦م.

الصابي: غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال الصابي، (ت ٤٨٠ هـ).

ـ الهفوات النادرة، تحقيق صالح الأشتر، ط ٢، بيروت ١٩٨٧م.

الصابي: هلال بن المحسن الصابي، (ت ٤٤٨هـ).

٥١ ـ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، نشر امدوز، ط بيروت ١٩٠٤م.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت ٧٦٤هـ).

٥٢ ـ نكت الهميان في نُكت العميان، تحقيق أحمد زكي، ط مصر ١٩١١م.

٥٣ ـ الوافي بالوفيات، باعتناء س دريدرينغ، ط٢ فسبادن ١٩٧٤م.

صفوت: أحمد زكي.

٥٤ ـ جمهرة رسائل العرب، مصورة عن الطبعة المصرية، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٦ هـ).

٥٥ ـ أخبار أبي تمام، ط مصر ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير، (ت ٣١٠ هـ).

٥٦ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصورة عن طبعة دار المعارف المصرية، دار التراث العربي، بيروت، د. ت. وط مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٠م.

ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا، (ت ٧٠٩ هـ).

٥٧ ـ الفخري في الآداب السلطانية، ط الرحمانية، مصر د. ت.، وتحقيق عبد القادر محمد مايو، ط دار الفكر العربي، حلب ١٩٩٧م.

العباسي: عبد الرحيم بن أحمد، (ت ٩٦٣ هـ).

٥٨ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة التجارية، مصر ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م.

ابن عبد ربه: أحمد بن محمد الأندلسي، (ت ٣٢٨ هـ).

٥٩ ـ العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين والزين والابياري، ط القاهرة ٤٨ ـ ٩٥٠م وط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م.

علي بن جبلة: أبو الحسن علي بن جبلة العكوك، (ت ٢١٣ هـ).

٦٠ ـ ديوان علي بن جبلة، تحقيق حسين عطوان، ط ٣ دار المعارف، مصر ١٩٨٢ م.

علي بن الجهم: أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر القرشي، (ت ٢٤٩ هـ).

٦١ ـ ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم، ط٢ دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠ م.

ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح، عبد الحي بن عماد، (ت ١٠٨٩ هـ).

٦٢ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت ١٩٨٨م.

العمري: شهاب الدين، أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، (ت ٧٤٩).

٦٣ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مخطوطة أيا صوفيا رقم ٣٤٢٢، تصوير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، يصدره فؤاد سزكين.

ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦ هـ).

٦٤ ـ أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة ١٩٦٣ م.

٦٥ ـ الشعر والشعراء ط ليدن ١٩٠٤م، وط دار المعارف، مصر ١٩٧٦م.

٦٦ ـ عيون الأخبار، ط دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٥م.

٦٧ ـ المعارف، تحقيق ثروة عكاشة، ط دار المعارف، مصر ١٩٦٩ م.

القرطبي: يوسف بن عبد الله، (ت ٤٦٣ هـ).

٦٨ ـ بهجة المجالس وأُنْس المُجالس وشحذ الذهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨١م.

القلقشندي: أبو العباس، أحمد بن علي، (ت ٨٢١ هـ).

٦٩ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مطبعة دار النشر القومية، القاهرة ١٩٦٤م، وط دار الفكر، بيروت ١٩٨٧م.

القيرواني : أبو علي، الحسن بن رشيق، (ت ٤٦٣ هـ).

٧٠ ـ العمدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط القاهرة ١٩٥٥م ، وتحقيق محمد قرقزان، ط دار المعرفة، بيروت ١٩٨٨م.

القيس : فايز علم الدين.

٧١ ـ محمد بن عبد الملك الزيات، ط الدار العالمية، بيروت،١٩٨٣ م.

ابن كثير: عماد الدين، إسماعيل بن عمر، (ت ٧٧٤ هـ).

٧٢ ـ البداية والنهاية، ط مصر ٥١ ـ ١٣٥٨هـ.

كرد علي : محمد بن عبد الرزاق بن محمد، (ت ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م).

٧٣ ـ أمراء البيان (جزآن)، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م.

محمد بن إيدمر: ابن دقماق العلائي، (ت بعد ٦٤٩ هـ).

٧٤ ـ الدر الفريد وبيت القصيد، مخطوطة بخزانة الفاتح باستانبول رقم ٣٧٦١، صورها معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، يصدره فؤاد سزكين.

المرتضي = الشريف المرتضى.

المرزباني : أبو عبيد، محمد بن عمران، (ت ٣٨٤ هـ).

٧٥ ـ معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار فراج، ط القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠م.

٧٦ ـ الموشح، ط السلفية، القاهرة ١٩١٥م.

المسعودي : أبو الحسن، علي بن الحسين، (ت ٣٤٦ هـ).

٧٧ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط القاهرة ١٩٦٤م وتحقيق شارل بلا، ط بيروت ٦٥ ـ ١٩٧٩م.

ابن المعتز: أبو العباس، عبد الله، (ت ٢٩٦ هـ).

٧٨ ـ طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط ٤ دار المعارف، مصر ١٩٨١م.

الميكالي : أبو الفضل عبيد الله بن أحمد (ت ٤٣٦ هـ) .

٧٩ـ كتاب المنتخل، تحقيق يحيى الجبوري، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٠م .

الميمني : عبد العزيز الميمني الراجكوتي، (ت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) .

٨٠ ـ الطرائف الأدبية، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٧م .

ابن النديم : أبو الفرج، محمد بن إسحاق بن يعقوب، (ت ٤٣٨ هـ) .

٨١ ـ الفهرست، ط فلوجل، ليبسك ١٨٧١م، وط رضا تجدد، طهران ١٩٧٠م .

النويري : شهاب الدين ، أحمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٢ هـ) .

٨٢ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، ط دار الكتب المصرية ١٩٢٩ ، ومصورة عنها، القاهرة ١٩٧٥ م .

الهجرسي : محمود .

٨٣ ـ محمد بن عبد الملك الزيات صاحب التنور، أعلام العرب رقم ٤٦ ، ط المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٠ م .

الوشاء : أبو الطيب، محمد بن أحمد بن إسحاق، (ت ٣٢٥ هـ) .

٨٤ ـ الموشى أو (الظرف والظرفاء)، تحقيق فهمي سعد ، ط عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥ .

ياقوت : شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله، (ت ٦٢٦ هـ) .

٨٥ ـ معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ط مرجليوث، القاهرة ١٩٣٠م، وتحقيق إحسان عباس، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م .

٨٦ ـ معجم البلدان، ط صادر، بيروت ١٩٥٧م .

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب، ابن واضح الإخباري، (ت ٢٩٢ هـ) .

٨٧ ـ تاريخ البلدان، ط البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٢م .

٨٨ـ التاريخ

الفهارس العامة

١- فهرس ديوان ابن الزيات

(حرف التاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الدال)

(حرف الراء)

(حرف السين)

(حرف الضاد)

(حرف العين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الياء)

٢- فهرس شعر بقية الشعراء

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

٣- فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

(ي)

٤- فهرس القبائل والشعوب والجماعات

(أ)

(خ)

(ذ)

(ر)

(ز)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

٥- فهرس الأماكن والمواضع والبلدان

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

٦- فهرس الموضوعات

النص المحقق

الكتب الصادرة للمؤلف

اسم الكتاب	دار النشر
١- الإسلام والشعر	مكتبة النهضة - بغداد ١٩٦٤
٢- شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه	ط١ مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٤
	ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١
	ط٣، ٤، ٥، ٦ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣-٢٠٠٢
٣- ديوان العباس بن مرداس السلمي	ط١ وزارة الثقافة، بغداد ١٩٦٨
	ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١
٤- الجاهلية	
(مقدمة في الحياة العربية لدراسة الشعر الجاهلي)	مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨
٥- شعر النعمان بن بشير الأنصاري	ط١ مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨
	ط٢ دار القلم، الكويت ١٩٨٥
٦- شعر عروة بن أذينة	ط١ مكتبة الأندلس، بغداد - بيروت ١٩٧٠
	ط٢ دار القلم، الكويت ١٩٨١
٧- لبيد بن ربيعة العامري	ط١ مكتبة الأندلس، بغداد - بيروت ١٩٧٠
٨- شعر المتوكل الليثي	مكتبة الأندلس، بغداد - بيروت ١٩٧١
٩- شعر الحارث بن خالد المخزومي	ط١ مطبعة الآداب، النجف ١٩٧٢
	ط٢ دار القلم، الكويت ١٩٨٣
١٠- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه	ط١ مكتبة التربية، بغداد - بيروت ١٩٧٢
	ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٩
	ط٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣-٢٠٠٠.
١١- شعر عبدة بن الطيب	مكتبة التربية، بغداد - بيروت ١٩٧٢
١٢- شعر عبدالله بن الزبير الأسدي	وزارة الثقافة، بغداد ١٩٧٤
١٣- شعر أبي حية النميري	وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٥

١٤- شعر عمرو بن شأس الأسدي	ط١ مكتبة الأندلس، بغداد - بيروت ١٩٧٦
	ط٢ دار القلم، الكويت ١٩٨٣
١٥- شعر عمر بن لجأ التيمي	ط١ دار الحرية، بغداد ١٩٧٦
	ط٢ دار القلم، الكويت ١٩٨١
١٦- الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية	
(ترجمة عن الإنجليزية)	طبعة جامعة بغداد ١٩٧٦
١٧- ديوان الطغرائي	ط١ وزارة الثقافة، بغداد ١٩٧٦
(بالاشتراك مع الدكتور علي جواد الطاهر)	ط٢ دار القلم، الكويت ١٩٨٣
١٨- شعر هدبة بن الخشرم العذري	ط١ وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٦
	ط٢ دار القلم، الكويت ١٩٨٥
١٩- أصول الشعر العربي لمرجليوث	ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٨
(ترجمة عن الإنجليزية)	ط٢، ٣ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١
	١٩٨٨، ط٤ جامعة قار يونس ١٩٩٤
٢٠- شعر عبدالله بن الزبعرى	ط١ معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٧٨
	ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١
٢١- ديوان أحمد بن يوسف الجابر	مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة
(بالاشتراك مع الدكتور محمد قافود)	قطر ١٩٨٣
٢٢- شعر خداش بن زهير العامري	مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨٦
٢٣- قصائد جاهلية نادرة	ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢
٢٤- كتاب المحن لأبي العرب التميمي	ط١ دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣
(تحقيق)	ط٢ دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨
٢٥- الزينة في الشعر الجاهلي	دار القلم، الكويت ١٩٨٤
٢٦-الأقول الكافية والفصول الشافية (في الخيل)	
للملك علي بن داود الرسولي الغساني	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٧
٢٧- الملابس العربية في الشعر الجاهلي	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٩

٢٨- كتاب الردة للواقدي (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٠
٢٩- كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل للوشاء (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩١
٣٠- منهج البحث وتحقيق النصوص	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٢
٣١- الخط والكتابة في الحضارة العربية	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٤
٣٢- أمالي المرزوقي (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٥
٣٣- المستشرقون والشعر الجاهلي	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٦
٣٤- الكتاب في الحضارة الإسلامية	دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨
٣٥- كتاب المنتخل للميكالي (تحقيق)	دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٠
٣٦- محمد بن عبدالملك الزيات سيرته، أدبه، تحقيق ديوانه	دار البشير، عمّان ٢٠٠٢
٣٧- المحاضرات والمحاورات للسيوطي (تحقيق)	قيد الطبع

more objectives studies from scholars and researchers.

In fact Ibn Al Zayat lived in a time similar to ours, it is a time of social and political upheavers and the dominance of foreigners over the khaliphate. This institution was the victim of these foreigners as represented by Turkish leaders and soldiers. There were also the weakness of khalifs themselves who were under their personal impulses and conspiracies of their mothers and wives. Ibn Al Zayat wanted to restore the power and authority of the the state and he was able to succeed in certain time, but he faced fierce conspiracies from his foes and from those individuals who had special interests. The result was his imprisonment, confiscation of his properties and torture which led finally to his death.

I hope that my work will be a lesson on one hand and on the other an important step towards enhancing Arabic Literature which lived under the care of our civilization and authenticity.

Prof. Yahia B. Wahib Al Jubouri

collected information concerning poets and writers who were themselves thrown into prison, tortured, their properties confiscated, exiled or put to death. Such information which I have gathered will be put to light some day, if Allah wishes. In any case Ibn Al Zayat was among the late writers. During my collection of information I used to consult the diwan of Ibn Al Zayat, but it was available only to some scholars who flourished in the second half of the last century. The diwan was edited by the late Jamil Said about half a century ago and it is no longer found in bookstores. In addition some poems of Ibn Al Zayat was missing from the published version of the diwan.

All these factors encouraged me to study literary work and tragedy of Ibn al Zayat in order to reedit his diwan. I was able to get the original Ms from the library of Egypt (Dar Al Kutub). I faced difficulties in obtaining information from the Institute of Ms. of the Arab League but thanks to the efforts of Yasin Taha Al Aissawi and some Egyptian scholars I was able to get a copy of the ms. of the diwan. I'am really thankful to them. In many opinion editing manuscripts or republishing books without comparing them with their originals is a work without value and it may be considered a thievery and an injury to others.

In fact Ibn Al Zayat was not unknown man. He received attention from many researchers. the first among them was the work of the late Mohammad Kurdi Ali whose book, Umara Al Bayan (The Princes of Eloquence), appeared in 1937. IN the series of Alam Al Arab (The Notables of the Arabs) Mahmoud Al Hajrassi published his book under the title Mohammad Ibn Abdul Malik Al Zayat of Al Tannour (The Oven). Also in 1983 Fayz Alam Al Din Al Qays published a book under the title Mohammad Ibn Abdul Malik Al Zayat. All these publications are useful and have the privilege of being the pioneers. My study of Ibn Al Zayat however the life of Ibn Al Zayat and his writing, as well as poets and writers like him, are still in need of

Mohammad Ibn AbdulMalik Al-Zayat

His Biography, Literature and Diwan

By

Dr. Yahia Al-Jubouri

Professor, Al-al Bayt University

The first time I heard about Ibn Al-Zayat was when I was a high school student about a half century ago. My teacher then, mohammad Hassan Al-Addad, was a literary figure, good reader and with a high attention. He used to provide me with special care and good attention. He also used to care after intelligent students and give them literary and cultural books to read and report to him about their readings. Now I know that he died when the diwan of Ibn Al-Zayat was first published about 1950 even taught them the wonderful qasida (poem) of Al-Zayat in which the elegized his wife. This qasida was among most famous in its kind especially when describing a child who lost his mother. The child used to be busy playing in the day, however, when the night falls and the darkness covers the whole universe the child's tears began to pour out while remembering his mother's tenderness.

This poem had a lasting impact upon my heart. I memorized it and I still remember it despite the passing of many years. Since then the picture of Ibn-Zayat was printed in my mind as it is linked to his oven (tennour0 which he made in order to torture his foes but he was himself tortured in it and consequently died in it. In 1983 I edited Kitab Al-Mihan (tragedies0 of Abou Al Arab Al Tamimi. Since this book contains stories of the torture, imprisonment and death of khalifs and scholars, I decided to complete it by adding it what was missing from it. In this way I wrote on tragedies and I

محمد بن عبد الملك الزيات

